المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
كلية الدعوة والإعلام / قسم الدعوة والاحتساب
- الدراسات العليا -



منهـــج الدعـــوة إلى العقيـــدة

في ضوء القصص القرآني

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه
في قسم الدعوة والاحتساب / كلية الدعوة والإعلام

إشراف الأستاذ الدكتور .

زيـــد بن عبـد الكريـــم الزيـــد
(الأستاذ في كلية الدعوة والإعلام)

إعداد الطالبـــة

منى عبدالله حسن داوود

العام الجامعي (١٤١٧هـ) -

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
كلية الدعوة والإعلام / قسم الدعوة والاحتساب
- الدراسات العليا -



منهج الدعوة إلى العقيدة

في ضوء القصص القرآني

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه
في قسم الدعوة والاحتساب / كلية الدعوة والإعلام

إشراف الأستاذ الدكتور :

زيد بن عبد الكريم الزيد
(الأستاذ في كلية الدعوة والإعلام)

إعداد الطالبة :

منى عبدالله حسن داوود

- العام الجامعي (١٤١٧هـ) -

بسم الله الرحمٰن الرحيم

<< ربِّ أوزِعْني أنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَك
التي أنْعَمْتَ عليَّ وعلى والديَّ وأنْ
أعمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وأَصْلِحْ لي في
ذُرِّيَتي >>

[الأحقاف : ١٥]

المقدّمـــــــة

- الافتتاحية .

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

ثانيــاً : بيان المصطلحات الواردة في العنوان .

ثالثــاً : أهـــداف البحـــث .

رابعــاً : حـــدود البحـــث .

خامساً : الدراسات السابقـة .

سادساً : المشكلة التي تتناولها الدراسة .

سابعاً : تسـاؤلات البحــث .

ثامناً : منهـــج البحـــث .

تاسعاً : خطـــة البحـــث .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمدَ للهِ ، نحمَدُهُ ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالِنا ، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحدَهُ لا شريكَ له وأشهَدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه [1] ، أما بَعْدُ :

فإنّ القصص القرآني يمثّل جزءاً غير يسيرٍ من القرآن الكريم « فهو يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من القرآن »[2] ، وتكمن أهمية القصة القرآنية في اتّساع موضوعاتها وتنوّع قيمها وتعدّد فوائدها ، وهي تعدّ من أبرز وسائل القرآن الكريم الدعوية [3]، لذا وجّه الباري عزّ وجل نبيّه – صلى الله عليه وسلم – لأن يقصص القصص على قومه ليحثّهم على التفكّر والتدبّر ، قال تعالى : << ...فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون >> [الأعراف : ١٧٦] ، بل إنها كانت محلّ دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه إلى التثبيت والصبر ، قال تعالى : << وكلاًّ نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين >> [هود : ١٢٠] .

---

(١) انظر : مسلم : صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص ٥٩٣ ، كتاب الجمعة (٧) ، باب ١٣ ، ح ٤٦ / أبو داود : سنن أبي داود ، جـ٢ ، ص ٥٩١ ، كتاب النكاح ، باب (٢٣) ، ح ٢١١٨ .

(٢) فضل عباس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ١٠ .

(٣) راجع : محمد قطب عبدالعال : نظرات في قصص القرآن ، ص ١٠-١١ .

وتشكّل العقيدة الإسلامية المحور الأساس في القصص القرآني ؛ وذلك لأهميّتها في صيانة دين الله ، ورسوخ منهجه في نفوس العباد ، ولتحقيق كمال الاعتقاد والتصوّر بعيداً عن الزيف والتحريف والتضليل ، كما وأنّ القيم التربوية التي تضمنتها جوانب الاعتقاد في القصص القرآني تعزّز السلوك الحسن والأداء الأمثل في تحقيق العبودية لله وحده ، مهما تباينت الأزمنة وتنوّعت المجتمعات ، ليأخذ اللاحق عن السابق أخذ اعتبارٍ وموعظةٍ واقتداء .

وبالرغم من أنّ الباري عزّ وجل أكمل لرسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – دائرة المنهج الخاتم ، إلاّ أنّ جذور العقيدة الإسلامية التي صانت المنهج وحمت شريعته ، لم تنفصل أو تنقطع عن تلك الأصول العقدية الكريمة التي أوحاها الله إلى أنبيائه ، بل كانت امتداداً لها في أكمل صورها وأتمّها ، ومن ثم ، كانت تلك الأبعاد الإيمانية التي تضمّنتها قصص الأنبياء معين هدايةٍ ومسار اقتداءٍ إلى يوم الدّين .

ومن هنا جاء هذا البحث ليُبرِز جوانب العقيدة الإسلامية في ضوء معطيات القصص القرآني ، ويُحدِّد السلوك الأمثل كما ورد في حياة الأنبياء ودعوتهم ، ويعزّز تطبيق المنهج الرباني في ميدان النفس وفي أرض الواقع .

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إنّ كمال العبودية لله لا يمكن أن يتحقّق ما لم يشمل جميع جوانب المنهج الرباني ، الذي تحدّدت معالمه في كتاب الله « إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ... » [الإسراء : ٩] ، وحيث أنّ القصص القرآني اتّسع نطاقه في القرآن الكريم ليشمل موضوعات عدّة عزّزت القيم الإسلامية التي دعا إليها خاتم الأنبياء

محمد – عليه الصلاة والسلام – ، حيث تجلّت معالم تلك القيم في أكمل صورها ، خاصة وأنّ ممارسات الأنبياء لها من القدسية ما يتناسب وخصائص الوحي الإلهي ، لذا فإنّ المعين الذي لا ينضب في حسن الاقتداء بأنبياء الله هو دراسة قصصهم في القرآن ، والاهتداء بسيَرِهم في الهداية والدعوة << أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... >> [الأنعام : ٩٠] ، ففي قصصهم العبرة والعظة .. << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون >> [يوسف : ١١١] .

وفي القصص القرآني مزيد دلالة على الأهمية الدعوية للقصة ، والتي يمكن للمرء أن يلمس من خلالها أبرز مواطن الربط بين الإيمان والعمل ، في ممارسات الأنبياء ، وما جنوه من ثمرات تحقيق هذا الدين واقعاً فاعلاً في حياتهم ، لأنّها تمثّل ترجمة حيّة لمنهج الله في عالم الواقع ، صاغها القرآن الكريم في أسلوب مُبدِع ، وإعجاز بيانيٍ رفيع ، فكانت هذه المكانة الدعوية الفاعلة ، منطلقاً في اختيار وسيلة القصص القرآني إطاراً عاماً في هذه الرسالة ، ليُبحث في ضوئها منهجُ الدعوة إلى العقيدة .

وقد تمّ اختيار موضوع العقيدة ، للحاجة الماسة إلى تمكين العقيدة الصحيحة في النفوس ، وتفعيلها اعتقاداً وممارسة في واقعنا المعاصر ، الذي يعاني من الغثائية وتمييع الهويّة ، إذ التغيير المنشود في الأمّة إلى الأفضل يستدعي تلمّس مواطن الداء الحقيقية التي أودت بها إلى تضييع دورها القيادي وموقعها من الشهود الحضاري الذي حمّلها أمانته المولى عزّ وجل ، فالعقيدة هي قاعدة بناء النفوس ، وهي المعوّل عليه في ضبط السلوك ، فقد كانت

وما زالت الأساس في الدعوة إلى الله ، فما من نبي إلاّ دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له : << وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون >> [الأنبياء : ٢٥] ، وعليها قوام تحقيق الغاية من خلق النّاس ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، والتي بها وعليها يقوم منهج الله في هذه الحياة ، ولكون أنبياء الله هم أصدق الناس في تمثّل هذه العقيدة واقعاً فاعلاً في حياتهم ، فقد عزّز ذلك اختيار القصص القرآني إطاراً عاماً للبحث في منهج الدعوة إلى العقيدة ؛ فالعقيدة والقصص القرآني يُعدّان ركنين قويين في الدعوة ، فالعقيدة الإسلامية تبرز مكانتها في تمثيل القاعدة الاعتقادية المعرفية الرئيسة للدعوة الإسلامية ، والقصص القرآني تبرز مكانتها في كونها من أبرز الوسائل الدعوية المُترجمة لهذه العقيدة واقعاً فاعلاً في أسلم صورها وأكملها .

ثانياً : بيان المصطلحات الواردة في العنوان :

١ - المَنْهَج :

أ- في اللغة : ورد بمعنى الطريق الواضح البيِّن ، والمنهج والمِنْهاج والنَّهْجُ بمعنى واحد ، والجمع للمنهج والمنهاج هو مناهج ، أما النهج فهو نهوج ونِهاج ، وأما الفعلُ منها وهو نَهَجَ فيعني وضَح واستبان ويأتي كذلك بمعنى سَلَكَ ، فنقول : « نَهَجَ الطريقُ – نهجاً : وضَحَ واستبان ... ونَهَجَ نَهْجَ فلان : سلك مسلَكَهُ »[1] .[2]

---

[1] مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، مادة نهج ، ص ٦٣٦ ./ وانظر : الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن، مادة نهج ، ص ٥٠٦ .

[2] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦، ص ٤٥٥٤ / الرازي : مختار الصحاح ، ص ٦٨١ / الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، مادة نهج ، ص ٥٠٦ / ابن دريد : جمهرة اللغة ، مج ٢ ، ص ١١٨/مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، مادة نهج ، ص ٦٣٦ .

وقد وردت كلمة المِنهاج في آية واحدة في القرآن وهي قوله تعالى : « ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكم شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ... » [المائدة : ٤٨] ، ومما ورد في تفسيرها التالي :

أ- الطريق الواضح البيِّن ، وقال الطبري[1] : « ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحاً سهلاً » .[2]

ب- السبيل والسُنّة : السبيل : الطريقُ وما وَضَحَ منه [3] ، والسُّنَّة : مما ورد في معناها : الطَّرِيقةُ ، والجِهَة والقَصْدُ [4] . [5]

وفي السنّة وردت بصيغة المنهج ، والنَّهْج والمِنهاج ، وهي كما أوردنا بمعنى واحد ، وقد جاءت بمعنى الطريق المستقيم البيِّن الواضح[6]والسبيل والسنّة [7].

---

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري ، الإمام ، العَلَمُ ، المُجتهد ، صاحب التصانيف البديعة ، ولد سنة (٢٢٤هـ) ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه ، علاّمة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءة وباللغة ... توفي سنة (٣١٠هـ) . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٤، ص ٢٦٧-٢٨٢ / الزركلي : الأعلام ، جـ٦ ، ص ٦٩ .

[2] الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج ٤، جـ٦ ، ص ١٧٤ (طبعة بيروت بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) / انظر :الزمخشري : الكشّاف ، جـ١، ص ٦٤٠ / ابن الجوزي : زاد المسير ، مج ٢، ص ٢٨٥ / البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ص ١٥٢ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ص ٦٠ ، الشوكاني : فتح القدير جـ٢، ص ٤٨ .

[3] ابن منظور : لسان العرب مادة سبل ، جـ٣ ، ص ١٩٣٠ / المعجم الوجيز ، مادة سبل ، ص ٣٠٢ .

[4] ابن منظور : لسان العرب ، مادة سنن ، جـ٣ ، ص ٢١٢٤ – ٢١٢٥ / انظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، مادة سنن ،ص ٣٢٥ .

[5] انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج ٤ ، جـ٦ ، ص ١٧٤ (طبعة بيروت بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ) / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٦ ، ص ٢١١ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٦٠ .

[6] انظر : مسلم : صحيح مسلم جـ٤ ، ص ١٩٣٠، كتاب فضائل الصحابة ، ح ١٥٠ / النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٤٤ .

[7] انظر : البخاري : صحيح البخاري جـ١، ص١١، كتاب الإيمان ، باب١ / ابن حجر : فتح الباري ، جـ١، ص ٤٨-٤٩ / الإمام أحمد : مسند أحمد جـ٥،ص ٤٠٤ .

ونلاحظ أنّ المنهج في اللغة يحمل صفة الوضوح والاستبانة بالإضافة إلى كونه طريقاً ، فكأنّه يطلق على كل طريق واضح بيّن .

ب-المفهوم الحديث للمنهج :

وهو يدور حول مفهومات اصطلاحية تابعة للفنّ العلمي الذي حواها ، منها ما كان ضيّقاً ، بمعنى قصوره على الإطار الذي حواها مثل المفهوم التربوي الوضعي[1]، والمفهوم الاجتماعي[2] ، ومنها ما كان تابعاً للمفهوم اللغوي والشرعي ، ومنها ما أدخل عناصر في المنهج أوردها في مؤلّفه ، من مثل الخطة والنظام والأسس والأهداف والوسائل والأساليب [3].

هـ - مفهوم المنهج المصطلح عليه في البحث :

تعتمد الباحثة مفهوم المنهج القائم على المدلول الواسع للمنهج ، والذي شمِل من قِبَل اللغة وهو الطريق الواضح البيّن ، ومن ثم، يشمل المنهج المستخدم في هذا البحث أهداف الدعوة إلى العقيدة من خلال القصص القرآني ، و موضوعاتها ، ووسائلها ، وضوابطها ، وكل ذلك في إطار القصة القرآنية ، والتي تُعدُّ وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية ، وهذا المفهوم للمنهج يمكن تعريفه بأنه :

---

[1] انظر: محمد زياد حمدان : المنهج وأصوله ... ، ص ٥٧ /حلمي الوكيل : المناهج مفهومها...، ص ٢٢ .

[2] انظر : أحمد بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، ص ٩٤ ، السمالوطي : المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، ص ٣٠٧ .

[3] راجع : محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ٢ ص ١-١٢ / مؤلفات عدنان النحوي في منهج الدعوة مثل : منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ، ص ٢١٧ - ٢٨١ / علي جريشة : مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ٩ - ١٧ .

هو (طريق الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني) مع التنويه إلى تفضيل استخدام لفظ المنهج لاحتواء مدلوله على صفة إيجابية وهي الوضوح والإبانة وهذا يضفي على الدعوة الإسلامية مزيد دلالة في تأكيد وضوحها .

٢- الدعوة :

أ- في اللغة : هي المرّة الواحدة من الدعاء ، وبذلك تنطبق عليها معاني الدعاء من استغاثة ، ونداء ، ورغبة ، وطلب وغيرها مما قد يرد في معاني الدعاء ، و « الدُّعاة قومٌ يدعون إلى بيعةِ هديً أو ضلالة ، واحدهم داعٍ ... والنبي – صلى الله عليه وسلم – داعِي الله تعالى ، وكذلك المؤذّن ... » .[1]

ب- في الاصطلاح : وردت تعريفات عدّة أبرزها :

- أنها بمعنى التبليغ والنشر لدين الله ، فموضوعها وحقيقتها هو الإسلام .[2]

- أنها بمعنى « جمع الناس على الخير ، ودلالتهم على الرشد ، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر »[3] .

- أنها « عملية شاملة لتطبيق شرع الله في حياة النّاس على المستويات كافة وفي جميع المجالات ، وفق المناهج والأساليب والوسائل المشروعة »[4] .

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة دعا ، جـ٢، ص ١٣٨٥- ١٣٨٨ .

[2] انظر : محمد البارودي : الدعوة والداعية ، ص ٢٤ / عمر يوسف حمزة : أسس الدعوة إلى الله تعالى ، ص ١٣ / عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ، ص ٥ / عبد الوهاب الديلمي : معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، ص ٢٩ - ٣٠ .

[3] محمد الوكيل : أسس الدعوة وآداب الدعاة ، ص ٩ .

[4] مفيد خالد عيد : العلاقة بين الفقه والدعوة ، ص ٣١ .

٣- العقيدة :

أ- في اللغة : من الفعل عَقَدَ : وهو يفيد معاني عديدة مثل : الربط ، والإبرام ، والإحكام ، والإلزام ، والتأكيد ، والتوثيق ، والشدّ بقوّة ، والتصديق ، والضمّ ، والجمع بين أطراف الشيء ، والإلزاق .[1]

ب- في الاصطلاح :

« العقائد هي الأمور التي يجب أن تصدق بها النفوس ، وتطمئن إليها القلوب ، وتكون يقيناً عند أصحابها ، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك »[2] والعقيدة الإسلامية : تشمل الاعتقاد بأركان الإيمان أو ما تُعرَف بأصول العقيدة وهي التي حدّدها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حديث جبريل المشهور ؛ إذ ورد فيه :« فأخبرني عن الإيمان ، قال – صلى الله عليه وسلم- :« أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه »[3].[4]

٤- القصص القرآني :

أ- القصص في اللغة : « القِصَّة : الجملة من الكلام ، ... ويقال قَصَصْتُ الشيء إذا تَتَبَّعْتَ أثَرَهُ شيئاً بعد شيء ... والقَصُّ : البيانُ ، والقَصَصُ ، بالفتح : الاسمُ ، والقاصُّ : الذي يأتي بالقِصَّةِ على وجهها كأنّه يَتَتَبَّعُ معانيها

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة عقد ، جـ٤ ، ص٣٠٣١ – ٣٠٣٢ / الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص٣٤١ / سعدي أبو جيب : القاموس الفقهي ، ص ٢٥٥– ٢٥٦ .

[2] عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، ص ٩ (بتصرف يسير).

[3] مسلم : صحيح مسلم جـ١، ص ٣٧ ، كتاب الإيمان باب (١) ، ح١ .

[4] انظر : عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله، ص ١٠ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٦ – ٢٧١ / عبد الوارث مبروك سعيد : العقيدة الإسلامية منهج ميسر ، ص ١٧– ٦٠ .

وألفاظها ... القَصُّ : اتّباعُ الأثرِ » [١] .

ب- في الاصطلاح : يراد بقصص القرآن : إخباره عن أحوال الأمم الماضية بما تحويه من حوادث غابرة ، مثل قصص الأشخاص الذين لم تثبت نبوّتهم مثل أهل الكهف ، وابني آدم ، وإخباره عن النبوّات السابقة أي ما اختص بالأخبار أو الأنباء الواردة عن الرسل والأنبياء وخبرهم مع أقوامهم ، وإخباره عن الحوادث الواقعة في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مثل الغزوات وحوادث الهجرة والإسراء ونحوها . [٢]

ثالثاً : أهـــداف البحـــث :

١- الرغبة في إعادة الفاعلية والتأثير للعقيدة في ممارسات الأمة ، من خلال الفهم العميق للعقيدة الإسلامية وإدراك أبعادها التربوية ، مما من شأنه أن يعزّز جانب الربط بين العقيدة والسلوك في دائرة السلامة الشرعية ، ويساهم في بناء عودٍ صادق فاعل إلى الإسلام ، كي تعود أمّة المسلمين لتتسلّم زمام القيادة الحضارية للأمم من جديد ، وتكون أهلاً لحمل أمانة الشهود الحضاري التي عُهدت إليها .

٢- محاولة الاستفادة من القصص القرآني في إطار الدعوة إلى العقيدة ، لما

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، مادة قصص ، جـ٥ ، ص ٣٦٥٠-٣٦٥١ .

[٢] انظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٠٦ / وانظر تعريفات أخرى متقاربة مع اختلافات بينها في ضم الأحداث الواقعة في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى القصص القرآني أو عدم ضمها : محمد شديد : منهج القصة في القرآن ، ص ٣٥ – ٤٧ / محمد المجذوب : نظرات تحليلية في القصة القرآنية ، ص ١٧ / محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص ١٥٧ / عمر يوسف حمزة : أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم ، ص ٣٧ ، ٤١ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج١ ، ص ٦٤ (المقدمة السابعة) / عبدالكريم الخطيب : القصص القرآني ، ص ٤٢ ، ٤٥ / مأمون فريز جرار : خصائص القصة الإسلامية ، ص٧٥ / عبدالرّب آل نوّاب : الدعوة إلى الله ، ص ١٤٦ .

امتازت به من مساحة عريضة في الربط بين أصول العقيدة وصورها ، في ضوء ممارسات الأنبياء ، في إطار دعوي يكفل لها سلاسة العرض ويسر الفهم والتطبيق ، لجذب المسلم إلى تمثّل العقيدة فكراً وممارسة في حياته .

٣- إبراز الأهمية العقدية لموضوع الأعمال القلبية ، من خلال ممارسات الأنبياء في القصص القرآني ، لأهميتها العقدية التربوية في ضبط الممارسات ، وتوجيهها في إطار الإحسان .

٤- الإسهام المرجو في تجديد دور الجامعات الإسلامية في التفاعل مع قضايا الأمة المعاصرة ومحاولة إقالة عثراتها ، وسداد ثغورها ، بعونه تعالى .

رابعاً : حدود البحث :

لقد تناول البحث دراسة منهج الدعوة ضمن المجال العقدي فقط ، وهو يمثّل الإطار الخاص للبحث ، وعليه قوام محور البحث .

كما أنّه انتقى من المنهج الدعوي وسيلة القصص القرآني ، لتمثّل الإطار العام الذي في ضوئه ستتم الدراسة .

ومن القصص القرآني تم اختيار قصص أولي العزم من الرسل ، وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - .

خامساً : الدراسات السابقة :

قال تعالى : << وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكنْ جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراطٍ

مستقيم >> [الشورى : ٥٢] ، فالقرآن نورٌ ، والنور لا يمكن حدُّ ضوئه بنقطة معيّنة ، فمن أي جهة نظرتَ إليه وجدتَ نوراً وضياءً ، فهو مصدر عطاءٍ وضياء مستمر ، فإنّ نظر إليه الفقيه وجد بُغيته ، وإن نظر إليه الأديب وجد ضالته ، وإن نظر إليه القاريء وجد فنّه ... إلخ ، كلٌّ حسب الوجهة التي حَكَمَت نظرته إلى هذا الكتاب المنير ، وقصص القرآن حوتها آياتٌ من هذا الكتاب الكريم ، ومن ثَمَّ ، فهي من مصادر هذا النور الرباني ، الذي حواه كلام ربِّ العالمين .

ولكون القرآن الكريم هو المصدر الأول لمنابع الاستقاء في هذا الدين ، فقد نال حظاً كبيراً من الدراسات والبحوث ، وتبعاً لذلك نال القصص القرآني ، كتابات كثيرة ، ضابط تصنيفها الوجهة التي كُتبت ضمنها أو التي تغلب على طابعها العام ، وربما أمكن تصنيف ما توفّر لديّ من كتابات حول ذلك في التالي :

١- كتابات تفيد الوجهة القرآنية :

وأقصد بذلك ، الكتابة عن القصة في إطار مصطلحات علوم القرآن ، من شرح لمعاني المفردات ، وذكر لما ورد في تفسيرها ، ثم ذكر لأسباب النزول ، وبيان القراءات ، وتناول موضوع القصة ، وجمال الأسلوب ، وروعة البيان ... إلخ ، مع التنبيه إلى أنّ هذه المحاور القرآنية في دراسة القصص القرآني لا يقصد توافرها جميعاً في الكتاب الواحد ، إذ قد يكتفي المؤلف بذكر طرف منها ، وقد يضيف إليها شيئاً من اللطائف واللفتات والإشارات ، وربما استخرج منها بعض الدروس والعبر في مواضيع شتى إيمانية ودعوية وتربوية وجهادية وتاريخية وغيرها ، ومن نماذج هذه الوجهة الكتابات التالية :

أ – القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته : د. فضل عبّاس :

منهجية تناوله للقصة القرآنية ، تعتمد جمع آيات القصة الواحدة ، من السور المختلفة ، ثم دراستها حسب السورة التي وردت فيها من حيث الموضوعات التي عالجتها والجزئيات والمشاهد، وترتيب ذكر هذه السور حسب ترتيب النزول اعتماداً على ما رجّحه كثير من العلماء وما اختاره صاحب الاتقان ؛ إذ يستنتج من هذا الترتيب بعض اللطائف ، مع إضافة تعقيب يحوي استنتاجات في نفس الإطار العام الذي انتهجه في دراسته ، قد يضمّنه إيحاءات ونفحات ربما أشار فيها إلى جوانب عقدية ودعوية وردت في القصص القرآني ، ولكنها لا تتجاوز مجال الإيجاز ، لأنّ منهجية التناول قائمة على العمومية دون تخصيص مجال بعينه في الدراسة ، ممّا أدى إلى عدم استيفائها حقّها من البحث والدراسة الشمولية المتكاملة ، انظر مثلاً (ص ٨٨– ٨٩) ، إذ تحدّث عن رابطة العقيدة ، ثم عن السمات الدعوية لشخصية نوح عليه السلام ، وكذلك انظر(ص ٢٣٦) ، إذ تحدّث عن التبعية وخطرها في قوم موسى ، ومن ثم ، فهذه الدراسة بالنسبة للمجال العقدي ، تُعدُّ نسبية ، بالإضافة للمنهجية التي سار عليها المؤلِّف في دراسته فهي منهجية تحليلية موضوعية عامة ، أما البحث المُعتمد في الدكتوراه فمنهجيته تحليلية دعوية عقدية ، وقد يستفيد من هذه الدراسة في عدّة أمور منها :

– الربط العام بين السورة والقصة التي وردت فيها ، خاصة عندما يكون المحور العام للسورة هو العقيدة .

– ربما أشير للفتات عقدية أثناء ذكر ترتيب نزول سورة قبل سورة بالنسبة للقصة التي وردت فيها .

- الإشارات إلى القضايا الإيمانية تمثّل الاستفادة المباشرة من الكتاب ؛ إذ يُمكن إدخالها أو تصنيفها ضمن مباحث العقيدة .

ب - مع قصص السابقين في القرآن : صلاح عبد الفتّاح الخالدي :

ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، ومنهجيته في التناول قائمة على الدراسة التحليلية الموضوعية للقصة القرآنية ، وقد اختار قصص السابقين من غير الأنبياء مثل قصة أم موسى ، مؤمن آل فرعون ، أصحاب الكهف ، سبأ ، مع استخراج الدروس والعبر واللفتات والدلالات والعظات واللطائف والإيحاءات في مواضيع شتى مثل الإيمان والدعوة والجهاد والأخلاق والتاريخ وغيرها ، ملتزماً بتوجه معيّن في البحث أوجزه في التالي : البقاء في جو النص القرآني في عرضه لتلك القصص ، والتثبت في إيراد تفسير الآية وعدم قبول الإسرائيليات ، مع الالتفات إلى الأبعاد الواقعية لتلك القصص ، والتركيز على الدروس الإيمانية والدعوية والجهادية والسُنَنيّة ، المستخرجة من القصص ، فمثلاً في (جـ ١/ ٨٨) ، ذُكر من بين الدروس نقاطاً تفيد في ذكر قضايا إيمانية تختص بأسماء الله تعالى وصفاته مثل الإرادة والقدرة والعزّة ، كما ذكر في (جـ١/ ١٤١) نقطة في التثبيت والنصر ، وتفويض الأمور إلى الله عزّ وجل ، وهكذا تقريباً لا تعدو القضايا العقدية المذكورة ضمن القصص القرآني التي أوردها أن تكون نقاطاً موجزة في صورة دروس أو عبر أو لفتات ، ومن ثم ، تكون السمة الدعوية العقدية في هذا الكتاب مفتقرة إلى شمولية العرض ، واستقلاليته ، والتي أرجو اتخاذها ضمن المنهج المعتمد في بحثي بإذنه تعالى ، وعلى ذلك يكون موطن الإفادة من هذه الدراسة ، في تلمّس النقاط التي أوردها ضمن القضايا الإيمانية سواء في صورة دروس أو لفتات ، وضمّها ضمن مباحث العقيدة في إطار دعوي عقدي مستقل .

٢- كتابات تفيد الوجهة التاريخية المجردة :

إذ تورد الروايات الواردة في القصة ، وبيان أحداثها ، في إطار سرد تاريخي ، من ذلك :

١- قصص الأنبياء : لابن كثير (٧٧٤ هـ).

٢- قصص الأنبياء : محمد أحمد جاد المولى.

٣- كتابات تفيد الوجهة الدعوية :

- كتاب معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، لعبد الوهاب بن لطف الديلمي (جـ١-٢) وهو من أبرز الدراسات ضمن هذه الوجهة ، والتي اتخذت سمة التناول الدعوي المباشر ، وسأفصّل في بيان منهجه ؛ لاتصاله المباشر بموضوع الدكتوراه الذي اخترت البحث فيه ، فقد كان الإطار العام الذي انطوت تحته موضوعات الكتاب ، هو فقه الدعوة ، وكان الإطار الخاص هو إبراز معالم الدعوة وتوضيحها من خلال دراسة أساليب الدعوة التي نهجها الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقد كانت منهجيته في العرض قائمة على إيضاح المعلم مع الاستشهاد عليه بآية أو أكثر ، ومن ثم فهو انتقى من القصص ما يفيد تمكين المعالم التي استخرجها ، ومن ثم لم يستقصِ جميع الآيات المتعلّقة بالقصة الواحدة .

وقد عرَض لموضوع الدعوة إلى العقيدة ، وركزّ على قضية التوحيد ويقصد بها الركن الأول من أركان الإيمان وهي الإيمان بالله ، فكان انتقاؤه لأسس الدعوة في القصص القرآني قائماً على ثلاثة أسس عقدية ، شملت الإيمان بالله والرسل

والبعث والجزاء (اليوم الآخر) ، وقد خصص لها باباً كاملاً ، ثم عرض لأسلوب البيان بالحجة والبرهان في الدعوة إلى التوحيد وخصّة بفصل ضمن باب أساليب الدعوة في القصص القرآني ، وربما أمكننا ضم حديثه في السنُن الإلهية في مواقف الأمم من الرسل وقضية انتصار الحق التي ختم بها كتابه ، ضمن الوجهة العقدية الدعوية ، لاعتمادها حقائق إيمانية يقينية ثابتة .

وقد كانت منهجيته في العرض محكومة بإطار إبراز معالم الدعوة ، دون التفصيل في قضايا العقيدة الأخرى ، أو تتبع آيات القصة القرآنية جميعها ، ومن ثم ، تكون الاستفادة من دراسته ، في تحليل ما أورده من قضايا عقدية في الدعوة سواء في أسس الدعوة ، أو أساليبها ، فربما أعيدت صياغتها في إطار آخر وتوظيفها ضمن تقسيمات أخرى تعرضها في صورة عقدية شمولية متكاملة ، ترتبط أركان العقيدة فيها بعضها ببعض ، في تسلسلٍ دعوي تربوي ، أي أنّ مباحثه التي اختصت بالجوانب العقدية ، تمثّل جانباً من ركنٍ من أركان الإيمان التي سيُبحث فيها إن شاء الله ، كما أنها فقط تتخذ صورة الأسس والأساليب ، وعلى هذا فمجال الإضافة والابتكار في عرض الجوانب العقدية فيه متّسع بالنسبة لما ورد في هذه الدراسة بعونه تعالى .

٤- كتابات تفيد الوجهة الإعلامية التربوية :

- الآفاق الفنية في القصة القرآنية : محمد ناجي مشرح :

وهو الذي توفّر لدي فقط في هذه الوجهة ، وقد تناول العناصر الإعلامية في القصة مثل المشاهد ، والجمهور ، وأشكال القصة ... إلخ .

٥- كتابات تفيد الوجهة الأدبية :

والتي تعنى بجوانب اللغة والبلاغة وغيرها من جوانب الأدب ، مثل :

١- خصائص القصة القرآنية : مأمون فريز جرار.

٢- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب.

* موقع الموضوع المُنتقى لبحث الدكتوراه من الكتابات المذكورة آنفاً :

يتبيّن لنا ممّا ذكر آنفاً ، أنّ معظم الكتابات السابقة ، قد ابتعدت عن الوجهة العقدية الخالصة أو المُجرّدة في دراسة القصة القرآنية ، وإن احتوى بعضها استخلاص أسس عقدية للدعوة أو دروس وعبر وإيحاءات إيمانية ، إلاّ أنّ بعضها كان محدوداً ضمن إطار التناول العام ، وبعضها طغى فيه جانب التنوّع الكبير في العرض العام للمواضيع المختلفة الواردة في القصة القرآنية على الجانب العقدي ، ومن ثم ، لم يُعطَ حقّه في كونه جانباً رئيساً في المنهج الدعوي في القصص القرآني ، إذ تتسم القصة في القرآن بمواطن دعوية عقدية تربوية ثريّة ، ولكن حتى الآن حسب علمي لم تحظَ هذه المفهومات العقدية بدراسات شمولية تبرزها كعنصر رئيسٍ فاعل في الدعوة إلى الله ، خاصة موضوعات أعمال القلوب ، فجميع أنبياء الله عزّ وجل ، تمثّلت فيهم عناصر بارزة من أعمال القلوب ، كان لها دورٌ بارزٌ في تثبيتهم في دعوتهم إلى الله ، ومعين كثير من أساليبهم وفقه تعاملهم مع أقوامهم ، من ثقة بالله تعالى ، ويقين بنصره ، وإنابة

صادقة إليه ، وصبر وغيرها من أعمال القلوب ، التي تعدّ من أهم المفهومات العقدية التي لا غنى للمسلم عنها في طريقه إلى الله ، فكيف بمن يدعو إلى الله تعالى ، ويبلّغ دينه ، ومن ثم ، رجوت من تخصيص هذا الموضوع بدراسة مستقلّة ، التوسّع في جانب فقه الدعوة في القصص القرآني ، مع الانضباط ضمن الوجهة الدعوية العقدية التربوية ، والتي تمثّلت في دراسة منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني .

سادساً : المشكلة التي تتناولها الدراسة :

إنّ من أهم الظواهر البارزة في واقع أمتنا المعاصر ، الانفصال البيِّن بين العقيدة والسلوك ، إذ لم تعد للعقيدة تلك الفاعلية والتأثير في ممارسات أفراد الأمّة ، بل في أحيانٍ كثيرة نجدها مفرّغة من معطياتها الإيمانية وآثارها التربوية ، وتبعاً لذلك ، برزت الحاجة الماسة إلى معالجة هذه الظاهرة سواء في جانب الفكر أم الممارسة ؛ لذا جاء اختيار هذا البحث ليمثّل محاولةً في خوض مجال الدراسات الجامعة بين العقيدة والدعوة ، من باب الربط بين أصول العقيدة وصورها في إطار دعوي يكفل لها سلاسة العرض ويسر الفهم والتطبيق ، رجاء إعادة فاعليتها وتأثيرها ، خاصة أنّ الأصول العقدية لم تنل دراسةً مستقلة – حسب علمي – في إطار الدعوة بصورة تبرزها عنصراً رئيساً في المنهج الدعوي خصوصاً في إطار القصص القرآني ؛ لغناه بالمفهومات العقدية ، ولمزيد تخصيص ذلك أشير إلى موضوع أعمال القلوب ، والذي لم ينل حظاً وافراً من البحث والدراسة سواءً بالنسبة إلى غيره من موضوعات العقيدة في الدراسات العقدية ، أم بالنسبة إلى الدّراسات الدعوية ، رغم أهميته في تهذيب النفوس وتحقيق فاعلية الأثر الإيماني التربوي للأصول العقدية فيها ، ومن ثم ، سيقوم هذا البحث – بعونه

تعالى - بالإسهام في حل هذه المشكلة من خلال دراسة منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني ، بُغية الإفادة من حياة الأنبياء ومنهجهم في الدعوة وتمثّلهم للأصول العقدية واقعاً فاعلاً في حياتهم ، ومحاولة إبراز ذلك كلّه - إن شاء الله - في إطارٍ سلسٍ مشوّقٍ يجذب المسلم لتمثّل الأصول العقدية فكراً وممارسةً في حياته .

سابعاً : تساؤلات البحث :

١- كيف استفادت الدعوة من القصص القرآني في عرض العقيدة ؟

٢- وهل طريقة الاستفادة هذه يمكن عدّها منهجاً في الدعوة إلى العقيدة ؟

٣- ما دور العقيدة في الدعوة الإسلامية ؟

٤- هل دراسة القصص القرآني ضمن إطار منهج الدعوة إلى العقيدة يكسبها خصائص بارزة متميّزة ؟

٥- ما ضوابط استخدام منهج القصص في الدعوة إلى العقيدة ؟

٦- ما النتائج التربوية للدعوة إلى العقيدة في القصص القرآني ؟

ثامناً : منهج البحث :

أ - ما يختص بجمع المادة :

١ - جمع المادة ضمن إطار منهجي دعوي ، ذي وجهةٍ عقدية ، ضمن مجال القصص القرآني .

٢- الاستعانة غالباً بأمهات التفاسير في إيراد الروايات ، مع الابتعاد عن الإسرائيليات ، وعدم اعتبارالروايات التي لا تخدم الوجهات العقدية وإن كثرت .

٣ - الاستفادة من الكتب التي أُلّفت في مجال فقه التعامل مع القرآن .

٤ - الاستفادة ممّا كتب في مجال القصص القرآني ، خاصة في المجال الدعوي والمجال العقدي .

ب - ما يختص بالدراسة والتحليل والعرض :

١- اعتماد المنهج التحليلي في الاستقاء من النصوص .

٢- التعامل مع النص بما يوافق قدسيته .

٣- التّمسك بمنهج السلف في الاستنباط والفهم ، والاعتماد على الكتب المتخصّصة في ذلك .

٤- محاولة الإمعان في ظلال النص ، مع الالتفات إلى الأبعاد العقدية والدعوية والتربوية .

٥ - مراعاة عدم التكلّف في تحميل النص أكثر من المعاني المحتملة .

٦- انتقاء الشواهد في ثنايا البحث ليس على سبيل الحصر ، وإنما حسب اجتهاد الباحثة في مظنّة قوّتها في الدلالة على المراد .

٧- عزو الآيات إلى مواضعها ، مع جعل العزو في الأصل دون الهامش .

٨- تخريج الأحاديث من مصادرها المعتمدة ، مع الاكتفاء بالعزو إلى مصدر واحد للحديث غالباً ، إن كان في الصحيحين أو أحدهما .

٩-ترجمَت الباحثة لمعظم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ، عدا الصحابة - رضوان الله عليهم - اكتفاءً بصحبتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهرتهم بذلك .

١٠- سوف لا تشير الباحثة إلى عبارة : (أولو العزم من الرسل) في ثنايا الرسالة لتخصيص المراد بقصص الأنبياء في البحث ، للاكتفاء ببيان ذلك في ذكر حدود البحث ، ومن ثم ، تجنّب الإطالة في العناوين أو العبارات .

١١- لقد التزمت الباحثة في الدلالة على :

أ- الاقتباس الحرفي ، بوضع النص المنقول بين علامتي تنصيص ، والإشارة إلى المرجع في الهامش .

ب- أما الاقتباس الحرفي مع التصرف فيه ضمن حدود أسلوب صاحب الكتاب الأصل ، فقد أشير إليه في الهامش ، بلفظ (بتصرف) ، وإن كان التصرف يسيراً جداً مثل إبدال كلمة أو إضافة كلمة أو حرف فإنه يشار إليه في الهامش بعبارة (بتصرف يسير) .

جـ- أما الاقتباس غير الحرفي ، فلم يُحصر بين علامتي تنصيص ، وإنما اكتُفي بالإشارة إلى المرجع في الهامش مسبوقاً بلفظ (انظر) للدلالة على أنّ الاقتباس بالمعنى من نفس المرجع .

د- أما عندما تكون الفكرة من الباحثة ، ويوجد ما يعزّزها في المراجع الأخرى ، في بعض عناصرها ، فإنه يشار لهذه المراجع في الهامش مسبوقة بلفظ (راجع) . [١]

١٢- التزمت الباحثة في ترتيب المصادر والمراجع في الهامش ، حسب قربها من النص أو المعنى المقتبس .

١٣- في فهرس المصادر والمراجع استخدمت الباحثة الرموز التالية :

(د .م) وتعني : دون مكان للنشر ، (د .د) دون دار للنشر ، (د.ت) دون تاريخ للنشر ، (د.ط) دون تحديد للطبعة ، وقد يجتمع أكثر من رمز أحياناً مثل : (د/ ط.ت) وتعني دون تحديد للطبعة أو تحديد لتاريخ النشر .

تاسعاً : خطة البحث :

المقدّمة : وتشمل :

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

٢- بيان المصطلحات الواردة في العنوان .

٣- أهداف البحث .

٤-حدود البحث .

٥- الدراسات السابقة .

[١] انظر ما التزمته الباحثة في هذا التوثيق للاقتباس من المصادر والمراجع : فاروق السامرائي : المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية ، ص ٩٦ – ٩٩ .

٦- المشكلة التي تتناولها الدراسة .

٧- تساؤلات البحث .

٨- منهج البحث .

٩- خطة البحث .

- شكر وعرفان .

التمهيد

مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية

أولاً : مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية عامة .

ثانياً : مكانة العقيدة في الدعوة من خلال وسيلة القصص القرآني :

- وفيه بيان أبرز موضوعات العقيدة الإسلامية في القصص القرآني :

القسم الأول : الإيمان بالله .

وفيه ثلاثة أنواع :

النوع الأول : توحيد الربوبية .

النوع الثاني : توحيد الألوهية .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

القسم الثاني : بقية أركان الإيمان .

ويشمل : أولاً : الإيمان بالملائكة .

ثانياً : الإيمان بالكتب .

ثالثاً : الإيمان بالرسل .

رابعاً : الإيمان باليوم الآخر .

خامساً : الإيمان بالقدر خيره وشرّه .

الباب الأول

خصائص القصة القرآنية في منهج الدعوة إلى العقيدة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : خصائص الأهداف :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أهداف القصص القرآني .

المبحث الثاني : خصائص أهداف القصص القرآني .

الفصل الثاني : خصائص الموضوعات .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موضوعات القصص القرآني .

المبحث الثاني : خصائص موضوعات العقيدة في القصص القرآني .

الفصل الثالث : خصائص الوسائل .

ويشمل توطئة ، ثم بيان خصائص وسيلة القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة .

الباب الثاني

ضوابط استخدام منهج القصص في الدعوة إلى العقيدة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ضوابط الأهداف .

الفصل الثاني : ضوابط الموضوعات .

الفصل الثالث : ضوابط الوسائل .

الباب الثالث

النتائج التربوية للدعوة إلى العقيدة في القصص القرآني

وفيه فصلان :

الفصل الأول : النتائج التربوية في جانب الاعتقاد .

الفصل الثاني : النتائج التربوية في جانب الممارسات .

الخاتمة :

و تشمل النتائج والتوصيات التي توصّل إليها الباحث .

الفهارس :

وتشمل فهارس الآيات ، والأحاديث ، والمصادر والمراجع ، والموضوعات .



شكــــــر وعرفـــــان

أتقدم بالشكر والتقدير إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة الراعية لمسيرتي العلمية ، وأخص بالشكر والعرفان معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي ، الرئيس الأعلى لجامعة الإمارات ، الذي كانت له اليد الكريمة في تيسير أموري الأكاديمية .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى المملكة العربية السعودية وجهودها الطيبة في نشر العلم النافع ودعم الجامعات الإسلامية ، وأخص بالشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وأخص بالشكر والتقدير كلية الدعوة والإعلام / قسم الدعوة والاحتساب، لما لمسته منهم من تعاونٍ جمٍّ ، وكريم خصال .

كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى حضرة المشرف الأستاذ الدكتور زيد عبدالكريم الزيد ، على كريم خصاله ، وجميل تعاونه ، وحسن إرشاده وتوجيهاته ، فجزاه الله خيرا وأجزل مثوبته .

وأخيرا أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم في إسداء المعونة لي وتشجيعي وإرشادي ، في مجال دراستي العليا ، وأخص منهم حضرة الأستاذ الفاضل الدكتور فاروق السامرائي ، وحضرة الأستاذ الفاضل الدكتور أحمد العليمي ، وحضرة الأستاذ الفاضل الدكتور عامر حسن صبري ، فعسى الله أن يجزيهم خير الجزاء ويجزل مثوبتهم .

التمهيـــد
مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية

أولاً : مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية عامة .

ثانيا :مكانة العقيدة في الدعوة من خلال وسيلة القصص القرآني .

مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية

أولاً : مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية عامّة :

إنّ العقيدة تمثّل القاعدة الأساس في بناء الدين الإسلامي ، والذي يشمل جانبين وهما العقيدة والشريعة واللذان تتفرع منهما سائر الجوانب الأخرى في الدين ، فالعقيدة الإسلامية تتمثّل في الأصول العقدية ، وهي أركان الإيمان الواردة في تعريف الإيمان الذي أخبر عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل المشهور ؛ إذ ورد فيه سؤال جبريل -عليه السلام- : « فأخبرني عن الإيمان » فقال -صلى الله عليه وسلم- : « أن تُؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَر خيرِه وشرِّه » [1] ، والتي تسمى بعلم العقيدة أو أصول الدين ، أما الشريعة الإسلامية فهي النظام الذي ينبثق عن هذه الأصول العقدية ويقوم عليها ، ففيه بيان الكيفية الشرعية للشعائر التعبدية ، والمعاملات ، وقواعد الأخلاق وغيرها من جوانب الشريعة التي تتعلّق بكل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطاتهم وعلاقاتهم والتي تسمى بالأحكام الفرعية أو العملية وهي الداخلة في علم الشرائع والأحكام . [2]

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ١، ص ٢٧ ، كتاب (٢) الإيمان ، باب (٣٦) ، ح ٥٠ / مسلم : صحيح مسلم ، جـ١ ، ص ٣٧ ، كتاب (١) الإيمان ، باب (١) ، ح١ (واللفظ لمسلم) .

[2] انظر : عثمان ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص ٣١- ٣٢ .

والصلة بين العقيدة والشريعة في الإسلام قويّة متينة ، فهما جانبان متلازمان ، « يتحدّان في المسمى العام للإسلام ، والإيمان ، والدين ... وكل منهما يتصل بالآخر ، فالفروع (الشريعة) لا تقوم إلاّ بالأصول (العقيدة) ، ولا تثمر الأصول إلاّ بالفروع » [1] ، **فإذن العقيدة هي الأساس والأصل الذي تُبنى عليه الشريعة ، وعلى قدر سلامتها وقوّتها تكون الاستقامة على دين الله والعمل بشرعه** ، قال تعالى : << إنّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تَتنزّلُ عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون >> [فصّلت : ٣٠] أي الذين « وحدّوا الله وأخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله على ما شرع الله لهم » [2]، فالاعتقاد الحق والإقبال على العمل الصالح هما سبب الفوز في الدنيا والآخرة [3] ، فعن سفيان بن عبدالله الثقفي قال :« قلت يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً ، لا أسألُ عنه أحداً بعدك ، قال : « قل آمنتُ بالله فاستقِم » » [4] ، « وهذا من جوامع كلمه – صلى الله عليه وسلم – وهو مطابق لقوله تعالى : << إنّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا >> أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك » [5] .

---

[1] ناصر العقل : التلازم بين العقيدة والشريعة ، ص ١١ .

[2] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٨٩ (بتصرف يسير) / وانظر: ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ٢٤ ، ص ٢٨٢ .

[3] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ٢٤ ، ص ٢٨٤ – ٢٨٥ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٨٩ .

[4] مسلم : صحيح مسلم ، جـ١ ، ص ٦٥ ، كتاب الإيمان (١) ، باب (١٣) ، ح ٦٢ .

[5] النووي : شرح صحيح مسلم ، مج ٢ ، ص ٩ .

فبناء العقيدة السليمة في نفوس المسلمين مطلب رئيس لتحقيق الاستقامة على منهج الله والثبات عليه ، ومن هنا تبرز مكانة العقيدة في الدعوة الإسلامية ، فهي الأساس في الدعوة إلى الله ، لذا كانت فاتحة دعــوة الرسل جميعاً – عليهم الصلاة والسلام – ، قال تعالى : << وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون >> [الأنبياء : ٢٥] ، فأول ما دعت إليه رسل الله هو عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن ثم ، كان للعقيدة مساحة واسعة في الدعوة ، ناهيك عن حيازتها المقام الأول في دعــوة الناس إلــى الله ، فمنها ينطلق المؤمن في تسيير شؤون حياته كلها ، وبها يضبط مسيرته ، ويوجه سلوكه ، ويحقق الغايـــة من وجوده وهي تحقيق العبودية الخالصـــة للــه ، قــال تعــالى << ومــا خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليـعـبـدون >> [الذاريات : ٥٦] ، والعقيدة هي أساس بناء التصور ، تصوّر المسلم عن الوجود كله ، عن الله ، والكون ، والحياة ، والإنسان ، ومن ثم ،إذا استقامت عقيدة الإنسان في ذلك كله ، واستقام تصوّره ، فسيستقيم سلوكه ، وتنضبط ممارســاتـــه وفـــق مقتضيــات الإيمـــان باللـــه وتوحيــده وتطبيق منهجـــه في هذه الحياة الدنيا ، ليفوز بخيري الدنيا والآخرة ، وهذا من أسمـــى وأعلـــى أهـــداف الدعـــوة الإسلاميـــة .[1]

ثانياً : مكانة العقيدة في الدعوة من خلال وسيلة القصص القرآني :

بما أنّ البحث في هذه الرسالة محدّد بوسيلة القصص القرآني في الدعوة

---

[1] راجع : عثمان ضميرية : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص ٣١ . ١٣٠ / سيد قطب : مقوّمات التصوّر الإسلامي ، ص ٤١ / الفوزان : محاضرات في العقيدة والدعوة ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ / مفيد خالد عيد : العلاقة بين الفقه والدعوة ، ص ٢٢١.

إلى العقيدة ، فإنّ المقام يستلزم بيان مكانة العقيدة في القصص القرآني ، والتي بدورها تُبرز مكانتها في الدعوة الإسلامية ، **وقد ارتأيتُ بيان ذلك من خلال عرض أبرز موضوعات العقيدة الإسلامية الواردة في القصص القرآني** ، وتفصيل هذا البيان ؛ بُغية الاستفادة منه في جانبين ، **أحدهما** : بيان مكانة العقيدة الإسلامية في الدعوة من خلال وسيلة القصص القرآني ، كماً ونوعاً ، **والجانب الثاني** ، هو التمهيد للأبواب التالية بتقديم القاعدة التي يمكن للباحثة الاعتماد عليها في الاستنباط ، في مجال الخصائص ، والضوابط ، والنتائج التربوية ، مع مراعاة الوجهة العقديــــة الدعوية في تدوين هذه الموضوعات ، والتي سيكون إيرادها وفقاً لترتيب أركان الإيمان الواردة في تعريف الإيمان الذي أخبر عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم - في حديث جبريل المشهـــور الذي سبق ذكره ، وسيتم تقسيم هذا البيان التفصيلي إلى قسمين : **الأول** و يتعلّق بالركن الأول للإيمان وهو الإيمان بالله ، **والثاني** ويتعلّق ببقية أركان الإيمان .

وبيان ذلك على النحو التالي :

– بيـان أبرز مـوضـوعـات الـعـقـيـدة الإسـلامـيـة فـي القصص القرآني :

القِسم الأول :

الإيمـان باللـه

قبل البدء في بيان المقصود بالإيمان بالله ، سأتطرّق إلى تعريف الإيمان في اللغة وفي الاصطلاح ، كما يلي :

أ- الإيمان في اللغة :

معناه التَّصْدِيقُ ، وقد يأتي بمعنى الثِّقَة .[1]

ب -الإيمان في الاصطلاح :

يعني التصديق المتضمن القبول والإذعان ، وهو تصديق بالجَنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان ، ويشمل القول والعمل والنية ، لا يجزيء واحد من الثلاثة عن الآخر .[2]

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة أمن ، جـ١، ص ١٤٠- ١٤٣ .

[2] انظر : محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١، ص ٢٦ / إبن أبي العزّ الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣٢ / ابن تيمية : الإيمان ، ص ٢٩٢ .

جـ- المقصود بالإيمان بالله :

الاعـتـقـاد الجـازم مـن دون ريـب بـوجـود الله ، وبـقـدرتـه المطلقـة على الخلق والتدبير والتصرف ، فهو المستحق وحده للعبادة ، وعبادة غيره باطلة ، قال جلّ شأنه : << ذلك بأن الله هو الحقّ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العلي الكبير >> [الحج : ٦٢] وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال ، منزه عن كل نقص وعيب .[1]

و توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .[2]

وسيأتي بيان تفصيل هذه الأنـواع في التالي :

---

[1] انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧ / عبدالرحمن السعدي : التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥ / محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ١٥ .

[2] انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧ .

أنـــواع التوحيـــد

النـــوع الأول

تـوحيـد الـربـوبيـــة

أولاً : تعريفه في اللغة والاصطلاح :

أ- التعريف في اللغة :

١- **التوحيد لغة** : يدور مفهوم التوحيد حول معاني الوحدة والانفراد ، ونفي التعدد .[1]

٢- **الربوبية لغة** : مأخوذة من لفظة الربّ ، و « الرَّبُّ يُطلَق في اللغة على المالِكِ ، والسيِّد ، والمدبِّر ، والمربِّي ، والقيِّم ، والمُنْعِم »[2] .

ب- التعريف في الاصطلاح :

١- **التوحيد اصطلاحا** : « إفراد الله -عز وجل- بما يختص به ويجب له »[3] .

٢- **الربوبية اصطلاحاً :**

« هي الوصف الجامع لكلِّ صفات الله ذات العلاقة والأثر في مخلوقاته ،

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة وحد ، جـ٦ ، ص ٤٧٧٩-٤٧٨١ .

[2] ابن منظور : لسان العرب ، مادة ربب ، جـ٣ ، ص ١٥٤٦ .

[3] محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١ ، ص ٣٦ .

واسم الربّ هو الاسم الدّال على كل هذه الصفات ، إذ التربية الحقيقية لكل شيء في الوجود سوى الله عز وجل -سواء بخلقه ابتداءً أو بمتابعة بقائه وإمداده ورعايته وتنميته دواماً - هي صفة من صفات الله عز وجل لذلك كان سبحانه هو ربّ العالمين » [1] .

٣- المقصود بتوحيد الربوبية :

« هو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنه ربّ كل شيء ومليكه » [2] .

«والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطر لا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم << ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله >> [الزخرف : ٨٧] » [3] ؛ لذا يشير إليه الأنبياء في معرض دعوتهم إلى توحيد الألوهية تدعيماً لهذا التوحيد ودلالة عليه ، وعادة ما يكون في إطار ذكر الخلق والملك والتدبير [4] ، وإرجاع ذلك لله وحده لا شريك له مثل قول إبراهيم عليه السلام لقومه إذ قال تعالى : << قال أفرأيتُم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقْدَمون . فإنَّهم عدوٌّ لي إلاّ ربَّ العالَمِين . الذي خلَقَني فهو يهدين . والذي هويُطْعِمُني وَيَسْقِينِ . وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِ . والذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِين >> [الشعراء : ٧٥- ٨١] فقد أفرد الله تعالى في الخلق والرزق والمعافاة والإحياء والإماتة وهي مما تدخل في توحيد الربوبية ، وكذلك

---

[1] عبدالرحمن الميداني : ابتلاء الإرادة ، ص ١٦٦ (بتصرف يسير) .

[2] صالح الفوزان : من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص ١٣ / وانظر : التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية : مروان القيسي ، ص ١٦ / محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١، ص ١٨ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧ .

[3] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧ .

[4] انظر : محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١، ص ١٨ .

<< قال بل ربُّكُم ربُّ السموات والأرضِ الذي فَطَرَهُنَّ وأنا على ذلِكُم من الشاهدِين >> [الأنبياء : ٥٦] وفطرهنَّ : أي « خلقهنَّ » [1] ، وفي محاجَّة النمروذ لإبراهيم - عليه السلام - دلالة واضحة على توحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله ولا مصرّف ولا مدبر ولا مالك إلا الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : << ألم تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ أنْ آتاهُ اللهُ الملكَ إذ قال إبراهيمُ ربّي الذي يُحيي ويُميتُ قال أنا أحيي وأميتُ قال إبراهيمُ فإنَّ الله يأتي بالشمْسِ من المشرقِ فأتِ بها من المغربِ فبُهِتَ الذي كفَرَ واللهُ لا يهدي القومَ الظالِمين >> [البقرة : ٢٥٨] وهنا استدل إبراهيم - عليه السلام - على وحدانية الله تعالى وإبطال إلاهية غيره وأنّه ربّ كل شيء ومليكه ، ببيان انفراد الله عز وجل بالإحياء والإماتة ، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس [2]، كما ورد في ذلك سؤال فرعون لموسى - عليه السلام - عن ربّ العالمين ، قال تعالى : << قال فمن ربُّكُما يا موسى . قال ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثمَّ هدى >> [طه : ٤٩- ٥٠] فأجاب موسى عليه السلام بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات ، مبيّناً أنّ الله هو الذي خلق الخلْق ، وأعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به المطابقة له كالرجل للمشي ، واللسان للنطق ، والعين للنظر وهكذا ، وقيل أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه ، ويرتفقون به ، وهداهم إلى طرق الانتفاع بما أعطاهم [3].

---

[1] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٥ ، ص ٢٦٣ .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسيرالتحرير والتنوير ، مج ٢، جـ٣ ، ص ٣١ .

[3] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ / ابن عاشور : تفسيرالتحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٣٢ .

ثانياً – من أبرز مظاهر الربوبية :

١- السنـــن الإلهيـــــة :

من أبرز صفات الله عزّ وجل الدالّة على ربوبيته صفة الخلْق وما تميّزت به من اتقان وبديع صنعٍ لا يكون إلاّ من ربّ العالمين ، فالله عزّ وجل هو الذي خلق المخلوقات ومن عظيم اتقانه أن سنّ لها قوانين وسنناً ثابتة عليها مدار انضباطها ، وهذه السنن لا يمكن إضافتها لغير الله سبحانه وتعالى ؛ لأنّه هو المتفرد بالربوبية وحده لا شريك له . (١)

وربما أمكن تقسيم هذه السنن إلى نوعين (٢) :

أ- سنن عامّة :

تخضع لها جميع الكائنات في وجودها المادي وما يمر بها من حوادث مادية ، كنمو الإنسان وحركته ومرضه وما شابه ذلك ، وما تقع من حوادث كونية كنزول المطر وتعاقب الليل والنهار وغيرها من متعلّقات الوجود المادي لمخلوقات الله عز وجل ، ولقد وجّه الأنبياء والرسل أقوامهم إلى المشاهدة والنظر والتأمّل والتفكّر في مثل هذه السنن التي تتضمن دلالات كبيرة على عظمة الخالق وحسن تدبيره وبديع خلقه ، حتى يستيقنوا أنّ الله هو الخالق العظيم ، وأنّ كل ما في هذا الكون خاضع لأمره وتدبيره عز وجل وفق سننه ونظامه وقوانينه التي وضعها بقدرته وحده لا شريك له ، ومن ذلك قول نوح (٣) – عليه السلام – لقومه :

---

(١) انظر : مروان القيسي ، معالم التوحيد ، ص ٣٠ .

(٢) انظر هذا التقسيم : عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٧ – ١٢ (بتصرف) .

(٣) وانظر طرفاً من أقوال الأنبياء لأقوامهم مثل إبراهيم وموسى عليهما السلام [الأنبياء : ٥٦ /=

<< ... ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً . وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً . والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يُعيدكم فيها ويُخرِجُكُم إخراجاً . والله جعل لكم الأرض بساطاً . لتسلكوا منها سبلاً فِجاجاً >> [نوح : ١٥-٢٠] .

ب- سنن خاصّة :

تتعلق بخضوع البشر لها باعتبارهم أفراداً وأمما وجماعات ، خضوعاً يتعلّق بتصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة ، وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج ، كالسعادة والشقاء ، والعز والذل ، والقوّة والضعف ، والنصر والهزيمة ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا ، وما يترتب عليها من جزاء في الآخرة سواء كان عذاباً أو نعيماً ، ومن ذلك قوله تعالى : << قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين >> [الأعراف : ١٢٨] أي الخاتمة المحمودة أو النهاية في الدنيا والآخرة لمن اتقى الله [1] ، وكذلك ما ورد في القرآن حول غزوة أحد مثل قوله تعالى : << إن ينصركم الله فلا غالب لكم >> [آل عمران : ١٦٠] .

ومن سمات هذه السنن بنوعيها الثبات والاطراد والعموم ، قال تعالى : << ولن تجد لسنّة الله تبديلا >> [الأحزاب : ٦٢] أي لن تجد لها تحويلاً وتغييراً ، بل هي ثابتة دائمة [2]، فما من نبي إلا أرشد قومه إلى هذه السنن ، بُغية توحيد الخالق ، وخاصة النوع الثاني منها التي تتعلّق بالأحوال الاجتماعية ففي الاعتبار والاتعاظ بها تتحقّق الاستقامة المطلوبة في سلوك البشر ، وتتحقق

= العنكبوت : ١٩- ٢٢ ، طه : ٥٣- ٥٤] .

[1] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢١١ / وهبة الزحيلي : التفسير الوجيز ، ص ١٦٦ .

[2] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٦٠ .

الضوابط المرجوة في سبيل تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل ، لذا فقد كان من أهداف إيراد القصص في القرآن الكريم الاتعاظ بما جاء فيها من ذكر لهذه السنن ، وهنا ساورد طرفاً من السنن الخاصة التي ورد ذكرها في قصص أولي العزم من الرسل ، وترتيبها في التالي [1] :

١- سنّة الله في الأسباب والمسبّبات :

ويُقصد بها « ربط المسبّبات بأسبابها والنتائج بمقدّماتها » [2] ، والله عزّ وجل هو خالق هذه الأسباب ومسبّباتها ، فهو تعالى الذي جعل هذه النسبة بين السبب والمسبب عنه ، لذلك فالمرء يأخذ بالأسباب من باب تقدير الله لها ، فيسعى في تحصيلها ويراعي شروطها ؛ بُغية تحقيق مراد مسببها، كما قدّره الله بعلمه وحكمته التي اقتضت ذلك ، ولكنه لا يتعلّق بها لأنها إنما جُعلت كذلك بإرادة الله ومشيئته ، والله عزّ وجل قادر على فصل السبب عن المسبب كما في سلب النّار خاصية الإحراق في قصة إبراهيم – عليه السلام – قال تعالى : << قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم >> [الأنبياء : ٦٩] ، وكذلك في مولد عيسى – عليه السلام – من دون أب قال الله تعالى عن مريم – عليها السلام – يوم بشّرت بعيسى : << قالت ربّي أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون >> [آل عمران : ٤٧] ، ومن ثم ، يكون تعلّق المرء بالله عزّ وجل خالق الأسباب ومسبّباتها ، فيتوكّل على الله حق التوكل ويوقن أنّ تصريف الأمور بيد الله أولا وأخيراً سواء وُجِدت هذه الأسباب أم لم توجد ، ومن ثم ، يكون سعيه في الأخذ بها طاعةً لله عز وجل ، وتوافقاً مع ما قدّره

---

[1] لقد تمت الاستعانة بكتاب عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، في استقاء بعض ما جاء في مادة هذه السنن وعنوانيها .

[2] عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٢٢ .

في هذه الحياة ، « فالأسباب المخلوقة والمشروعة هي من القدر قيل لرسول الله – صلى اللــه عليـــه وسلـم – : « أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقي بها ، وتُقىً نتّقيها، هل تردّ من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله »[1] ، فيأخذ بالأسباب طاعة لله وتوكلاً عليه فيكون « حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها » [2] ، ومن ذلك أيضاً ما رتّبه الله عز وجل على المعاصي والطاعات ، قال تعالى : << من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها ...>> [الأنعام : ١٦٠] ، و << من يعمل سوءاً يجزَ به >> [النساء : ١٢٣] ، وقوله تعالى فيما تكون التقوى سببا له << إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عن سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم >> [الأنفال : ٢٩] « فالتقوى ، وهي مخافة الله ومراقبته في الاعتقاد والقول والعمل تكون سبباً في اكتساب ملكة التمييز الدقيق بين ما هو حق وما هو باطل ، وبين ما هو حسنة وما هو سيئة ، إذن فالفرقان ، الذي هو من ناتج التقوى ، هو الحكمة التي لا تخطيء هدفها ولا تخسر نتائجها بل تزداد كسباً ، << فمن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب >> [الطلاق : ٢-٣] ، << ومن يتقِ الله يجعل له من أمره يسراً >> [الطلاق : ٤] »[3]، فالتقوى جُعلت – بإرادة الله ومشيئته – سبباً لحسنات كثيرة ينالها المؤمن إذا اتقى ربه حقّ تقاته ، وهذه سنّة إلهية ثابتة في حقّ كل من اتقى الله عز وجل ، وهكذا غيرها من الأمثلة في الهدى والضلال ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، أي في كل ما جعل الله بينهما رابطاً في إطار مقدّمة ونتيجة ، أوسبب ومسبّب عنه .

---

[1] ابن ماجه : سنن ابن ماجه . جـ٢ ، ص ١١٣٧ ، كتاب (٣١) طب ، باب (١) ، ح ٣٤٣٧ / وانظر : مسند أحمد ، جـ٣، ص ٤٢١ / سنن الترمذي ، جـ٤ ، ص ٣٤٩ ، كتاب (٢٩) الطب ، باب (٢١) ، ح ٢٠٦٥ .

[2] عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٣٣ .

[3] أحمد مختار البزرة : في إعجاز القرآن ، ص ١٤٥ – ١٤٨ (بتصرف يسير) .

-أهميـة سنّة الله في الأسباب :عدّها بعض العلماء قاعدة لسنن الله الأخرى، إذ لا تخلو سنّـة من سبب ومسبب سواء كان ذلك ظاهراً بصورة مباشرة أو غير مباشـرة،قال ابن تيـمـيـة[١]:«ليس في الدنيا والآخرة شيء إلاّ بسبب،والله خالق الأسبـاب والمسببات»[٢]،لذا سيـرد ذكر باقي السنن في هذا الإطار، مع إفرادها بأسماء أوعناوين خاصة بها على سبيل التمييز وليس الاستقلال،وتجدر الإشارة كذلك إلى تداخل أكثر من سنّة تحت عنوان واحد كما سيتبيّن لنا ذلك فيما بعد .[٣]

٢- سنّة الله في التدافع بين الحق والباطل :

المقصود بالحق كل ما أمر الله به ، والباطل كل ما نهى الله عنه ، والتدافع هو : تنحيـة كل من الحق والباطل للآخر أو إزالتـه ومحوه بالقوة عند الاقتضاء ، وهذا التدافع ممثل في أصحابهما أي المؤمنين وغيرهم ، قال تعالى في أعقاب غزوة بدر : << إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبـون >> [الأنفال : ٣٦] ، وورد حول أحد قـوله تـعالى : << وكأيّن من نبي قاتل معه ربّيون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضَعُفوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين >> [آل عمران : ١٤٦] ، فكلٌّ يدفع الآخر بكل ما أوتي من قوّة ، ولكنّ سنّة الله عز وجل اقتضت في تدافع الحق والباطل أنّ الغلبة للحق وأهله ، والاندحار للباطل وأهله ، قال تعالى : << ويمحُ الله الباطل ويحق الحق بكلماته >> [الشورى : ٢٤] أي يمحوا الباطل ويثبت الحق بوحيه أو

---

[١] هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم ابن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي، الحنبلي تقي الدين أبو العباس ، ولد سنة (٦٦١هـ) ، الإمام ، العلاّمة ، الفقيه ، المُفتي، المفسّر ، الحافظ ، المحدث ، شيخ الإسلام ، نادرة العصر ، ذو التصانيف والذكاء ، توفي سنة (٧٢٨هـ). انظر ترجمته : ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ١، ص١٤٤-١٦٠ ، ترجمة ٤٠٩ / الكتبي : وفات الوفيات ،جـ ١ ، ص ٧٤-٨٠ ، ترجمة ٣٤ .

[٢] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ٨ ، ص ٧٠ .

[٣] انظر : عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٣٣ .

بقضائه [١] ، وقال تعالى عن تحدّي فرعون لموسى – عليه السلام – بالسحرة وما يقومون به من السحر : << إنّ الله لا يُصلِح عمل المفسدين ويُحِقُّ الله الحقَّ بكلماته ولو كره المجرمون >> [يونس : ٨٢]« وهذه قاعدة عامّة مبيّنة لسنّة الله في تنازع الحق والباطل والصلاح والفساد ويدخل فيها سحر سحرة فرعون فإنّه باطل وفساد ، أي لا يجعل عمل المفسدين صالحاً » [٢] . [٣]

والأيام دوَل بين النّاس كما قال تعالى إثر غزوة أحد وما حاق بالمسلمين من هزيمة : << إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين النّاس وليَعلم اللهُ الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين . وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين >> [آل عمران : ١٤٠– ١٤١] ، فهذا التداول من سنن الله في ابتلاء المؤمنين ، ليتميّز الصفّ ويزول الغبش .

٣– سنّة الله في نصر المؤمنين وأنّ العاقبة والاستخلاف لهم :

قال تعالى : << إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد >> [غافر : ٥١] قال ابن كثير[٤]: « وهذه سنّة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقرّ أعينهم ممن آذاهم ... وقد كان الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها » [٥] ، إذ النصر

---

[١] الزمخشري : الكشاف ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ .

[٢] محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، جـ ١١ ، ص ٤٦٨ (بتصرف يسير) .

[٣] انظر : عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٤٣– ٤٨ . (بتصرف)

[٤] هو عماد الدين إسماعيل بن كثير البصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ولد سنة (٧٠١هـ) ، الإمام ، المفتي ، المحدّث ، البارع الفقيه ، المفسّر ، من شيوخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، لازمه ، وأحبه حباً عظيماً ، له تصانيف مفيدة منها التفسير المشهور، و التاريخ المشهور، توفي سنة (٧٧٤هـ) ، انظر : ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ١، ص ٣٧٣– ٣٧٤ ، ترجمة ٩٤٤ / الشوكاني : البدر الطالع ، جـ ١، ص ١٥٣، ترجمة ٩٥ .

[٥] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ٧٦ .

ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة ، فهذه صورة من صور النصر الكثيرة ، إذ النصر في حقيقته نصرٌ للعقيدة في إعلانها وصمود أهلها ، ولو استبسلت النفوس في ذلك وزهقت ، قال تعالى : << ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ... >> [آل عمران : ١٦٩- ١٧٠] .[1]

وقد جاء القصص في القرآن مبيِّناً كِلا حالات النصر الظاهرة والخفية ، ليكون للمؤمنين رصيد ضخم وهائل في ردّ الظلم ودحر الباطل ، وإحقاق هذا الدين ، وقدوتهم في ذلك من سبقهم من الأنبياء والمرسلين وأقوامهم المؤمنين ، وسنّة الله في نصرهم ، فمن ذلك انتصار الله عز وجل لنوح - عليه السلام - يوم دعا ربّه << ... أني مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمرٍ . وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدِر . وحملناه على ذات ألواح ودُسُر . تجري بأعيننا جزاءً لمن كان كُفِر . ولقد تركناها آية فهل من مدكِر . فكيف كان عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر >> [القمر : ١٠-١٧] فكتب الله عز وجل له النجاة ومن معه من المؤمنين ، وأهلك أعداءه ، فكانت العاقبة والظفر للمتقين [2] ، وقوله عزّ وجل عن إبراهيم - عليه السلام - : << فأنجاهُ اللهُ من النّارِ إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون >> [العنكبوت : ٢٤] ، وعن موسى عليه السلام : << فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاقَ بآل فرعون سوءُ العذاب >> [غافر : ٤٥] ، ومن يتأمل سير الأنبياء مع أقوامهم وكيف نجاهم الله من الكيد والمؤامرات وكيف مكّن لبعضهم في الأرض وأورثهم إياها يرى معالم النصر واضحة ظاهرة .[3]

---

[1] انظر : سيد قطب : معالم في الطريق ، ص ١٩١، ١٩٤ / عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ٥٠ .

[2] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ١٩٥ .

[3] انظر : ابن تيمية ، كتاب النبوات ، ص ٤٠- ٤٣ .

٤ - سنّة الله في الفتنة والابتلاء :

أي في امتحان واختبار الناس بالشر والخير ، بُغية تمحيص مدى الصبر والشكر لديهم ، لينالوا الجزاء من الله على قدر ما يحصلّونه في هذه المحن والمنح من القيام بحق الطاعة والخضوع والامتثال لأمر الله فيهما ، ومجالات هذه السنّة الإلهية واسع جداً ، أعظمها الابتلاء في النفس ، بأن يكون الداعية في موقف لا يحتمل إلاّ أن يضحي بنفسه في سبيل دعوته ، و من أمثلتها : ابتلاء إبراهيم - عليه السلام - ببذل نفسه في سبيل دعوته إلى توحيد الله ، فقد أظهره الله على قومه بما أنعم عليه من الهداية إلى الدلائل المُفحمة ، والحجج والبراهين المدحضة ، وإبطال ما كانوا عليه من عبادة الأصنام ، خاصة ما قام به - عليه السلام - من تكسير أصنامهم << فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلّهم إليهِ يَرْجِعون . قالوا من فعلَ هذا بآلِهَتِنا إنّه لمنَ الظالِمين >> [الأنبياء : ٥٨- ٥٩] ، فثاروا لفعلته هذه ، وكادوا له ، وواجهوه بها ، فدحضهم مرّة أخرى ، وأفحمهم بأن أرجع التهمة لكبير الأصنام ، وطلب منهم سؤال هذه الأصنام عن الفاعل : << قال بل فعلَه كبيرُهُم هذا فإسألوهم إنْ كانوا ينطِقون >> [الأنبياء : ٦٣] ، حينئذٍ انقطعت حجتهم ، واستيقنوا بجهلهم وظلمهم لأنفسهم ، ولكنهم كمن أخذته العزّة بالإثم ، فرجعوا إلى جهلهم وعنادهم ، وكادوا لمعاقبة إبراهيم - عليه السلام - على فعلته هذه ، نصرةً لآلهتهم المزعومة ، فبنو بنياناً ليحرقوه فيه << قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم >> [الصافات : ٩٧] ، و << قالوا حرِّقوهُ وانصُروا آلِهَتَكُم إنْ كنتم فاعلين >> [الأنبياء : ٦٨] ، فكانت ردّة فعلهم شديدة عنيفة ، بأن اختاروا أشدّ العقوبات وهي الإحراق بالنّار ، بل طلبوا المبالغة في إحراقه ، كما يدل على ذلك قولهم << حرِّقوه >> ، فكان البلاء العظيم لإبراهيم - عليه السلام - في الدعوة ، أيصمد ويضحي بنفسه في سبيل

دعوته إلى توحيد الله ، أم يضعف ويتراجع مخافة التحريق بالنّار ، إنّه ابتلاء شديد ؛ لأنّ العقوبة شنيعة ، ولكنّه إبراهيم – عليه السلام – الذي لا يخاف إلا الله ، ولا يرجو إلاّ الله ، ولا يدعو إلاّ إلى توحيد الله ، يصمد أمام كيدهم ، ويصبر ، فكان أن أُلـْقِيَ به في النّار ، وحينئذ تحقّق البلاء ، وأثبت إبراهيم – عليه السلام – بصبره صمود الداعية وثباته ، فكان أنْ نجّاه الله منها ، بأن سلبها خاصية الإحراق ، قال تعالى :<< قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسَرين >> [الأنبياء : ٦٩- ٧٠] فكانت النّار على إبراهيم بردا فلم تحرقه ، وسلاماً فلم تضره ببردها [1] .

٥ – سنّة الله في الظلم والطغيان :

ويُقصد بالظلم والطغيان : الجور ومجاوزة الحد [2] ، وهما ضد العدل ، وسنّة الله عزّ وجل فيمن يظلم ويطغى الهلاك في الدنيا والآخرة ، قال تعالى عن قومِ نوح – عليه السلام – : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون >> [العنكبوت : ١٤] ، وقال تعالى مخاطباً موسى – عليه السلام – : << اذهب إلى فرعون إنّه طغى >> [طه : ٢٤] أي إنه « عصى وتكبر وكفر وتجبّر وجاوز الحد » [3] ، وقد وصل طغيانه أنّ ادّعى الربوبية قال تعالى : << فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى >> [النازعات : ٢٣-٢٥] ، وقد أغرق الله عز وجل فرعون ومن اتبعه بظلمهم وطغيانهم فكانت عاقبتهم الهلاك المبين ، قال تعالى : << فأخذناه وجنودهُ

---

[1] انظر : الرازي : تفسير الرازي ، مج ١١ ، جـ٢٢ ، ص ١٦٢ – ١٦٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٢٦- ٤٢٧ .

[2] انظر : عبدالكريم زيدان : السنن الإلهية ، ص ١١٤ ، ص ١٨٩ .

[3] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١١، ص ١٩٢ .

فنبذناهم في اليمّ فانظركيف كان عاقبة الظالمين >> [القصص : ٤٠] .

٢ - المَعيّـــة الربانيـــة :

نؤمن أنّ « معية الله تعالى لخلقه معيّة تليق به ، فليستكمعية المخلوق بل هي أعلى ، وأكمل ، ولا يلحقها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق »[1] ، ومن ثم ، « ما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته - لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو علي في دنوه قريب في علوه »[2] ، ومعية الله عز وجل لخلقه من أبرز سمات الربوبية لله عز وجل وهي تنقسم إلى قسمين[3] :

١- معيّة عامة : وهي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، في العلم ، والقدرة ، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية ، ومن أمثلتها قوله تعالى : << وهو معكم أينما كنتم >> [الحديد : ٤] ، وهي من صفات الله الذاتية ؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً ، وهي تستلزم خشية الله في السرّ والعلن ؛ لاستشعار مراقبة الله عز وجل الدائمة .

٢- معيّة خاصة : وهي التي تقتضي النصر والتأييد والحفظ والعناية والتوفيق واللطف لمن أضيفت له ، وهي من الصفات الفعلية ؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها ، وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم ، ومن ذلك معيّة العناية والنصر والتأييد واللطف في قول موسى - عليه السلام - لبني

---

[1] ابن عثيمين : مجموع فتاوي ورسائل ، جـ ٤ ، ص ٤٧ .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ .

[3] انظر هذه الأقسام : ابن عثيمين : مجموع فتاوي ورسائل ، جـ ٤ ، ص ٤٦-٤٨ (بتصرف) / وانظر : مروان القيسي : معالم التوحيد ، ص ١٤٥-١٤٦ .

إسرائيل يوم أن فروا من فرعون ، وكاد أن يدركهم ويلحقهم هو وجنوده وهم قبالة البحر ، فأظهروا خوفهم ، قال تعالى : << ... قال أصحاب موسى إنّا لمدركون . قال كلاّ إنّ معـي ربيّ سيهديـن >> [الشعراء : ٦١-٦٢] فهنا « إسناد المعيّة إلى الربّ في << إنّ معي ربي >> على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه » [1] ، ومعيّة الحفظ كقول الله تعالى عن نبيه – صلى الله عليه وسلم – في حادثة الغار يوم هاجر إلى المدينة مصطحباً معه أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – : << إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا >> [التوبة : ٤٠] .

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مع ٩ ، جـ١٩ ، ص ١٣٥ .

النــــوع الثانــي

تــوحيـــدالألوهيــــة

أولاً : تعريفه لغة واصطلاحاً [1]:

١-الألوهيـة لغـة : مأخوذة من لفظة إله ، والإله : « اللهُ عز وجل ، وكلُّ مـا اتُّخِذَ من دونه مَعبـوداً إلهٌ عندَ مُتَّخِذِه ، والجمع آلهـة ... والإلاهَـةُ والأُلُوهَـةُ والأُلُوهِيَّـةُ الْعِبادَةُ » [2] .

٢- توحيد الألوهية اصطلاحاً :

« إفراد الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة » [3] .

ونعني بالعبادة الطاعة والخضوع [4] ، وهي « اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » [5]

---

[1] انظر تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح ، ص ٣٨ من الرسالة .

[2] ابن منظور : لسان العرب ، جـ١ ، ص ١١٤-١١٥ .

[3] محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١ ، ص ٢٠ ، وانظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣، ص ١٠١ / عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب : فتح المجيد ، جـ٢٧١ ، ص ٨٢ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٩ .

[4] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٧٧٦ – ٢٧٧٨ (بتصرف يسير) .

[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ١، ص ١٤٩ ، وانظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٠ / محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١ ، ص ٨٨ (إذ اعتبر هذا التعريف مفهوماً خاصاً للعبادة ، وعرّف المفهوم العام بـ : « التذلل لله محبة وتعظيمـا بفعـل =

ثانياً: توحيد الألوهية هو فاتحة دعوة الرسل :

فأول ما دعت إليه الرسل هو عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : << وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدون >> [الأنبياء : ٢٥] ، فهي المقولة الثابتة على لسان الأنبياء جميعاً ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين ، قال تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون >> [المؤمنون : ٢٣] << وإبراهيمَ إذ قال لقومه اعبُدوا اللهَ واتَّقُوه ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلَمون >> [العنكبوت : ١٦] ، وقال موسى<< يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين >>[يونس : ٨٤] ، << ... وقال المسيحُ يا بني إسرائيل اعبُدوا الله ربِّي وربكم إنَّه من يُشرِك بالله فقد حرَّم اللهُ عليه الجنَّة ومأواهُ النَّارُ وما للظالمين من أنصار >> [المائدة : ٧٢] ، وأما محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فكل ما ذكر سابقا من آيات جاءت فيما أوحي إليه في القرآن الكريم ، « فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم »[1] وربما أكفتنا دليلا في ذلك سورة الإخلاص والتي اشتهرت بهذا الاسم « لأنَّ فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله ، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيرَه

= أوامره ، واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه » كما ذكر تعريف من يقسِّم العبادة إلى عبادة كونية وعبادة شرعية « يعني أن الإنسان قد يكون متذللا لله – سبحانه – تذللا كونيا وتذللا شرعيا . فالعبادة الكونية : تشمل المؤمن والكافر ، والبر والفاجر << إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا >> [مريم : ٩٣] .وأما العبادة الشرعية : فهي التذلل له– سبحانه وتعالى – شرعا ، فهذه خاصة بالمؤمنين بالله القائمين بأمره ، ثم إن منها ما هو خاص أخص كعبودية الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، مثل قوله تعالى << تبارك الذي نزل الفرقان على عبده >> [الفرقان :١] .... وقوله <<واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق...>> [ص : ٤٥] » .

[1] ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٩ .

في الإلهية » [1] قال تعالى : << قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد >> . [2]

ثالثاً : وحدة العقيدة :

نلاحظ مما سبق ، وحدة ما دعا إليه الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهذا يؤكد أنّ << الدِّين عند الله الإسلامُ ... >> [آل عمران : ١٩] ، و أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى آخرهم ، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم كما قال تعالى << لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً >> ... وقال تعالى عن إبراهيم الخليل : << إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون >> [البقرة : ١٣١-١٣٢] ، وقال موسى << يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين >> [يونس : ٨٤] ، قال تعالى : << إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا >> [المائدة : ٤٤] ، << وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون >> [المائدة : ١١١] ، وقال تعالى مخاطباً محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو خاتم الأنبياء والمُرسَلين : << قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين >> [الأنعام : ١٦٢- ١٦٣] أي من هذه الأمة ، وقد بيّن – صلى الله عليه وسلم – أن أصل دين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، إذ قال : « أنا أولى الناس بعيسى بنِ مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء أخوةٌ لِعِلاّتٍ ، أمَّهاتُهُم شتّى

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٥ ، ص ٦٠٩ .

[2] انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٢ ، ص ١٣-١٤ ، جـ٣ ، ص ٩٤ / عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب : فتح المجيد ، جـ١ ، ص ٨١ ، ٨٧ ، ٨٩ .

ودينهم واحد »[1] وأولاد علاّت هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة ، أي شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع .[2]

رابعاً : أنــواع العبــادات :

لقد ذكرنا آنفاً أنّ توحيد الألوهية في حقيقته هو توحيد العبادة ، ومن ثم ، بيان تفصيلات هذا التوحيد يكون عن طريق بيان أنواع العبادات والمقصود من توحيدها ، وهو كما يلي :

- تنقسم العبادات إلى قسميــن :

العبادات التي مناطها القلب ، والعبادات التي مناطها الجوارح ، وذلك تبعاً لمُتعلّقها في الغالب ، وإلاّ فإنّ أعمال القلب كما سنرى تعدّ مرتكزاً في كل ما يتعلّق بالإيمان سواء كان في الاعتقاد أو القول أو العمل ؛ ولذلك جاء هذا التقسيم بُغية التخصّص وليس التمايز .

وبيان تفصيلها في التالي :

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٢٧٠ ، كتاب(٦٤) الأنبياء ، باب ٤٩ ، ح ٣٢٥٩ / وانظر : مسلم : صحيح مسلم ، جـ٤، ص ١٨٣٧، كتاب (٤٣) الفضائل ، باب ٤٠ ، ح ١٤٥ .

[2] انظر :ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ / ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٣ ، ص ٩٠ / ابن القيّم : بدائع التفسير ، مج ١ ، ص ٤٨٢ – ٤٨٣ .

أولا : العبادات التي مناطها القلب :

١- التصديق :

أ- تعريفه :

-لغة : من الصِّدْق : « نقيض الكذب ، ... وصدَّقَهُ : قَبِلَ قولَهُ ... » [1] ، و « الصِّدْقُ : مطابقةُ القولِ الضميرَ والمُخْبَرِ عنه معاً ... ويُستعمَل التَّصديقُ في كلِّ ما فيه تحقيقٌ ، يقال : صَدَّقَني فِعلُه وكتابُه » [2] .

-اصطلاحاً : وهو أول أركان الإيمان كما ورد في التعريف الاصطلاحي للإيمان « أنه تصديق بالجَنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان »، والمقصود به : الاعتقاد الجازم بأن الله ربُّ كلِّ شيء ومليكه وأنه الخالق وحده ، المدبِّر للكون كله ، وأنّه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال ، منزه عن كل نقص وعيب ، فهو متضمن للقبول والإذعان . [3]

ب- من أمثلته :

لقد وردت في قصص أولي العزم من الرسل مواقف كثيرة تبرز هذا الأمر وربما كان أبرزها ، موقف سحرة فرعون يوم أن اتُّهم فرعونُ موسى - عليه السلام - بالسحر وضرب له موعداً يتحدّاه بالسحرة الذين عنده ، فتواجه

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مادة صدق ، مج ٤ ، ص ٢٤١٧ - ٢٤١٨ .

[2] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

[3] انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧ / عبدالرحمن السعدي : التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥ /أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص ١١٣.

الطرفان ، قال تعالى في ذلك : << قالوا يا موسى إمّا أن تُلقيَ وإما أنْ نكون أول من ألقى . قال بل ألقُوا فإذا حبالُهم وعصيّهم يُخيلُ إليه من سحرِهم أنّها تسعى . فأوجس في نفسه خيفةً موسى . قلنا لا تخف إنّك أنت الأعلى . وألقِ ما في يمينك تلقفْ ما صنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحرٍ ولا يُفلِح الساحر حيث أتى >> [طه : ٦٥-٦٩] فذُهل السحرة بما رأوا من موسى ؛ إذ أيّده الله بمعجزة خارقة ليست من قبيل السحر ، وإنما هي قدرة الله عز وجل وتأييده لأنبيائه ، فقد سحروا الناس « بتخييل أنّ حبالهم وعصيهم ثعابين تسعى لأنها لا يشبهها في شكلها من أنواع الحيوان سوى الحيات والثعابين » [1] ، فألقى موسى عليه االسلام عصاه وقد ورد في بعض التفاسير « فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبقِ منها شيئاً إلا تلقفته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جهرة نهاراً ضحوةً ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر » [2] ، فما كان موقف السحرة ؟ ، قال تعالى : <<فأُلقيَ السّحرة سُجّداً قالوا آمنّا بربِّ هارون وموسى >> [طه : ٧٠] ، لقد آمن السحرة بالله حينئذٍ على الفور ، لأنهم « أيقنوا أنّ ما جرى على يد موسى ليس من جنس السحر لأنهم أيمّة السحر فعلموا أنّه آية من عند الله » [3]، وهنا نرى تباين موقف السحرة قبل التحدي وبعده ، فقد تحولوا من « التحدّي السافر إلى التسليم المطلق ، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين » [4] ، فأذعنوا لله سجّداً مصرّحين بالإيمان به ، فسبحان الله فاطر الناس على التوحيد .

---

(1) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٥٨ .

(2) ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٣٨ (بتصرف يسير) .

(3) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٦٢ .

(4) سيد قطب : الظلال جـ٣ ، ص ١٣٥٠ .

٢- اليقيــن :

أ- تعريفه :

-لغة : « العِلْـمُ وإزاحَــةُ الشَّكِّ وتَحقيقُ الأمْرِ » [١] .

-اصطلاحاً : « هو استقرار العِلْم الذي لا ينقلِبُ ولا يحوّلُ ، ولا يتغيّر في القلب » [٢] .

ب- أنواع اليقين [٣] :

١- يقين خبر : وهو سكون القلب إلى خبرِ المُخبِر وتوثُّقِه به .

٢- يقين دلالة : وهو أن يقيم للخبر مع وثوقه بصدقِه الأدلة الدالة على ما أخبر به ، وهذا كعامة أخبار الإيمان والتوحيد والقرآن .

٣- يقين مُشاهدة : بحيث يصير المُخبَرُ لقلوبهم كالمرئي لعيونهم ، فنسبة الإيمان بالغيب حينئذ إلى القلب ، كنسبة المرئي إلى العين .

جـ- من أمثلته :

قال تعالى : << وكذلك نُرِيَ إبراهيمَ مَلَكوتَ السَّمٰوات والأرضِ ولِيَكونَ مِنَ المُوقِنين >> [الانعام : ٧٥] ، أي « نبيِّن له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، مادة يقن ، مج ٦ ، ص ٤٩٦٤ .

[٢] عبد المنعم العزّي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ٢ ، ص ٧٢٨ .

[٣] انظر تقسيم اليقين إلى أنواع : عبد المنعم العزّي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ٢ ، ص ٧٢٨- ٧٣٠ (بتصرف) .

وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنه لا إله غيره ولا رب سواه » [1] ، وذلك ليكون من الموقنين ، « والموقِن هو العالِم علماً لا يقبلُ الشك ، وهو الإيقان ، والمراد الإيقان في معرفة الله تعالى وصفاته » [2] ، فكيف حصل هذا اليقين لإبراهيم عليه السلام – وهو نوع من يقين الدلالة المذكور آنفاً – جاء بعد الآية (٧٥) من سورة الأنعام قوله تعالى : << فلمّا جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفَلَ قال لا أحبُّ الأفِلِين . فلمّا رأى القمرَ بازغاً قال هذا ربّي فلمّا أفَلَ قال لئن لم يهدِني ربّي لأكونَنَّ منَ القومِ الضّالين . فلمّا رأى الشّمس بازغةً قال هذا ربّي فلمّا أفَلَت قال يا قومِ إنّي بريءٌ ممّا تُشْرِكون . إنّي وجّهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا منَ المُشرِكِين >> [الأنعام : ٧٦- ٧٩] ، مما ورد في التفسير أنّ هذه الآيات كانت محاورة بين إبراهيم عليه السلام وقومه ، وأنه كان يخاطبهم بهذه الطريقة مُلجِئاً إياهم للاعتراف بفساد معتقدهم ؛ إذ كان قوم إبراهيم صابئين يعبدون الكواكب ويصوّرون لها أصناماً ، وأنّ ما عبّر عنه بالإراءة في هذه الآيات هو فرع من تلك الإراءة التي عمّت ملكوت السموات والأرض ، وأما قوله فيما يراه وقومه : (هذا ربٌّ) ، فهو من باب استدراج قومه إلى التوحيد في إطار تفكيرهم بتعدّد الآلهة فقد كانوا يؤمنون بوجود الله ، ولكنهم كانوا يشركون معه في الإلهية غيره ، كما كان إشراك العرب [3] ، فيفترض معهم الربّ فيما يرى معهم ، ثم يثبت نفيه وهكذا حتى لا ينفروا من الإصغاء إلى استدلاله ، فكان حواره معهم على سبيل المجادلة وإرخاء العنان لقومه ليصلوا إلى تلقّي الحجة ، وهي توحيد الله عز وجل وحده لا شريك له والبراءة مما يشركون ،

---

[1] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ١٣٢ / وانظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣١٦ .

[2] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣١٦ .

[3] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٢٣ .

وقد ذكر بعض المفسرين أنّ ما ورد في هذه الآيات إنما كان نظراً واستدلالاً في نفس إبراهيم عليه السلام لقوله في الآية : << لئن لم يهــــدني ربّــي >> [١] ، وإذا « بنينا على أنّ ذلك كان استدلالاً في نفسه قبل الجزم بالتوحيد فإنّ ذلك كان بإلهام من الله ، فيكون قوله << وكذلك نُرِيَ إبراهيمَ مَلَكوتَ السَّموات والأرضِ >> معناه نريه ما فيها من الدلائل على وجود الصانــــع ووحدانيتــــه قبل أن نوحــي إليه ... وقوله : << يا قومِ >> هو ابتداء خطابه لقومه بعد أن ظهر الحقّ فأعلن بمخالفته قومه حينئذ » [٢] ، ونقول في كلا الحالتين سواء كانت الآيات السابقة حواراً مع نفسه أو مع قومه [٣] ، فإبراهيم – عليه السلام – تحقّق لديه اليقين دلالةً بوحدانية الله تعالى ، بإقامة الأدلة على ذلك ، رغم وثوقه وصدقه عليه السلام بهذه الوحدانية ، إذ يقول لأبيه في الآية التي سبقت الآيات الآنفة وفيها : << وإذ قــال إبراهيمُ لأبيــهِ آزرَ أتتّخِـذُ أصنامــاً آلهــةً إنّـــي أراك وقومَــك في ضلالٍ مُبيــن >> [الأنعام : ٧٤] .

أما يقين المشاهدة فقد طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى << وإذ قال إبراهيمُ ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمِنْ قال بلى ولكنْ لِيَطْمَئِنَّ قلبي قال فخُذْ أربَعةً مِنَ الطيرِ فَصُرْهُنَّ إليك ثم اجعلْ على كلِّ جبَلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادْعُهُنَّ يأتينَكَ سعياً واعْلَمْ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم >> [البقرة : ٢٦٠] ، فسأل اللهَ أن يُرِيَهُ إحياء الموتى بالمحسوس ليطمئنَّ قلبه ويزداد يقيناً بحصول الفرق بين المعلوم برهاناًوالمعلوم عياناً في دليـــل البعث ، فكأنّه أراد أن يترقّى من علم اليقين إلى عين اليقين ، والطمأنينة اعتـــدالٌ

[١] انظر تفنيد هذا الدليل : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٢٤ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٢٥ .

[٣] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ١٣٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣١٥– ٣٢٥ .

وسكون ، وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد ، وأما قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « نحن أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيم »[1] فمعناه : أنّه لو كان شاكاً لكنّا نحن أحقّ به ونحن لا نشّك فإبراهيم – عليه السلام – أحرى ألاّ يشك ؛ فالحديث مبني على نفي الشّك عن إبراهيم [2] ، « وقوله تعالى : << أوَ لَم تُؤمن >> ... أي : أأريكَ في حال أنّك لم تؤمن ، وهو تقرير مجازي مراد به لفت عقله إلى دفع هواجس الشّك ، فقوله << بلى ولكن ليطمئنّ قلبي >> كلام صدر عن اختباره يقينه وإلفائه سالماً من الشّك » [3] ، وأجاب الله تعالى سؤال إبراهيم عليه السلام ، فأمره أن « يجمع أربعة من الطير إليه ، ثم يقطّع كل واحدة منهن قطعاً ، ثم يجعل من ذلك المجموع المختلط جزءاً على كل جبل ، ويقف هو من حيث يرى تلك الأجزاء ويمسك رؤوس الطير في يده ، ثم يقول : تعالين بإذن الله ، فجعل ينظر إلى القطرة تلقى القطرة ، والريشة تلقى الريشة ، حتى صرن أحياء »[4] ، فالله غالب لا يعجزه شيء ، حكيم في صنعه وتدبيره ، حقّق لإبراهيم الخليل – عليه السلام – ما سأله من زيادة اليقين في دليل البعث بأن دلّه على طريقة يرى بها قدرة الله على الإحياء رأي العين ، فكان الاطمئنان بالعلم المحسوس وانشراح النفس به ، فأصبح المُخْبَر لقلبه كالمرئي لعينه . [5]

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٢٣٤ ، كتاب (٦٤) الأنبياء ، باب (١٣) ، ح ٣١٩٢ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ١٣٢ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٢، جـ٣ ، ص ٣٨ .

[4] انظر : ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٢ ، ص ٤٢١ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٥ .

[5] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٣ ، ص ٢٩٧ – ٣٠١ / ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٢ ، ص ٤١٥- ٤٣٦ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٢، جـ٣ ، ص ٣٨- ٤٠ .

وأما يقين الخبر وهو سكون القلب إلى خبرِ المُخبِر وتوثُّقِه به ، فقد رأى إبراهيم – عليه السلام – رؤيا بأنه يذبح ابنه إسماعيل [1] وهو أول ولد بُشِّر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، وكان إسماعيل – عليه السلام – إذ ذاك قد بلَغ مبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فإذن هو الأمر من الله بذبح ولده قال تعالى : << فلمّا بلغ معه السعي قال يا بُنَيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك ... >> [الصافات : ١٠٢] ، فكيف تلقّى إبراهيم عليه السلام هذا الابتلاء بذبح ابنه ،الذي طالما دعا الله أن يهبه من الصالحين ، وبُشِّر به في كونه غلام حليم ؟ فالابتلاء في ذبح هذا الابن خاصّة ، عظيم ، ولكنّ إيمان إبراهيم عليه السلام ويقينه بربه كان أعظم من ذلك ، فقد سكنَ قلبه إلى أمر ربّه ، وسلّم به ، في طاعة وامتثالٍ << ... قال يا بُنَيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعلْ ما تؤمَرُ ستجدني إنْ شاء اللهُ من الصابرين . فلمّا أسْلَما وتلّهُ للجبين >> [الصافات : ١٠٢ – ١٠٣] فإذن لم يتردّد إبراهيم عليه السلام ولم ينزعج ولم يضطرب ، بل كان مستسلماً لأمر الله راضيا به ، وكذلك كان إسماعيل عليه السلام حين أعلمه أبوه بأمر الله ، فأسلما وخضعا لأمر الله فكان اليقين في أمر الله متحقّق لكليهما ، وصرف الله البلاءَ عن إبراهيم ، وأنزل كبشاً فذبحه إبراهيم – عليه السلام – فداءً عن ابنه ، وأثنى الله عز وجل على إبراهيم – عليه السلام – بمبادرته لامتثال أمر الله دون تردد أو تأخير ، قال تعالى : << فلمّا أسْلَما وتلّهُ للجبين . وناديناهُ أنْ يا إبراهيم . قد صدَّقتَ الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين . إنّ هذا لهو البلاء المبين . وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عظيم . وتركنا عليه في الآخِرين. سلامٌ على إبراهيم . كذلك نجزي المُحسنين . إنّه من عبادنا

[1] انظر لمزيد معلومات عن ترجيح كون الذبيح هو اسماعيل – عليه السلام – : السيوطي : القول الفصيح في تعيين الذبيح ، خاصة قول ابن تيمية ص ٥٨ .

المؤمنين >> [الصافات : ١٠٢ – ١١١] . [١]

٣- الثقــة باللــــه :

أ- تعريفها : لغة : الإئتمان والسكون والاعتماد .[٢]

- اصطلاحاً : « أمــنُ العبد من فَوْتِ المقدور وانتقاض المسطور ، فيظفر برَوح الرِّضا ، وإلا فبِعيْنِ اليقين ، وإلا بلطف الصَّبر »[٣] .

ب- من أمثلتها :

لقد لبث موسى -عليه السلام - زمناً يطالب فرعون بإطلاق بني إسرائيل ليخرجوا من مصر ، وفرعون يماطل في ذلك وقد رأى الآيات التسع التي ذكرت في سورة الأعراف ، حتى أوحى الله إلى موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر ، وأعلمه أن فرعون سيتبعهم بجنده ، قال تعالى : << وأوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي إنكم مُتَّبَعون >> [الشعراء : ٥٢] ، وعندما وصل موسى ببني إسرائيل صوب البحر ، بلغ فرعون وجنوده قريبا من مكان جموع بني إسرائيل بحيث يرى كل فريق منهما الفريق الآخر قال تعالى : << فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمُـدْرَكـون >> [الشعراء : ٦١] وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى البحر ، فصار

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤، ص ١٥-١٧ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١٥ ، ص ٩٩-١١٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١، جـ٢٣ ، ص ١٤٩- ١٥٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٩٣ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥، ص ٢٩٩٤- ٢٩٩٦ .

[٢] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة وثق ، مج ٦ ، ص ٤٧٦٤ / الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٥١١ – ٥١٢ .

[٣] عبد المنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ، ص ٥٥٢ (وذكر في هامش الصفحة نفسها أنّ : رَوح الرضا : أي راحته ولذّته ونعيمه ، و عين اليقين : قوة الإيمان ومباشرته للقلب) .

أمامهم ، وكان فرعون قريباً من خلفهم يوشك أن يدركهم ويلحق بهم [1] ، قالوها جزعاً وخوفاً ، إذ حالهم حينها تؤذن بأنه لا مفر ، فقد حوصروا بين فرعون وجنوده ، وبين البحر ، فما كان ردّ موسى عليه السلام وهذه حالهم ؟ << قال كلاّ إنّ معي ربّي سَيَهْدين >> [الشعراء : ٦٢] ، إنّها مقولة الواثق بربه ، المتيقّن بأنّه في أمْن من الله ونجاة ، الذي لم يخالط قلبه خوف ولا فزع ، رغم هول الموقف خاصة وأنّ ملامح الهداية غير ظاهرة بالنسبة للتفكير البشري المنطقي المحدود بإطار الزمان والمكان والطاقة البشرية ، ولكنّه متيقّن أنه رسولٌ من الله يوحى إليه ، فإذن لا بد وأن تقع معجزةٌ ربانيّة فيها نجاتهم وخلاصهم مما هم فيه ، فردعهم موسى عليه السلام من الظنّ بأنهم مدركون من قِبَل فرعون وجنوده ، وعلّل ذلك بأنّ معه ربّه سيهديه أي سيبيّن له سبيل سلامته من فرعون وجنوده ، وكان ما قاله ، صدَق اللهَ فصدقَهُ اللهُ ، ووقع ما كان واثقا موسى – عليه السلام – من وقوعه ، قال تعالى : << فأوحينا إلى موسى أن اضرِب بعصاك البحر فانفلقَ فكان كلُّ فِرقٍ كالطود العظيم . وأزلَفنا ثَمَّ الآخَرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثُمَّ أغرقنا الآخَرين >> [الشعراء : ٦٣-٦٦] . [2]

٤- الإخـــــلاص :

أ- تعريفه : لغة : من معانيه النجاة والسلامة والتميّز والصفاء والنصاعة [3] .

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٨٩ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص ١٠٦ /ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ١٩ ، ص ١٢٩، ١٣٥- ١٣٦ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٥٩٩ .

[3] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ١٢٢٧-١٢٢٨ .

اصطلاحاً : هو « إفراد الحقِّ سبحانه بالقَصْدِ[1] في الطّاعة ، أو هو استواء أعمال العبدِ في الظاهر والباطن » [2] .

ب- من أمثلته :

جاء في سورة الأنعام قول إبراهيم عليه السلام : << إنّي وجّهْتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلماً وما أنا من المشركين >> [الأنعام : ٧٩] ، وقد ورد في تفسير << وجّهْتُ وجهي >> أي أخلصت وأفردت وقصدت بعبادتي وتوحيدي الله عز وجل وحده . [3]

قال تعالى : << وَمَنْ أحسَنُ ديناً ممَّن أسلَمَ وَجهَهُ لله وهو مُحسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيفاً واتَّخَذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً >> [النساء : ١٢٥] ورد في تفسير هذه الاية أنّ : « إسلام الوجه لله هو إخلاص القصد والتوجه ، والعمل له سبحانه ، والعبد مع ذلك محسن آتٍ بكل حسن لا مرتكب للقبح الذي يكرهه الله بل هو مخلص لربه محسن في عبادته ، بما يحبه ويرضاه ، وهو مع ذلك متّبع لملة إبراهيم في محبته لله وحده وإخلاص الدين له وبذل النفس والمال في مرضاته ومحبته » [4] ، وشرطا صحة العمل كما هو معلوم أن يكون خالصاً صواباً ،

---

[1] (القصْد) في اللغة : الاعْتِزامُ والتّوَجُّهُ والنُّهُودُ والنُّهُوضُ نحو الشيءِ. انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص ٣٦٤٣ .

[2] عبد المنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٥١٥.

[3] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ١٣٢ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٧ ، ص ٢٨ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٢٣ . / والوِجْهَةُ في اللغة : « الموضع الذي تتوجّه إليه وتَقْصِدُه » ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٧٧٥ / ، « ويقال للقَصْدِ وَجْهٌ ، وللمَقْصِدِ جِهَةٌ وَوِجْهَةٌ وهي حيثما نتوجّه للشيء » الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٥١٤ . .

[4] ابن القيّم : بدائع التفسير ، مج ٢ ، ص ٨١ ، وانظر : ابن الجوزي : زاد المسير ، مج ٢ ، ١٩٨ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٥ ، ص ٣٩٩.

« فالخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة ، فيصح ظاهر العمل بالمتابعة ، وباطن العمل بالإخلاص »[١] .

جـ : أهميته :

فالإخلاص لله ، كما رأينا يتعلّق بالوِجهة والقصد ، وهو من أهم الأعمال القلبية ، خاصة وأنه يتعلّق ، بقبول العمـــل فهو أحد شرطـــي قبول العمل عنـــد الله ؛ إذ الشرط الثاني هو : الصواب كما قال الفضيل بن عياض[٢] في تفسيـــر قوله تعالى : << الذي خلـــق الموت والحياة ليبلوكـم أيكـم أحســـن عمــلاً >> [الملك : ٢] هو « أخلصه وأصوبه ، قالوا يا أبا علي ، ما أخلَصُهُ وأصوبُهُ ؟ فقال : إنّ العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يُـقْـبَـل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً ، لم يُقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنّة ، ثم قرأ قولَه تعالى : << فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبـــادة ربّه أحـداً >> [الكهف : ١١٠] »[٣]، وقيـــل : « العمل بغير نيّة عناء ، والنيّة بغير إخلاص رياء ، والإخلاص من غير تحقيق هباء . قـــال تعالى : << وقدِمْنا إلى ما عملوا مـــن عمـــل فجعلنـــاه هباء منثوراً >> [الفرقان : ٢٣] »[٤] .

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٤٨٠ (بتصرف يسير) .

[٢] هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي ، إمام ، قدوة ، ثبت ، هو من أقران سفيان بن عيينـة (ت ١٩٨ هـ) في المولد ، ولكنه مات قبله بسنوات . انظر ترجمتــه : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٨ ، ص ٤٢١-٤٤٢ / الزركلي : الأعلام ، جـ٥ ، ص ١٥٣ .

[٣] عبد المنعم العزّي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٥١٣ .

[٤] ابن قدامة المقدسي : مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٦٠ .

د-العلاقة بين الإخلاص والنيّة :

النيّة هي : القصد والاعتقاد ، والوجه الذي يُذهب فيه [١] ، أو «هي توجُّه القلب نحو العمل » [٢] ، والنيّة محلّها القلب ، والإخلاص من الأعمال القلبية ، فإذن النيّة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإخلاص ، لذلك نصِف النيّة المجردة لله تعالى بـ : (النيّة الخالصة) ، فكأن الإخلاص هو صدقُ النيّة ، أي صدق الوِجهَة والقصد ، فالإخلاص قرين الصدق في النيّة ، والتي هي أحد شرطي قبول العمل ، إذ لا ينفع العملُ الصالح صاحبَه مالم يقترن بالنيّة الصادقة التي يتحرّى فيها الإخلاص لله قدر استطاعته ، فقد ورد في دعاء إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء قوله : << ولا تخزني يوم يُبعثون . يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنون . إلاّ من أتى اللهَ بقلبٍ سليم >> [الشعراء : ٨٧-٨٩] ، أي القلب الخالص ، السليم من الشك والشرك ، فلا يقي المرء من عذاب الله ماله ولا بنوه ، ولو افتدى بهم نفسه ، فلا ينفع يومئذ إلاّ الإيمان بالله وإخلاص الدين والتبري من الشرك وأهله [٣] ، فسلامة الوِجهة دليل سلامة القلب ، فمن سلِم قلبه ، صحّ قصدُه والعكس صحيح .

ونال إبراهيم -عليه السلام - الثناء من الله عزّ وجل في سلامة القلب ، إذ قال تعالى - بعد أن أثنى على نوح عليه السلام - : << وإنّ من شيعتِه لإبراهيم . إذ جاء ربّه بقلبٍ سليم >> [الصافات : ٨٣- ٨٤] ، والقلب السليم : «المخلص من الشرك والشك ، وقيل هو الناصح لله في خلقه » [٤] ، وقد بيّن نوح - عليه السلام -

[١] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة نوى ، جـ٦ ، ص٤٥٨٨- ٤٥٨٩ .

[٢] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص٥١٠ .

[٣] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٩١- ٢٩٢ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص١١٤-١١٥ .

[٤] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٤٠١ / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ١٤ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٥ ، ص ٩١

إخلاص نيّته في دعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل ، قال تعالى : << لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنّا لنراك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنّي رسولٌ من رب العالمين . أبلّغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون >> [الأعراف: ٥٩-٦٢] ، فالشاهد في قول نوح - عليه السلام - : (وأنصح لكم) : أي أخلص النيّة لكم من شوائب الفساد في المعاملة [١] ، « والنصح والنصيحة كلمة جامعة ، يعبّر بها عن حسن النية وإرادة الخير من قول أو عمل » [٢] ، « وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنّها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه لا غير » [٣] .

ومن الإخلاص في الدعوة احتساب الأجر والمثوبة عند الله فيها ، ويؤكد هذا قول نوح - عليه السلام - لقومه حتى يتيقنوا من إخلاصه في النصح لهم [٤] : << وما أسألكم عليه من أجرٍ إنْ أجريَ إلاّ على ربِّ العالمين >> [الشعراء ١٠٩] والأجر : « هو ما يعود من ثواب العمل دنيوياً أو أخروياً ، ... ولا يقال إلاّ في النفع دون الضُّرِّ » [٥] .

---

[١] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ٧ ، ص ٢٣٤ / محمد الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٠٢ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ١٩٤ .

[٣] الزمخشري : الكشّاف ، جـ٢ ، ص ١١٥ ، وانظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، جـ٩ ، ص ١٩٤ .

[٤] انظر: ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣، ص ٢٩٢ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥، ص ٢٦٠٧ .

[٥] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٠-١١ .

٥- المحبـــــة :

أ- تعريفها :

- لغة : « نقيض البُغض ، ومعناها الوِداد » [1] .

-اصطلاحاً : « ... صفاء المودّة ، وثبوت إرادة القلب للمحبوب ...ولزومها لزوماً لا تفارقه » [2] .

ب- مراتب المحبّة [3] :

التعبّد من أعلى مراتب المحبّة ، فإنّ العبد هو الذي قد ملَك المحبوبُ رِقّـه فلم يبقَ له شيءٌ من نفسه البتّة ، بل كلّه عبدٌ لمحبوبه ظاهراً وباطناً ، وهذا هو حقيقة العبودية ومن كمّل ذلك فقد كمّل مرتبتها . ولمّا كمّل سيد ولـد آدم محمد – صلى الله عليه وسلم – هـــذه المرتبـة : وصفه الله بها في أشرف مقاماته : مقام الإسـراء ، كقوله تعالى : << سبحان الذي أسرى بعبده >> [الإسراء : ١] ، ومقام الدعوة ، كقوله تعالى : << وأنه لما قام عبدالله يدعوه >> [الجنّ : ١٩] ، ومقام التحدي كقولـه تعالـى: << وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا >> [البقرة : ٢٣] .

وحقيقة العبودية : الحبُّ التام ، مـــع الذلّ التام والخضـــوع للمحبـــوب .

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مادة حبب ، جـ٢ ، ص ٧٤٢ – ٧٤٦ .

[2] عبدالمنعم العزّي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، ص ٨١١-٨١٢ (بتصرف يسير) .

[3] انظر هذه المراتب : عبدالمنعم صالح العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، ص ٨٢٥ – ٨٢٨ (بتصرف) .

وأمّا مرتبة الخُلّة فهي المحبّة التي تخلّلت روحَ المحبِّ وقلبَه ، حتى لم يبقَ فيه موضعٌ لغير المحبوب ، « وهي توحيد المحبّة ، فالخليل هو الذي توحّد حبُّه لمحبوبه ، وهي رتبة لا تقبل المشاركة »⁽¹⁾ وهي التي انفرد بها الخليلان - إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - قال تعالى : << وَمَنْ أحسَنُ ديناً ممّن أسلَمَ وَجهَهُ للهِ وهو مُحسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً واتَّخَذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً >> [النساء : ١٢٥] ، كما صحّ عنه - صلى الله عليه وسلم - أنّه قال : « فإنّ الله اتّخذني خليلاً ، كما اتّخذ إبراهيم خليلاً »⁽²⁾ .

جـ - توحيد المحبّة :

لقد تبيّن لنا مما ذُكر آنفاً ، أنّ المحبّة هي حقيقة العبودية ، « فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله ، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته ، وهذا كمال المحبّة ، لكن أكثر ما جاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله تعالى :<< وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون >>[الذاريات : ٥٦] وقوله تعالى : << يا أيها النّاس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم >> [البقرة : ٢١] وأمثال هذا ، والعبادة تتضمن كمال الحبّ ونهايته ، وكمال الذل ونهايته ، فالمحبوب الذي لا يُعَظّم ولا يُذل له لا يكون معبوداً ، والمُعَظّم الذي لا يُحب لا يكون معبوداً »⁽³⁾ ، وتوحيد المحبّة هو تأليه الله وحده لا شريك

⁽¹⁾ ابن القيّم : روضة المحبّين ، ص ٦٣ .

⁽²⁾ مسلم : صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص٣٧٧ ، كتاب (٥١) المساجد ومواضع الصلاة ، باب (٣) النهي عن بناء ..... ، ح ٢٣ (وقد ظنّ بعض من لا علم عنده أنّ الحبيب أفضل من الخليل ، وقال : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وهذا باطل من وجوه كثيرة ، منها : إنّ الخلّة خاصة والمحبّة عامة ، فإنّ الله يحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ، وقال في عباده المؤمنين : << يُحبّهم ويحبونه >> [المائدة : ٥٤] ، ومنها ...) ابن القيّم : روضة المحبّين ، ص ٦٥ / وانظر : ابن تيمية : التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، ص ٨٤- ٨٧ .

⁽³⁾ ابن تيمية : التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، ص ٧٢ - ٧٣ .

لـه ؛ إذ « الإلـه ، هــو المحبـوب المعبـود ، الذي تألهـه القلـوب بحبـهـا ، وتخضـع لــه وتذل لــه »[1]، لذلك أظهر إبراهيم - عليه السلام - عدم رضاه ومَحَبَّتِهِ لاتخاذ الكوكب والقمر والشمس آلهة من دون الله ، لأنها تغيب ، وما يغيب لا يستحق أن يُتَّخذ إلها ؛ لأنه لا يغني عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه ، قال تعالى : << فلمّا جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفَلَ قال لا أحبُّ الأفِلِين >>[الانعام : ٧٦] وقد عبّر بلفظة الحبّ ، وفيه دلالة على أنّ الصلة بين العبد وربّه صلة حب وعبودية وتذلل .[2]

د- من أبرز الأمثلة على محبّة الله عز وجل :

بذل النفس في سبيله تعالى ، فها هو إبراهيم عليه السلام يُجاهد قومه فيدعوهم إلى توحيد الله والبراءة مما يشركون به ، فيصدون دعوته ويحاجّونه ، فيحاجّهم ويدحض قولهم ، إلى أن لجأ إلى تحطيم أصنامهم << فجعلهم جذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون >> [الأنبياء : ٥٨] ، فكادوا لإبراهيم ، ونادوا بنصرة آلهتهم المدّعاة ، بحرق إبراهيم - عليه السلام - ، << قالــوا حرِّقــوه وانصــروا آلهتكــم إن كنتم فاعلين >> [الأنبياء : ٦٨] ، فـ << قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم >> [الصافات : ٩٧] ، وأُلقي إبراهيم عليه السلام في النّار ، فلم يخف ولم يفزع ، بل صبر واحتسب تضحيته بنفسه في سبيل الله ، ولم يتراجع عن دعوته إلى توحيد الله كي يُنقذ حياته ويخلّص نفسه من هذا الموت المفزع المهول ، فحبّه لله تعالى كان أحبّ إليه من نفسه ، وكان أن يُلقى في النّار

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٠، ص ٢٤٩ / جـ١٣، ص ٢٠٢ (بتصرف) / وانظر : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، ص ٨٢٢، ٨٢٤ .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٢٠-٣٢١ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٢ ، ص ١١٤٠ .

أحبّ إليه من أن يتراجع عن دعوته وثباته على دينه ، فنجّاه الله من كيدهم ، بمعجزة خارقة ، فسُلبت النّار خاصية الإحراق بإرادة الله - عز وجل - وقدرته ، وجعلها برداً كي لا تحرقه ، وسلاماً كي لا تؤذيه ببردها ، قال تعالى : << قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين >> [الأنبياء :٦٩ - ٧٠] [١] ، وغيرها من الأمثلة كثير خاصة في مجال القتال في سبيل الله ، لا سيّما ما يتعلّق بغزوات النبي - محمد - صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاه وصحابته الكرام فيها من بلاء عظيم مثل غزوتي بدر وأحد .

٦- الرجـــاءوالخـــوف :

أ- تعريف الرجاء :

-لغة : « نقيض اليأس ، وهو بمعنى التوقّع والأمل » [٢] . و هو « ظَنٌّ يقتضي حُصول ما فيه مَسَرَّة » [٣] .

-اصطلاحاً : الاستبشار والثقة بجود الله عز وجل وفضله ، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه . [٤]

ب- من أمثلته :

إنّ المتأمّل في قصص الأنبياء وغيرهم من الصالحين يرى أن العبد لا ينفك

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٠٦ .

[٢] ابن منظور : لسان العرب ، مادة رجا ، جـ٣، ص ١٦٠٤ (بتصرف يسير) .

[٣] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٩٠ .

[٤] انظر :عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٤٧٦ .

عن مقام الرجاء لله في السرّاء والضرّاء ، فهو من باب حسن الظن بالله ، ففي السرّاء يرجو الله ؛ بُغية حمده وشكره وإرادة دوام نعمته وفضله ، وفي الضرّاء ؛ بُغية سؤال رحمته وعفوه وكشف ضرّه ، قال تعالى بعد أن ذكر جمعاً من أنبيائه وطرفاً من قصصهم مع أقوامهم في سورة الأنبياء : << ... إنّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشعين >> [الانبياء : ٩٠] ، أي كانوا يتضرعون لله طلباً للخير ، ودفعاً للشرّ ، في حال الرخاء ، وحال الشدة ، والخشوع هو خوف القلب بالتفكّر دون اضطراب الأعضاء الظاهرة .[1]

فموسى – عليه السلام – عندما أوى إلى الظل ، دعا ربّه بقوله : << ربِّ إنّي لما أنزلت إليَّ من خير فقير >> [القصص : ٢٤] ، فهو كان في حالة فرار من بطش فرعون مخافة أن يقتله لقاء القبطي الذي وكزه موسى فمات إثر ذلك ، وحالة تعب وإعياء من السفر ، ورغم ذلك فإنّ نبله ومروءته أبت إلاّ أن يساعد المرأتين عند ماء مدين في سقي رعيهما ، إذ تنحتا عن السقي حتى يخلو المكان من الرجال ويقل الازدحام ، وبعد أن انتهى من مساعدتهما ، أوى إلى الظل ليستريح ، فدعا ربّه بهذا الدعاء ، الذي رجا فيه ربَّه أنّ يخفف عنه وطأة الخوف والغربة وعدم الاستقرار ، فهو قد أثنى على ربه بالخير الذي أنعم به عليه ، ولكنه ربما صرّح في قرارة نفسه باحتياجات يرى نفسه فيها فقيراً ، كنعمة الأمن والاستقرار والأنس بالأهل وغيرها مما تفكّر فيه وهو تحت الظل شريداً غريباً ، بعد أن رأى الناس وهم يزاولون مجريات حياتهم من رعي وسقي ، ورأى المرأتين العفيفتين ، فتاقت نفسه للحياة الآمنة المستقرة ، فهو يرجو رحمة ربه وكرمه وفضله ، في هذه اللحظة التي همس بهذا الدعاء بينه وبين نفسه ، فمن الله عليه بالإجابة قبل أن

---

[1] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤٢٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٣٧ .

يقوم من مجلسه في الظل ، منّة وفضلاً منه سبحانه على عبده المؤمن موسى – عليه السلام – ، فجاء السياق بالتعقيب بالفاء في قوله تعالى << فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا فلمّا جاءَه وقصَّ عليه القصص قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين >> [القصص : ٢٥ ... إلى آخر آيات قصة موسى مع ابنتي شعيب في سورة القصص] إذ قيّض الله شعيباً أن يرسل وراءه ليؤجره لقاء مساعدته لابنتيه ، ويضيفه ويزوجه إحدى ابنتيه ، فيتحقق له ما كان يرجوه من أنس ومأوى وعشيرصالح .[1]

جـ – تعريف الخوف :

-لغـة : « الخَوْفُ : الفَـزَعُ »[2] ، أو هو : « توقّع مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونة أو معلومة ... ويضاد الخوفَ : الأمْنُ »[3] .

-اصطلاحاً : الخوف من الله عز وجل : هو الخوف المحمود الصادق وهو : « ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ، أو هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً ... وأول الخوف : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان ، وهو يتولد من تصديق الوعيد ، وذكر الجناية ، ومراقبة العاقبة »[4] .

---

(1) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج١٠ ، جـ٢٠ ، ص ٩٨ – ١١١ /الرازي : تفسير الرازي ، مج ١٢ ، جـ٢٤ ، ص ٢٠٥–٢٠٦ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٠٩–٥١٠ .

(2) ابن منظور : لسان العرب ، مادة خوف ، جـ٢ ، ص ١٢٩٠ .

(3) الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٦٠ .

(4) عبدالمنعم صالح العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٤٣٤ .

د- أقسام الخوف [1] :

أولاً - الخوف الشركي : أي الذي يؤدي إلى الشرك بالله :

ومحوره هو مخافة الضرّ من غير الله ، وهو إما :

أ- أن يجعل لله نداً في إيقاع الضرّ أو النفع :

وهو أن يخاف الإنسان من غير الله تعالى ، أن يصيبه بما يكره ويعتقد أن هذا الغير - سواء كان وثناً أو طاغوتاً أو غير ذلك - قادر على النفع والضر ، وهذا النوع من الخوف لا يجوز أن يعلّق بغير الله تعالى ؛ لأنه من لوازم توحيد الألوهية ، فالذي بيده النفع والضر هو الله وحده لا شريك له ، فمن جعل مع الله نداً يخاف منه هذا الخوف فقد أشرك بالله العظيم فهذا معتقد المشركين في أصنامهم وآلهتهم ، ولذلك كانوا يخوّفون بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى في شأن إبراهيم - عليه السلام - عندما خوّفه قومه بآلهتهم أن تصيبه بسوء : << ولا أخافُ ما تُشرِكون به إلاَّ أنْ يشاءَ ربّي شيئاً وَسِعَ ربّي كلَّ شيءٍ عِلْماً أفلا تتذكّرون . وكيف أخافُ ما أشركتم ولا تخافونَ أنّكم أشركتُم باللهِ ما لم يُنَزِّل به عليكم سلطاناً فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمْنِ إنْ كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُم بظُلْمٍ أولئك لهمُ الأمنُ وهم مُهتَدون >> [الأنعام : ٨٠ - ٨٢] فردّ عليهم إبراهيم عليه السلام بأنّ آلهتهم إنما هي من مخلوقات الله فهي حجر لا يضر ولا ينفع << ولا أخاف ما تشركون >> ، ثم ردّ الأمر إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي يُخاف ويُرجى فقال : << إلا أن يشاء ربي شيئاً >> فإن شاء الله أن يصيبني شيءٌ من الضرر ، فالأمر إليه ، وذلك منه ، لا من معبوداتكم ،

[1] انظر ما ورد في هذه الأنواع : عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب : فتح المجيد ، جـ٢ ، ص ٥٧٣ - ٥٧٥ (بتصرف) / ناصر الشيخ : مباحث العقيدة في سورة الزمر ، ص ٢٢١-٢٢٤ .

فربّي علمه محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، فَمَنْ الأولى أن يُخاف ويُعبد أهو الله سبحانه أم آلهتكم المزعومة ؟ فأي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف إن كنتم تميّزون الحق من الباطل ؟ ، فالأحق بالأمن وعدم الخوف هم الموحدون لله الذين عبدوه وحده لا شريك له ، الذين لم يخلطوا إيمانهم بالله بظلم أي بشرك .[1]

ب- أو أن يعصي الله بترك مأمور مخافة الضرّ من النّاس :

وذلك بأن أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، خوفا من بعض النّاس ، فهذا محرّم ، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد ، وهذا هو سبب نزول قوله تعالى مُثنياً على موقف المسلمين في غزوة أحد : << الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم .الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتّبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين >> [آل عمران ١٧٢-١٧٥] « فغزوة أحد قد انتهت بهزيمة المسلمين من قبل قريش ... وكان ثمة احتمال أن تندم قريش فتعود لمهاجمة المدينة فكان لا بد من التحرّك السريع لاستعادة موقع المسلمين والاحتفاظ بمكانتهم ، ومن هنا أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الجيش الذي شهد (أحداً) أن يخرج لمطاردة جيش قريش إلى حمراء الأسد[2] رغم إصابة الكثيرين منهم بالجراح ... وقد أثنى

---

[1] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ١٧٥ .

[2] حمراء الأسد : مكان يقع بين بدر والمدينة المنورة ، يبعد عن المدينة ٤٠- ٤٥ كيلو متر .

القرآن الكريم على مبادرتهم بالخروج »[1] إذ لم يعبأوا بتخويف النّاس لهم ، ولم يرجعوا عن قصدهم في التصدي للمشركين والجهاد في سبيل الله ، بل كان ذلك القول المُرجِف سبباً في زيادة إيمانهم وتوكلهم على الله في طلب النصر رغم قلّتهم وضعفهم [2]. وفي قوله تعالى : << فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين >> توجيه للمؤمنين أن يقصروا خوفهم على الله تعالى ، فلا يخافون إلا إيّاه ، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ، ورضيه منهم . فإذا أخلصوا له الخوف ، وجميع العبادة ، أعطاهم ما يرجون ، وأمّنهم من مخاوف الدنيا والآخرة ، قال تعالى:<< أليس الله بكافٍ عبده ويخوّفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد >> [الزمر : ٣٦] ، أي فلا تخافوا أيها المؤمنون ، المُشركينَ ، ولا ترهبوا جمعهم ، مع طاعتكم إياي ، وإنما خافونِ واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري ، إن كنتم مؤمنين ، وهو تذكير وإحماء لإيمانهم ، وإلا فقد علم أنهم مؤمنون حقاً [3].

ثانياً : الخوف الشرعي :

وهو خوف الوعيد الذي توعّد الله به من عصاه ، قال تعالى : << لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .>> [الأعراف : ٥٩] ، وقال تعالى : << يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيرا >> [الإنسان : ٧] ، وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام : << ولمّا سكتَ عن موسى الغضبُ أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم

---

[1] أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٩٣– ٣٩٧ (بتصرف) .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٤ ، ص ١٦٩– ١٧٢ .

[3] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٢ ، ص ٣٦٥ (بتصرف) / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٤ ، ص ١٧٢ .

يرهبون >> [الأعراف : ١٥٤] يرهبون : أي الذين « يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه »[1] و الرهبة : هي « الإمعان في الهرب من المكروه »[2] ، و << ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين . الذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مُشفِقون >> [الأنبياء : ٤٨-٤٩] وصف الله المتقين الذين تذكروا واتعظوا ، بالخشية والإشفاق ، « والخشية أخص من الخوف ، فالخوف حركة ، والخشية انجماع ، وانقباض وسكون ، والإشفاق رِقّة الخوف ، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه »[3] فهم يخشون ربّهم في الغيب ، أي في خاصتهم ، لا يريدون رياء ولا غيره من عوارض الدنيا ، مشفقون من أهوال يوم القيامة ، فهم يعدون لها عدتها بالتقوى قدر الاستطاعة .[4]

ثالثاً :الخوف الطبيعي :

وهو الخوف من عدو أو سبعٍ أو غير ذلك ، فهذا لا يذم ، كما قال تعالى في قصة موسى : << فخرج منها خائفاً يترقّب >> [القصص : ٢١] فخرج موسى من المدينة خائفا من الظالمين مترقباً لحوقهم به وإدراكهم له ، إذ إنّه قتل قبطياً دون عمد وفشا ذلك كما ورد في القصة .[5]

---

(1) الطبري : تفسير الطبري ، جـ٣، ص ٥٠٥ .

(2) عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٤٣٢ .

(3) عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٧ (بتصرف يسير) .

(4) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ٩٠ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٥٨ الطبري : تفسير الطبري ، جـ٥ ، ص ٢٦١ .

(5) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٣٢٩ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ١٦٥ / وانظر القصة في تفسير الآيات ١٥- ٢١ من سورة القصص .

هـ - العلاقة بين الخوف والرجاء :

علاقة تكامل وتلازم ، « فالخوف متسلزم للرجاء ، والرجاء مستلزم للخوف ، فكلّ راجٍ خائفٌ ، وكل خائفٍ راجٍ ، ولأجل هذا حسُن وقوع الرجاء في موضع يحسُنُ فيه وقوع الخوف ، قال تعالى : << ما لكم لا ترجون لله وقاراً >> [نوح : ١٣] قال كثير من المفسرين : المعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة ؟ قالوا : والرجاء بمعنى الخوف ، والتحقيق : أنه ملازم له ، فكل راجٍ خائف من فوات مرجوّه ، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط » [1] .

كان من دعوة نوح عليه السلام لقومه ، أن جعلهم في إطار الخوف والرجاء لله سبحانه وتعالى << استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً . يُرسِلَ السماء عليكم مدراراً . ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً . ما لكم لا ترجون لله وقاراً . وقد خلقكم أطواراً >> [نوح : ١٠-١٤] والوقار : العظمة ، والرجاء هنا بمعنى الخوف [2] ، فقد أطمعهم في مغفرته وقوى رجاء رحمته وفضله وخيره لعباده في الدنيا والآخرة ، وخوفهم عدم تعظيمه بتوحيده ونبذ الشرك معه غيره « فحثّهم على الإيمان بالله الذي يستلزم رجاء ثوابه وخوف عقابه لأنّ من رجا تعظيم الله إيّاه آمن به وعبده وعمل الصالحات »[3] .

و- مذهب أهل السنة والجماعة في الرجاءوالخوف :

« اختلف العلماء أيهما يقدم على الآخر الخوف أم

---

[1] عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٧١ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص٧٦٨ .

[3] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٤، جـ٢٩ ، ص ٢٠٠ .

الرجاء ، والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله ، وجب عليه أن يردّ ويقابل ذلك بجانب الرجاء ، وإذا خاف إذا غلّب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله ، فليردّ ويغلّب جانب الخوف ، والإنســان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حياً ...»[1] .

٧- التقـــوى :

أ- تعريفها :لغة : مدار لفظة التقوى على : الصيانة والحفظ والستر والحماية والحذر .[2]

-اصطلاحاً : « أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربّه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه »[3]، وجماع تعريف التقوى في : فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه .[4]

ب- من أمثلتها :

إنّ التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين ، قال تعالى : << ... ولقد وصيّنا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أنِ اتقوا الله ... >> [النساء : ١٣١] فجُعِل « الأمر بالتقوى وصيّة : لأنّ الوصية قولٌ فيه أمر بشيء نافع جامع لخير

[1] محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١، ص ١٠٠ - ١٠١ (بتصرف يسير) .

[2] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٩٠١ / الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

[3] ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم ، ص ١٧٢ .

[4] انظر : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٢٧٧ ، ص ٣٢٩ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١ ، جـ١، ص ٢٢٦ / ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ١٠ ، ص٦٥٨- ٦٥٩ ، جـ٣ ، ص ١٢٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١ ، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ / وراجع في موضوع التقوى كتاب : محمد أديب الصالح : التقوى في هَدْي الكتاب والسنة وسير الصالحين .

كثير ... والتقوى تجمع الخيرات ، لأنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، ولذلك قالوا : ما تكرّر لفظ في القرآن ما تكرّر لفظ التقوى ، يَعْنُون غيرَ الأعلام؛كاسم الجلالة »[1] ، وقد وصى بها الأنبياء والرسل أقوامهم ودعوهم إليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، قال تعالى عن نـــوح – عليـه السـلام –: << كذّبت قومُ نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألا تتّـقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعـــون >> [الشعراء : ١٠٥–١٠٨] ، وعـن إبراهـيـم– عليـــه الســـلام – : << وإبراهيمَ إذ قال لقومه اعبدُوا اللهَ واتّقُوه ذلكم خيرٌ لكـم إنْ كنتـم تعلَمون >> [العنكبوت : ١٦] ، وعن موســى – عليه الســلام – : << وإذ نادى ربّك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتّقون >> [الشعراء : ١٠–١١] ، وعن عيسى – عليه السلام – : << ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتُكم بالحِكمةِ ولأبيِّنَ لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتّقوا الله وأطيعون >> [الزخرف : ٦٣] ، وأما محمد – صلى الله عليه وسلم – فإنه ما تكرّر لفظ في الكتاب الذي أنزل عليـه – وهو القرآن الكريم – ما تكرّر لفظ التقوى كما ذكرنا آنفاً فقد جاءت « مادة التقوى في القرآن المجيد ، أمراً بها ، وتعظيماً لشأنها ، وذكراً لفضلها ، ووصفاً لأهلها ، وبياناً لعاقبتهم في الدنيا والآخرة ، أكثر من مئتي مرّة » [2] ، والتقوى كما رأينا ألزم ما تكون في الطاعة أي طاعة الله في ما أمر به وفيما نهى عنه ، لذلك لما اختلف المسلمون حول غنائم غزوة بدر ، أمرهم المولى – عزّ وجل – بالتقوى ، قال تعالى : << يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعــوا الله ورسولـــه إن كنتم مؤمنيـن >> [الأنفال : ١] « والأنفال في هذه الآية قال الجمهور : المراد بها ما كان زائداً على المغنم ... وقدّم

---

(1) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣، جـ ٥ ، ص ٢٢٠ .

(2) محمد الرملي : الفرار إلى الله ، ص ٢٩ .

الأمر بالتقوى لأنها جامع الطاعات »[1] .

٨- الصَّـــبْـــر :

أ- تعريفه : لغة : من معانيه الحَبْسُ ، وقيل الصَّبْر : حبسُ النَّفس عند الجَزَع ، وهي نقيض الجزع ، وقد تأتي بمعنى الإكراه واللزوم والجراءة .[2]

-اصطلاحاً : « من أظهر معاني الصبر : حبسُ النفس على المكروه »[3] .

ب- من أمثلته :

لقد صبرأنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - على مشاق الدعوة إلى الله من إعراض وصدٍّ عن سبيل الله ومجاهدة أعداء الله ، دون كلل أو تهاون ، فنوح - عليه السّلام - لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم بشتى الأساليب والوسائل في جهد دائب لا ينقطع ، صابرا على إعراضهم وإصرارهم على الكفر وأذاهم له [4] ، قال تعالى عنه : << قال ربِّ إنّي دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً . وإنّي كلما دعوتُهُم لِتغفِرَ لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً . ثمَّ إنّي دعوتهم جهاراً . ثمَّ إنّي أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً >> [نوح : ٥ - ٩] ، ولاقى موسى عليه السلام المشاق في جميع مراحل دعوته ، سواء من فرعون وملئه أو من بني إسرائيل أنفسهم ، حتى بعد أن أنجاهم الله من فرعون وطغيانه ، ففرعون تحدّى موسى :

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٣ .

[2] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٣٩١ - ٢٣٩٢ .

[3] عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ، ص ٥٦٦.

[4] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٧١٢ .

<< قال أجئتنا لتُخرجَنا من أرضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينّك بسحرٍ مثلِه فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخْلِفُهُ نحن ولا أنت مكاناً سوى >> [طه : ٥٧ – ٥٨] وتوعّده تارة بالسجن : << قال لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين >> [الشعراء : ٢٩] وتارة بالقتل : << وقال فرعون ذروني أقتُلْ موسى وليَدْعُ ربّه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهرَ في الأرضِ الفساد >> [غافر : ٢٦] ويصبر موسى على هذا كله ، ويوجّه قومه إلى الاستعانة بالله وبالصبر على طغيان فرعون وتجبره وإيذائه لهم بسبب اتّباعهم لموسى – عليه السلام – : << قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين >> [الأعراف : ١٢٨] ، أما ابتلاؤه في بني إسرائيل أنفسهم فقد كان عظيماً ، إذ إنّه ليس من المعهود في أتباع الرسل إلاّ النصرة والعون لنبيّهم ، أما بنو إسرائيل فقد آذوا موسى – عليه السلام – بتعنتّهم وكثرة تمردهم ، وطول عنادهم وقسوة قلوبهم ، إذ لم تؤثّر فيهم معجزات الله عز وجل ، ومننه وفضله عليهم ، ويُذكر في ذلك أنّهم بعد مجاوزتهم البحر الذي أغرق الله فيه عدوّهم ، ونجّاهم منه ، كادوا يقعون في الشرك ، قال تعالى : << وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قومٍ يعكُفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون >> [الأعراف : ١٣٨] وغير ذلك كقصة بقرة بني إسرائيل ، وقصة العجل وغيرها « من مواقف السوء التي يضيق بها صدر الكريم ، وينفذ عندها صبر الحليم ، ومع هذا لم ينفذ صبر موسى عليه السلام » [١] ، وأما خاتم الأنبياء والرسل محمد – صلى الله عليه وسلم – فسيرته مليئة بمواقف صبره على أذى قومه – خاصة قريش بل وربما أقرب النّاس إليه مثل أعمامه – وصبره على المنافقين ، ومواقفه – عليه الصلاة والسلام – في

---

[١] القرضاوي : الصبر ، ص ٨٩ .

الغزوات ، ففي غزوة أحد (٣ هـ) أصيب الرسول – صلى الله عليه وسلم – إصابات كثيرة فكسِرت رباعيته وشج في وجهه فجعل الدّم يسيل على وجهه،وكذلك ابتلي صحابته – رضوان الله عليهم – معه ابتلاء عظيما فصبروا وثبتوا معه – صلى الله عليه وسلم – [1]، قال تعالى : << ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين النّاس وليَعلم اللهُ الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين . وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون >> [آل عمران : ١٣٩ – ١٤٣] .

٩- الشُّكـــر :

أ- تعريفه : لغة : « عِرفانُ الإحسان ونَشْرُه » [2] .

اصطلاحاً : « هو ظهورُ أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبّة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة » [3] .

ب- الفرق بين الحمد والشكر:

« الحمد يتضمّن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه ، سواء كان الإحسان إلى الحامد ، أم لم يكن ، والشكر لا يكون إلاّ على إحسان المشكور إلى الشاكِر ، فمن هذا الوجه الحمد أعمّ من الشكر ، لأنّه يكون على المحاسن والإحسان

---

[1] انظر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٨٧ – ٣٨٩ .

[2] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٢٣٠٥ .

[3] عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ، ص ٦١١ .

... والشكر يكون بالقلب واليد واللسان ، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعمّ من جهة أنواعه ، والحمد أعم من جهة أسبابه » [1] .

جـ - من أمثلته :

إنّ الله أمر بالشكر ، ونهى عن ضدّه ، وأثنى على أهله ، ووعد بأحسن جزائه ، وجعله سببا للمزيد من فضله [2] ، فقد أثنى الله عز وجل على نوح - عليه السلام - بقوله : << إنّه كان عبداً شكوراً >> [الإسراء : ٣] أي كان معترفاً بالعبودية لله تعالى قائما بها ، شديد الشكر لله بامتثال أوامره وروي أنه كان يكثر حمد الله [3] ، وقال عن خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : << إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين . شاكراً لأنعُمِه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم >>[النحل : ١٢٠ - ١٢١] ، ووجّه الله - عزّ وجل - موسى - عليه السلام - إلى شكره على نعمه ومننه << قال يا موسى إنّي اصطفيتك على النّاس برسالاتي وبكلامي فخذْ ما آتيتك وكن من الشاكرين >> [الأعراف : ١٤٤] ، وذُكر في الظلال أنّ « أمْرَ الله تعالى لموسى بأخذ ما آتاه ، والشكر على الاصطفاء والعطاء ، هو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله ، فالرسل قدوة في ذلك ، وفي الشكر استزادة من النعمة كما قال تعالى : << لئِنْ شكرتُم لأزيدنّكم >> [إبراهيم : ٧] ، وفيه إصلاحٌ للقلب ، وتحرزٌ من البطر ، واتصالٌ بالله » [4] ، ومن يتأمل سيرة أنبياء الله يجد

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى : جـ١١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

[2] انظر : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ، ص ٦٠٩ .

[3] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٤ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ ١٥ ، ص ٢٧ .

[4] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٣ ، ص ١٣٧٠ (بتصرف) .

تفانيهم في طاعة الله قولاً وعملاً ؛ بُغية إظهار شكرهم لنعم الله عليهم ، وكونه عزّ وجل قد اختصّهم بالنبوة واصطفاهم على العالمين .

١٠- التّوكُّـــــــل :

أ- تعريفه : لغة : من معانيه الاعتماد والاستكفاء والاستسلام والحفظ ، وإظهار العجز والاعتماد على الغير .[١]

اصطلاحاً : هو « صدق الاعتماد على الله - عز وجل - في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها »[٢] .

ب- درجات التوكل[٣] :

١- معرفة الربّ وصفاته من قدرته ، وكفايته ، وقيوميته ، وانتهاء الأمور إلى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته .

٢- إثباتٌ في الأسباب والمسبّبات ، فالأسباب محلُّ حكمة الله وأمره ودينه ، والتّوكل متعلّق بربوبيته وقضائه وقدره ، « والتوكل يُعدّ أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه ... والذي يحقّق التوكل ، القيام بالأسباب المأمور بها ، فمن عطّلها لم يصح توكله ، كما أنّ القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه ، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنياً »[٤] .

---

[١] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة وَكَلَ ، جـ٦، ص ٤٩٠٩ - ٤٩١٠ .

[٢] محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل جـ١، ص ١٠٦ .

[٣] انظرهذه الدرجات :عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم جـ٢، ص ٥٤٨ (بتصرف) .

[٤] ابن القيم : الفوائد ، ص ١٣٠.

٣- رسوخ القلب في مقام توحيد التّوكل ، فحقيقة التوكل توحيد القلب ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، وذلك بألا يلتفت إلى غير الله في توكله .

٤- اعتماد القلب على الله ، واستناده إليه ، وسكونه إليه ، وعلامته عدم التعلّق بالأسباب ، وذلك بأن يكون « اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضرّه مباشرة الأسباب مع خلوّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ... فقول العبد : توكّلت على الله ، مع اعتماد قلبه على غيره ، مثل قوله : تبْتُ إلى الله ، وهو مصرّ على معصيته مرتكب لها »[1] .

٥- حسن الظنّ بالله ، فعلى قدر حسن الظن بالله ورجائه يكون التوكل .

٦- استسلام القلب لله ، وانجذاب دواعيه كلها إليه ، وقطعه منازعاته ، وذلك بالاستسلام لتدبير الرّب فيما يفعله به ، لا فيما يأمره بفعله ، فيوقن أنّ التوفيق للاستطاعة إنما بيد الله وحده ، فإن لم يوفقه لذلك فهو عاجز .

٧- التّفويض ، وهو روح التوكل ولبّه وحقيقته ، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله ، وإنزالها به طلباً واختياراً ، لا كرهاً واضطراراً ... وقد جاء التفويض في القرآن ، فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون وقوله : << وأفوِّض أمري إلى الله >> [غافر : ٤٤] ، والمفوِّض لا يفوض أمرَه إلى الله إلاّ لإرادته أن يقضيَ له ما هو خير له في معاشه ومعاده ، وإن كان المقْضِيُّ له خلافَ ما يظنّه خيراً فهو راضٍ به ، لأنه يعلم أنه خير له ، وإن خفيت عليه جهة المصلحة فيه ... والمتوكل مفوضٌ وزيادة ، لأنّ معه من عمل القلب ما ليس مع المفوِّض ، فإنّه إذا فوّض أمرَه إليه اعتمد بقلبه

---

[1] ابن القيم : الفوائد ، ص ١٣٠ .

كلّه عليه بعد تفويضه .

٨- الرِّضا ، وهو ثمرة التّوكل ... فإنّه إذا توكّل حق التّوكل رضيَ بما يفعله وكيلُه ... والمقدور يكتنِفُه أمران : التّوكل قبلَه ، والرّضا بعده .

جـ - من أمثلته :

إنّ التّوكّل من لوازم الإيمان ومقتضياته ، قال تعالى : << وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين >> [المائدة : ٢٦] ، فهنا التوكل بمثابة الشرط في الإيمان ، وقال تعالى عن موسى - عليه السلام - : << وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكّلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين >> [يونس : ٨٤ – ٨٥] « وحصول التوكل هنا متوقف على حصول إيمانهم وإسلامهم ...أي حال كون إيمانهم مسلّم لله ، أي مخلص له غير شائب إياه بتردد في قدرة الله ولا في أن وعده حق »[1] ، « فجعل التوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه ... مقتضى الاعتقاد في الله ، ومقتضى إسلام النفس له خالصة والعمل بما يريد »[2] ، وبعد غزوة أحد ، « فكّر المشركون في الكرّة مرّة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاءً مبرماً ، وعندما علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنيتهم ندب النّاس إلى المسير إلى لقائهم ، وقال : « لا يخرج معنا إلا من شهد القتال » فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف ، وقالوا سمعاً وطاعة ، وخرج المسلمون إلى حمراء الأسد ، وعندما أقبل معبد الخزاعي إلى رسول الله ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله ، فيلحقه بالروحاء

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ ١١ ، ص ٢٦٢ (بتصرف يسير) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٣٦٩ .

[2] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٣ ، ص ١٨١٤ .

ولم يعلم بإسلامه ، فخذله وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعودة إلى مكة فسمع المشركون نصيحته وعادوا أدراجهم ، وكفى الله المؤمنين القتال » [1] ، وأثنى الله – تعالى – على موقف المسلمين هذا بقوله – عز وجل– : << الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذي قال لهم النّاسُ إنّ النّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل >> [آل عمران : ١٧٢- ١٧٣] فقولهم : حسبنا الله ونعم الوكيل إيماناً وتصديقاً كانت مصدر ثباتهم وإقدامهم في الجهاد في سبيل الله ، لا يهابون جموعاً ولا يكترثون لتهديد أو وعيد ، فقد اكتفوا بالله ناصراً وإن كانوا في قلّة وضعف ، واعتمدوا عليه سبحانه في لقاء العدو واستعانوا به . [2]

١١- الإنابة :

أ- **تعريفها : لغة :** من معانيها الإقبال والتوبة والرجوع إلى الطاعة أو لزوم الطاعة ، أو الرجوع إلى الله بالتوبة . [3]

اصطلاحا : هي : « الرجوع إلى الله ، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه ، وهي تتضمن المحبّة والخشية [4] ، فإنّ المنيب محب لمن أناب إليه ،

---

[1] مهدي رزق الله : السيرة النبوية ، ص ٤٠٧ (بتصرف يسير) / وانظر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٩٧ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٧٠ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٤ ، ص ١٧٠ .

[3] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة توب ، جـ٦، ص ٤٥٦٩ .

[4] الخشية : خوفٌ يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه . الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٤٩ .

خاضـــع ، خاشع ذليل » [1] .

ب- أقسام الإنابة [2] :

١- إنابة لربوبيـة الله عز وجل : وهي إنابة المخلوقات كلّها ، يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبـرّ والفـاجر ، ، قال الله تعالى : << وإذا مسّ النّاس ضُرٌّ دَعَـوْا ربَّهم مُنيبين إليه >> [الروم : ٣٣] ، والإنابة لا تستلزم الإسلام ، بل تُجامع الشرك والكفر كما قال تعالى في حقّ هولاء : << ثمَّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريقٌ منهم بربّهم يُشرِكون ليكفروا بما آتيناهم >> [الروم ٣٣- ٣٤] فهذا حالهم بعد إنابتهم .

٢- إنابة لألوهية الله عز وجل : وهي إنابة أوليائه ، إنابة عبوديّة ومحبّة ، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : << إنّ إبـراهيـمَ لحَليـمٌ أوّاهٌ مُنيـب >> [هود : ٧٥] ، منيـب : أي راجــع إلــى طاعة اللــه ، بمــا يحبــه اللــه ويرضاه [3] ، « وإبراهيم -صلى الله عليه وسلم - كان راجعاً إلى الله تعالى في أموره كلها » [4] .

---

[1] ابن القيّم : تقريب طريق الهجرتين ، ص ٢٨٦ .

[2] انظر هذه الأقسام : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٣٧٢ .

[3] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٤ ، ص ٢٩٦ .

[4] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٧٣ /وانظر : الزمخشري : تفسير الزمخشري ، جـ٢، ص ٤١٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ ١٢، ١٢٤ .

١٢- التوبة :

-لغة : « الرُّجوع من الذَّنْب »[1] .

-اصطلاحاً : « هي رجوع العبد إلى الله عمّا تاب منه إلى ما تاب إليه ، فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه »[2] .

ب- شروط التوبة[3] :

١- الندم على ما سلف منه في الماضي .

٢- الإقلاع عنه في الحال .

٣- العزم على أن لا يعاوده في المستقبل .

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة ، فإنه في الوقت ذاته يندم ، ويُقلِع ، ويعْزِم .

جـ- العلاقة بين الاستغفار والتوبة[4] :

الاستغفار نوعان : مفرد ومقرون بالتوبة ، فالمفرد : كقول نوح – عليه

---

[1] ابن منظور :لسان العرب ، جـ١ ، ص ٤٥٤ .

[2] ابن تيمية : كتاب التوبة ، ص ٢١ (بتصرف يسير) / وانظر : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ١٨٦ ، ص ٢٧٧ .

[3] انظر هذه الشروط : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ١٨٩.

[4] انظر ما ورد تحت هذا العنوان : عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ١ ، ص ٢٧٩ – ٢٨٢ (بتصرّف) .

السلام – لقومه << استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً >> [نوح : ١٠] ، والمقرون كقوله تعالى : << استغفِروا ربّكم ثم توبوا إليه ... >> [هود : ٥٢] .

فالاستغفار المُفرَد هو التوبة ، مع تضمّنه طلب المغفرة من الله ، وهو محو الذنب ، وإزالة أثره ، ووقاية شرّه ، مع طلب الستر للعيوب والنقائص ، فالاستغفار يتضمّن التوبة ، والتوبة تتضمن الاستغفار ، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق .

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى ، فالاستغفار : طلب وقاية شرّ ما مضى ، والتوبة : الرّجوع وطلبُ وِقاية شرّ ما يخافُه في المستقبَل من سيّئات أعماله . فها هنا ذنبان : ذنب قد مضى ، فالاستغفار منه طلبُ وقاية شرّه ، وذنبٌ يخاف وقوعَه ، فالتوبة العزم على أن لا يفعله ، والرجوعُ إلى الله يتناول النّوعين : رجوعٌ إليه ليقيه شرّ ما مضى ، ورجوعٌ إليه ليقيه شرّ ما يستقبِلُ من شرّ نفسه وسيئات أعماله ، فها هنا أمران لا بد منهما : مفارقة شيء والرجوع إلى غيره ، فخُصّت التوبة بالرجوع ، والاستغفار بالمفارقة ، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين ، وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر ، وذلك بأن يقيه شرّ الذنب ، والتوبة طلب جلب المنفعة ، وذلك بأن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يُحبُّه ، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده .

د- توبة الأنبياء :

قال ابن تيمية : « قد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتّبعهم على ما أخبر الله به في كتابه ، وما ثبت عن رسوله ، من توبة الأنبياء – عليهم السلام – من الذنوب التي تابوا منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم ، فإنّ الله يحب

التوابين ، ويحب المتطهرين ، وعصمتهم هي من أن يُقرُّوا على الذنوب والخطأ ، فإن مَن سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبيّن لهم » (١) .

ومن أبرز الأمثلة في التوبة في قصص أولي العزم من الرسل ، توبة موسى – عليه السلام – من سؤاله رؤية الله عزّ وجلّ في الدنيا ، قال تعالى : << ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمَهُ ربُّه قال ربِّ أرِني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين >> [الأعراف : ١٤٣] ، إذ إنّه لما سمع موسى – عليه السلام – كلام الله ، طمع في حصول الرؤية ، « ولا نشك في أنّه سأل رؤية تليق بذات الله تعالى وهي مثل الرؤية الموعود بها في الآخرة ، فكان موسى يحسب أنّ مثلها ممكن في الدنيا حتى أعلمه الله بأن ذلك غير واقع في الدنيا ، ولا يمتنع على نبي عدم العلم بتفاصيل الشؤون الإلهية قبل أن يعلمها الله إياه » (٢) ، وقد ضرب الله له مثلاً بالجبل ، فما دام الجبل الذي هو أعظم صلابة وقوّة لم يثبُت عندما تجلّى الله له ، فكيف بموسى – عليه السلام – ، ولذلك لمّا رأي موسى ما حدث للجبل من الهدم والدقّ بحيث صار تراباً ، غشي عليه ، ولما أفاق من هول ما رأى ، سبّح الله بقصد الثناء على الله وتنزيهه عما لا يليق به من سؤال رؤيته في الدنيا ، وتاب إلى الله أن يعود لمثل هذا السؤال . (٣)

---

(١) ابن تيمية : كتاب التوبة ، ص ٦٥ .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ٩١ .

(٣) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٢١٣ – ٢١٤ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ٩١ – ٩٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢١٤ .

ثانياً – العبادات التي مناطها الجوارح :

أبرز هذه العبادات الـذِّكْـر ؛ إذ قد وردت إشارات عن الطواف والصلاة والركوع والسجود والحج ، كقوله تعالى لإبراهيم – عليه السلام – : << وإذْ بَوأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أنْ لا تُشرِكَ بي شيئاً وطهِّرْ بيتي للطائفينَ والقائمين والرُّكَّعِ السُّجود . وأذِّن في الناس بالحجِّ يأتوك رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق . >> [الحج : ٢٦ – ٢٧] ، وقوله تعالى لموسى – عليه السلام – : << أقم الصلاة لذكري >> [طه : ١٤] ، ومن ثم ، سيكون التفصيل في أبرز ما ورد :

١- الـذِّكْـــر :

أ- تعريفه : لغة : « الـذِّكْـرُ الحفظ للشيء تَذْكُـرُهُ » [١] ، وهو « يطلق ويراد به الحفظ ، أو يراد به حضور الشيء القلب أو القولَ » [٢] .

اصطلاحاً : « الذكر المطلق يدخل فيه الصلاة وتلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والعلم النافع ، كما يدخل فيه التسبيح والتكبير والتهليل » [٣]، وجاء في الأذكار : « أنّ كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى » [٤] .

ب- أنواع الذكر :

قال ابن رجب الحنبلي [*] في بيان أنواع الذكــر « معلـــوم أنّ الله فرض على المسلمين أن يذكروه كل يوم وليلة خمس مرات بإقامة الصلوات الخمس فـــي

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، مادة ذكر ، جـ٣ ، ص ١٥٠٧ – ١٥٠٩ (بتصرف يسير) .

[٢] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٧٩ .

[٣] ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم ، ص ٤٨٣ .

[٤] النووي : الأذكار ، ص ٣٠ .

[*] هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي ، الحنبلي ، الشيخ المحدّث الحافظ زين الدين ولد ببغداد سنة (٧٠٦هـ) ، ومات سنة (٧٩٥ هـ) . انظر ترجمته : ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ ، ترجمة (٢٢٧٦) /الزركلي : الأعلام ، جـ٣ / ص٢٩٥ .

مواقيتها المؤقتة ، وشرع لهم مع هذه الفرائض الخمس أن يذكروه ذكراً يكون لهم نافلة ، والنافلة الزيادة ، فيكون ذلك زيادة على الصلوات الخمس وهي نوعان :

١- أحدهما من جنس الصلاة فشرع لهم أن يصلوا مع الصلوات الخمس قبلها أو بعدها أو قبلها وبعدها سنناً ، فتكون زيادة على الفريضة (مثل السنن الرواتب ، والوتر وقيام الليل ، وصلاة الضحى وغيرها من النوافل) .

٢- وأما الذكر باللسان فمشروع في جميع الأوقات ويتأكد في بعضها » [١] .

جـ - أفضل الذكر :

ما تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن اقتصر على أحدهما ، فذكر القلب أفضل ؛ لقوة آثاره في تحقيق المحبة ، والحياء ، والخوف ، والمراقبة ، مما يردع النفس عن التقصير والتهاون في ارتكاب المعاصي . [٢]

د - الذكر والدعاء :

عدَّ ابن القيم [٣] الدعاء نوعاً من أنواع الذكر ، في معرض بيانه لأنواع الذكر ، من ثناء ودعاء ورعاية ، ويقصد بالدعاء نحو : (يا حي يا قيوم برحمتك استغيث) ، و بالرعاية قول الذاكر : الله معي ، الله شاهدي ، مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله ، وربما أمكننا إدخال هذه الأنواع ضمن مشتملات الذكر ؛ إذ هي داخلة في أنواع الذكر المذكورة آنفاً ، حسب مناسبتها لما ورد فيها . [٤]

---

[١] ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم ، ص ٤٨٢- ٤٨٣ .

[٢] انظر : ابن القيم : الوابل الصيّب ، ص ١١٤ - ١١٥ / النووي : الأذكار ، ص ٢٩ .

[٣] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيّم الجوزية ، الحنبلي ، ولد سنة (٦٩١هـ) ، الإمام ، العلاّمة ، من شيوخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، لازمه ، وأحبه حباً عظيماً، وهو الذي هذّب كتبه ، ونشر علمه ، كان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف ، له تصانيف كثيرة ، مات سنة (٧٥١ هـ) . انظر ترجمته : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ٢٤٦ /ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص ٤٠٠- ٤٠٣ ، ترجمة (١٠٦٧) .

[٤] انظر :عبدالمنعم العزي: تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ،جـ٢، ص ٧٤٤/الشوكاني : تحفة الذاكرين،ص ٣٥ .

٢- الدعاءوتعريفه :

- لغة : من معانيه : التوحيد ، العبادة ، الاستغاثة ، النداء ، القول ، الثناء على الله ، السؤال والطلب . [١]

- اصطلاحاً : « هو استدعاء العبدِ ربَّه العناية ، واستمدادُه إيّاهُ المعونةَ ، وحقيقته : إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوّة ، وهو سمة العبودية ، وإستشعار الذلّة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه » [٢] .

٣- أهمية الذكر التعبدية [٣] :

يتضح مما ذكر آنفا في معاني الذكر ، أنّ المراد الحقيقي منه هو حضور القلب ، وأفضله الحضور الذي يغلب عليه الدوام ، فيُكتب المسلم من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، « ولا شيء يزيل الغفلة عن القلب ويحيي فيه اليقظة الدائمة مثل دوام ذكر الله تعالى ، حيث تحل بالذكر خشية الله ومخافته » [٤]، وهو مهم في جميع العبادات ؛ بُغية قبول العمل عند الله والثواب عليه ، إذ ما قيمة أن ينوي العبد ما يقوم به من عبادات طاعةً لله وتقرّباً إليه ، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله .

والذكرمن سماته أنه متصل بالإنسان في كل أحيانه وأحواله ، ومن ثم ، يكفل للمسلم دوام الصلة القلبية بالله عز وجل ، ويولّد الترابط بين المؤمن وما حوله من أشياء وأحداث ، تكون سببا في تذكيره بالله ، وإزالة الغفلة عن قلبه ،

---

[١] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (دعا) ، جـ٢ ، ص ١٣٨٥- ١٣٨٧ / ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ١١ ، ص ٩٤ / الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٧٠ / المحاملي : كتاب الدعاء ، من دراسة المحقّق ، ص ١٣-١٦ .

[٢] الخطابي : شأن الدعاء ، ص ٤ .

[٣] انظر : أكرم العمري : التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، ص ٩٥-٩٦ ، ١٢٦ (بتصرف)/ ابن القيم : الوابل الصيّب ، ص ٢٧ ، ٥٦ / النووي : الأذكار ، ص ٣٠ .

[٤] أكرم العمري : التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، ص ٩٥ .

وقد وصفت عائشة – رضي الله عنها – دوام ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : « « كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يذكر الله على كل أحيانه » [1] ، وقد مدح الله عزّ وجل عباده في دوام ذكرهم [2] له سبحانه بقوله : << الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً فقنا عذاب النّار >> [آل عمران : ١٩١] .

والذكر من أجلّ العبادات ، لما له من قيمة تعبدية ؛ لعِظَم أجره وثوابه ، رغم سهولته ويسره وخفّته ، وله قيمة حضارية ؛ لما يمثله من حضور دائم ويقظة دائبة ، تثمر الوعي الحضاري بقيمة الإحسان في عبادة الإنسان لربّه ، فيعبد الله كأنه يراه ، فيكون قلبه حاضراً على الدوام ، ذاكراً الله بقلبه ولسانه معاً .

وقد نال الذكر والدعاء حيّزا كبيرا في قصص الأنبياء وخاصة أولي العزم من الرسل ، وسيأتي بيان ذلك في التالي :

٤- من الأذكار والأدعية الواردة في قصص أولي العزم من الرسل :

١- الثنـــاء علــى اللــه :

بحمده وتمجيده ، كقول إبراهيم – عليه السلام – : << الحمدُ لله الذي وهبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاقَ إنّ ربي لَسميعُ الدُّعاء >> [إبراهيم : ٣٩] ، وقوله تعالى توجيهاً وتعليما [3] لنوح – عليه السلام – : << فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمدلله الذي نجّانا من القوم الظالميـــن . وقــل ربّـي أنزلنـي مُنــزَلاً مباركاً وأنــت خيـــر المُنزِليـــن >> [المؤمنون : ٢٨-٢٩] ، وتمجيده كدعاء عيسى – عليه السلام – بعد أن سأل ربّه نزول المائدة على الحواريين : << وارزقنا وأنت خير الرازقين >> [المائدة : ١١٤] .

---

[1] مسلم : صحيح مسلم جـ١ ، ص ٢٨٢ ، كتاب (٣) ، باب (٣٠) ، ح ١١٧ .

[2] انظر : الرازي : التفسير الكبير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ١١٠ .

[3] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٢ ، ص ١٢٠ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٤٦٦ .

٢- الاستغفـــار :

أ- المقصود به :

طلب المغفرة من الله – عزّ وجل – بلفظ : استغفـر الله ، أو اللهـم اغفر لي [1] ، و« المَغْفِرةُ هي وقاية شرّ الذنب ، ومن النّاس من يقول الغفـر الستر ... وهذا تقصير في معنى الغفر ؛ فإنّ المغفرة معناها وقاية شرّ الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب ، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه ، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن ، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له ، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب » [2] .

ب - أهميته :

للاستغفار أهمية كبيرة في حياة المؤمن التعبدية ، فهو من وسائل محو الذنوب ، وصقل القلب ؛ إذ القلب يصدأ بأمرين : « الغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر »[3] ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنّ العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكِتتَ في قلبِه نُكتةٌ سوداء ، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقِلَ قَلْبُهُ ، وإن عاد زِيدَ فيها ، حتى تَعْلُو قَلْبَه ، وهو الرَّانُ الذي ذَكَرَ اللهُ << كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون >> [المطففين : ١٤] »[4] ، والرّانُ هو : « الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ، ويسودّ من الذنوب » [5] ، ولعظم الأثر

[1] انظر : النووي : الأذكار ، ص ٥٧٩ / أبوبكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص ١٣٨ .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ١٠ ، ص ٣١٧ / وانظر : عبد المنعم العزّي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ /ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٢٧٤ / الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٣٦٢ .

[3] ابن القيم : الوابل الصيب ، ص ٥١ .

[4] الترمذي : سنن الترمذي ، جـ ٥ ، ص ٤٠٤ ، كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (٧٤) ، ح ٣٣٣٤ / وانظر : ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، جـ ٢ ، ص ١٤١٨ ، كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٢٩) ، ح ٤٢٤٤ / الحاكم : مستدرك الحاكم ، جـ ٢ ، ص ٥٦٢ ، كتاب (٢٧) التفسير ، باب (٨٣) ، ح ٣٩٠٨/ ١٠٤٦ ، وصححه ووافقه الذهبي .

[5] الشوكاني : فتح القدير : جـ ٥ ، ص ٤٠٠ .

الإيماني للاستغفار ، وما يحمله من دلالات إظهار العبودية لله – عزّ وجل – من افتقار العبد إلى ربّه وتذلله إليه ، واعترافِه بتقصيره وذنبه ، وتعظيمِه لأمر الله و نهيه ، مما يُعِين العبدَ على الاستقامة وسلوك طريق الحقّ ، كان الاستغفار ديدن الأنبياء في حياتهم ، وهذا الأمر لا ينافي عصمة الأنبياء ؛ إذ العصمة في تحمّل الرسالة والتبليغ عن الله ثابتة باتفاق المسلمين [(١)] ، أما العصمة عن الخطأ والمعصية ، فقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أنّ الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر [(٢)]، وقال ابن تيمية : « القول بأنّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر : هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ... بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول » [(٣)]، « والقول الذي عليه جمهورالناس ، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف : إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً » [(٤)] ، ومن ثم ، فما يرِد من استغفار على لسان الأنبياء فهو منضبط بهذه القاعدة ، كقول إبراهيم عليه السلام : << والذي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لي خطيئتي يومَ الدين >> [الشعراء : ٨٢] ، وقول موسى عليه السلام : << ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي >> [القصص : ١٦] ، وكان الأنبياء يحثّون أقوامهم على الاستغفار بل ويستغفرون لهم الله بل ويستغفرون للمؤمنين كافة ، كطلب موسى عليه السلام المغفرة من ربّه له ولقومه ، لما فعله قومه من عبادة العجل [(٥)]، قال تعالى : << واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرّجفة قال ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبلُ وإيّايَ أتُهلِكُنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلاّ فتنتُك تُضلّ بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين >> [الأعراف : ١٥٥] « إذ قد أمره الله أن يأتي إلى الطور في موعد وقّته له ، في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه سبحانه من عبادة

---

(١) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٠ / عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات ، ص ٩٧ .

(٢) انظر : عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ٤، ص ٣١٩ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٣ .

(٥) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ .

العجل ، والرجفة : الزلزلة الشديدة »[1] ، وقول نــوح – عليـه السـلام – لقومـه : << استغفروا ربكم إنّه كان غفّاراً >> [نوح : ١٠] ، وقوله : << ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ... >> [نوح : ٢٨] ، وقول إبراهيم – عليه السلام – : << ربّنا اغفرلـي ولوالـدي وللمؤمنين يـوم يقوم الحساب >> [إبراهيم : ٤١] .

جـ – استغفار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه :

فقد تكرّر ذكر استغفار إبراهيم لأبيه في القرآن مثل : << سأستغفِر لك ربّي إنّه كان بي حفياً >> [مريم : ٤٧] ، وقوله : << واغفِرْ لأبي إنّه كان مِنَ الضالّين >> [الشعراء : ٨٦] ، وقوله : << ربّنا اغفر لـي ولوالـدي ... >> [إبراهيم : ٤١] ، فقد « استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه مدة طويلة ... وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداءً بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى : << قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء >> [الممتحنة : ٤] يعني إلاّ في هذا القول فلا تتأسوا به ثم بيّن تعالى أنّ إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه ، فقال تعالى :<< ما كان للنبي والذين آمنوا أنْ يستغفِروا للمُشرِكين ولو كانوا أولي قُربى من بعدِ ما تبيّنَ لهم أنّهم أصحابُ الجحيم . وما كان استِغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلاّ عن موعِدَةٍ وعَدَها إيّاهُ فلمّا تبيّنَ له أنّه عدوٌّ لله تبرأ منه إنّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليمٌ >> [التوبة : ١١٣-١١٤] »[2] ، والمعنى : « لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه ، فإنّ ذلك لم يكن إلاّ عن عِدَة . وقال ابن عباس : كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم الخليل أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد ، فلما

---

[1] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢١٦-٢١٧ (بتصرف يسير) .

[2] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ١٠٩ .

مات على الكفر علم أنه عدو الله ، فترك الدعاء له » [١] ، فالإمساك عن الاستغفار لمن مات مُشركاً ، أما الأحياء من المُشركين فلم يرِد النهي عن الاستغفار لهم ؛ لأنه مرجوّ إيمانهم ، مع إمكانية تألفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين [٢] .

٣- طلب الرَّحْمَة :

الرّحمة « رِقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ... والرحمة منطوية على معنيين : الرّقة والإحسان ، فركّزَ تعالى في طبائع الناس الرّقة ، وتفرّد بالإحسان » [٣] .

لقد سأل موسى - عليه السلام - ربّه الرّحمة له ولأخيه ولقومه ، فدعا الله بقوله : << ربّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين >> [الأعراف : ١٥١] ، و دعا ربه بعد توبة قومه من عبادة العجل بقوله : << فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين >> [الأعراف : ١٥٥] .

٤- سؤال الله مجانبة عبادة الأصنام :

إذ دعا بذلك إبراهيم - عليه السلام - ربّه بقوله : << واجْنُبْني وبنيّ أن نعبُدَ الأصنام . ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من النّاس فمن تبعني فإنّه منّي ومن عصاني فإنّك غفور رحيم >> [إبراهيم : ٣٥-٣٦] ، واجنبني بمعنى : أبعدني عن عبادة الأصنام [٤] ، أو بمعنى المنع والحماية من عبادة الأصنام [٥] ، وهنا يقصد بها : الثبات على اجتنابها [٦] ، والأصنام جمع صنم وهو : التمثال المصوّر ، وما ليس

---

[١] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٨ ، ص ٢٧٤ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٣٤٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٨ ، ص ٢٧٤ .

[٣] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٩١ .

[٤] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٤، ص ٤٥٧ / الشوكاني : فتح القدير ، مج ٣ ، ص ١١٢ .

[٥] ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٨ ، ص ٢٥٠ .

[٦] انظر : الزمخشري : الكشاف ، جـ٢، ص ٥٥٨ / الرازي : التفسير الكبير ، مج ١٠ ، جـ١٩ ، ص ١٠٤ .

بمصور فهو وثن [١] ، وهنا المراد عبادة غير الله تعالى سواء كان صنماً أو غيره [٢] ، وفي هذا الدعاء بيان لخوف إبراهيم - عليه السلام - على نفسه وبنيه [٣] فقوله -عليه السلام -في دعائه : << إنهن أضللن كثيراً من النّاس >> « تعليل للدعوة بإجنابه عبادة الأصنام بأنها ضلال راج بين كثير من الناس ، فحقٌ للمؤمن الضنين بإيمانه أن يخشى أن تجترفه فتنتها »[٤] .

٥- سؤال الصبر و الثبات وحسن الخاتمة :

والثبات ضدّ الزوال ، ومن معانيه : الإقامة بالشيء ، وتثبيت القلب أي تسكينه[٥] ، فالمؤمن مبتلى في حياته الدنيا ، معرّض للفتن والمكاره ، وكلما قَوِي إيمانه ويقينه بالله ، قوي في مواجهة ذلك ، ولكن تبقى هذه القوّة في إطار بشريته ، ومن ثم ، تكون مشوبة بالضعف والعجز ؛ لذا فهو في حاجة دائمة إلى من يسنده ويعينه في المواجهة والصمود ، فيلجأ إلى الله عز وجل متضرعاً مبتهلاً ، طالباً الثبات والصبر ، متطّلعاً إلى حسن الخاتمة ، فمَعِينُه الذي لا ينضب هو الدّعاء ، وهو خير المُعين ، وخير الزاد ، فها هم هؤلاء سحرة فرعون ، بعد أن عرفوا الحقّ وتيقنوا أنّ الله واحد لا شريك له ، وآمنوا بموسى وما جاء به من التوحيد ، توعّدهم فرعون بالعذاب والتنكيل والقتل ، فأصروا على إيمانهم ودعوا الله ربهم بقولهم : << ربّنا أفْرِغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين >> [الأعراف : ١٢٦] ، فهم سألوا الله أن يهبهم الصبر ، « ولما كان ذلك الوعيد مما لا تطيقه النفوس سألوا الله أن يجعل لنفوسهم صبراً قويا ، يفوق المتعارف ، فشبّه الصبر بالماء الذي يفرغ من الإناء ، والإفراغ هو صبّ جميع ما في الإناء بحيث لا يبقى فيه

---

[١] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٤ ، ص٤٥٧ / الرازي : التفسير الكبير ، مج ١٠ ، جـ١٩ ، ص ١٠٥ .

[٢] انظر : الرازي : التفسير الكبير ، مج ١٠ ، جـ١٩ ، ص ١٠٥ .

[٣] انظر : ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٨ ، ص ٢٥١ .

[٤] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ١٣ ، ص ٢٣٩ / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٤٦٧ .

[٥] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ١ ، ص ٤٦٧- ٤٦٨ / الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٧٨ .

شــيء مما حـواه »[1]، « وعبّر عنه بالإفراغ استعارة لقوة الصبرالمطلوبة وكثرته مع التعميم والإحاطة »[2] ، فهم قد « طلبوا أبلغ أنواع الصبراستعداداً منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدو الله وتوطيناً لأنفسهم على التصلب في الحق وثبوت القدم على الإيمان »[3] ؛ إذ الثبات على الإيمان طريقهم إلى حسن الخاتمة والتي ينشـدها كل مؤمن يرجو رحمة ربّه وعفوه ، لذا فقد سألوا الله أن يتوفاهم مسلمين .

ودعاء إبراهيم – عليه السلام – بـ : << ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريّتي >> [إبراهيم:٤٠] « في أمركان مثابرا عليه ، متمسكا به ، ومتى دعا الإنسان في مثل هذا فإنما المقصد إدامة هذا الأمر واستمراره »[4]، أي المعنى : اجعلني محافظاً على الصلاة غير مهمل لشيء منها ، ثابتاً عليها [5] .

٦- سؤال الحُكْمَ والعلم والفهم :

سأل إبراهيم – عليه السلام – ربّه أن يهبه حكما بقوله : << ربِّ هَبْ لي حُكماً ... >> [الشعراء: ٨٣] ، فمما ورد في تفسير الحُكْم الوارد في الآية :

– بأنه الحِكْمَة [6] ، والحكمة « عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم » [7] ، أوهي « إصابة الحقّ بالعلم والعقل » [8] .

---

(1) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩، ص ٥٦ . (بتصرف يسير)

(2) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٢ ، جـ٢ ، ص ٤٩٩ . (بتصرف يسير)

(3) الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٢٣٥ .

(4) ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٨ ، ص ٢٥٦ .

(5) انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ١١٣ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٣٧٥ .

(6) انظر : الزمخشري : تفسير الزمخشري ، جـ٣ ، ص ٣٢٠ / ابن عاشور : تفسير تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩، جـ١٩ ، ص ١٤٥ .

(7) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢، ص ٩٥١ .

(8) الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٢٧ .

- أو الحكم بمعنى العلم ، والفقه والفهم ، كقوله تعالـى : << وآتيناه الحكـم صبيا >> [مريم: ١٢] أي علماً وفقهاً . [١]

- والحُكْم : القضـاء ، أي « بأن يقضي بشيء على شيء ، والحُكم أعمّ من الحِكمة ، فكل حِكمة حُكم ، وليس كل حُكم حِكمة » [٢] ، وقيل هو «القضاء بالعدل ، ومن هذا قيل للحاكِم بين النّاس حاكِمٌ ، لأنّه يمنع الظالِم من الظلم » [٣] .

- والحُكْمُ : الاتقان ، والحكيـم : المُتقِـنُ للأمور .[٤]

٧- طلب اللّحاق بالصالحين :

وذلك كما ورد في دعاء إبراهيم - عليه السلام - : << وألحقني بالصالحيـن >> [الشعراء : ٨٣] والصلاح « ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبِل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيّئة » [٥] ، والصالحون هنا « لفظ يعمّ جميع الصالحين من الأنبياء والمرسلين » [٦] ، وقيل : « الإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم ، أو يجمع بينه وبينهم في الجنّة ، ولقد أجابه تعالى حيث قال : << وإنه في الآخرة لمن الصالحين >> [النحل : ١٢٢] » [٧] .

---

[١] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ٣، ص ٢٩١ /القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص ١١٢ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤، ص ١٠٥ / ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٩٥١ .

[٢] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٢٧(بتصرف يسير) .

[٣] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٩٥٢ (بتصرف يسير) .

[٤] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٩٥٣ .

[٥] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٢٤٨ .

[٦] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩، جـ١٩ ، ص ١٤٤ / وانظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤، ص ١٠٥ .

[٧] الزمخشري : تفسير الزمخشري ، جـ٣ ، ص ٣٢٠ .

٨ - سؤال الجنّة :

سـال إبراهيم عليـه السلام ربّه الجنة بدعـائه : << واجـعلني مِن ورثةِ جَنّـةِ النّـعيم >> [الشعراء : ٨٥] ، أي « اجعلني وارثاً من ورثة الجنّة ، وجعلها مما يورث تشبيهاً لغنيمة الآخرة بغنيمة الدنيا »[١] ، وقيل ممن يعطاها [٢] .

٩- طلب عدم الخزي يوم البعث :

والخزي يتضمن معنى : السّوء والذّلّـة والهوان والفضيـحة [٣] ، وقيـل : « خَزِيَ الرّجلُ لَحِقَهُ انْكِسارٌ إمّا من نفسِهِ وإمّا من غيرِه » [٤]، وقدورد في القرآن هذا الدعـاء عن إبراهيم - عليـه السـلام - إذ دعـا ربه بقـوله : << ولا تُـخْزِني يومَ يُبْعَثُون >> [الشعراء : ٨٧] ، وقدّ فسّر ابن عطيّة الخزي بقوله : « لا تخزني : إما من الخِزْي وهو الهوان ، وإما من الخزاية وهي الحياء » [٥] ، فإبراهيم - عليه السلام - حريص على أن يلقى الله خالياً من شوائب الدنيا وخزيها ، وهذا شأن الأنبياء والرسل فهم صفوة الله في خلقه ، فرغم العصمة التي منّ الله بها عليهم ، إلاّ أنهم يتطلعون إلى بلوغ أعلى مراتب العبودية لله عز وجل ، طلبا لرضاه وجزيل ثوابه ، ومن ثم ، تكون مرتبتهم في الحياء من الله وخشيته ومخافة التقصير في طاعته عظيمة [٦]، وبصورة عامة هذاالدعاء يوحي بمدى استشعار إبراهيم عليه السلام لهول اليوم الآخر ، وهو يوم العرض ، الذي تشهده جميع الخلائق [٧]، ومدى حيائه وخشيته وخوفه من التقصير مع ربّه ، وقد جعله الله إماماً يُقتدى به قال تعالى :

---

[١] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤، ص١٠٧ (بتصرف يسير) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٩١ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣، ص ١١٤ .

[٢] انظر : الجلالين : تفسير الجلالين ، ص ٤٨٥ .

[٣] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢، ص ١١٥٥ .

[٤] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٤٧ .

[٥] تفسير ابن عطية ، جـ١١ ، ص ١٢٦ .

[٦] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٦٠٤ - ٢٦٠٥ .

[٧] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣، ٢٩١ .

<< إنّي جاعلك للناس إماماً >> [البقرة : ١٢٤] ، فلا غرو أن يطلب لنفسه الأمان من الخزي يوم العرض .

١٠- سؤال الذرية الصالحة :

سأل إبراهيم – عليه السلام – ربّه أن يهبه ذريةً صالحة فقال : << ربِّ هبْ لي من الصالحين >> [الصافات : ١٠٠] ، الهِبَةُ : « العَطِيَّةُ الخالية من الأعواض والأغراض » [1] ، «والصلاح أفضل الصفات بدليل أنّ إبراهيم – عليه السلام – طلب الصلاح لنفسه ، فقال :<< وألحقني بالصالحين >> [الشعراء : ٨٣] »[2] ، وكذلك « لأنّ نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً فإنّ صلاح الأبناء قرة عين للآباء ، ومن صلاحهم برّهم بوالديهم » [3] ، وقد استجاب الله دعاءه ، قال تعالى في الآية التي بعدها : << فبشّرناه بغلامٍ حليم >> [الصافات : ١٠١] والبشارة : « الإخبار بخيرٍ وارد عن قرب أو على بعد ...والحلم اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق . قيل ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم » [4] .

١١- طلب الذكر الجميل والثناء الحسن [5]:

ورد في دعاء إبراهيم -عليه السلام- : << واجعلْ لي لسان صدْق في الآخِرِين >> [الشعراء : ٨٤] ، أي « سأل بقاء ذكر له جسن في الأمم والأجيال الآتية من بعده ، وهذا يتضمن حسن الختام وطلب نشر الثناء عليه ؛ لأنّ الثناء عليه يستدعي دعاء الناس له والصلاة عليه والتسليم جزاء على ما عرفوه من زكاء نفسه ، وقد جعل الله في ذريته أنبياء ورسلاً يذكرونه وتذكره الأمم التابعة لهم ، واللسان مراد به الكلام ، والصدق هنا

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص ٤٩٢٩ .

[2] الرازي : التفسير الكبير ، مج ١٣ ، جـ٢٦ ، ص ١٣٢ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١، جـ٢٣، ص ١٤٨ .

[4] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١، جـ٢٣، ص ١٤٩ .

[5] انظرحكم استحباب هذا الأمر: القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص ١١٣ .

كناية عن المحبوب المرغوب فيه لأنه يرغب في تحققه ووقوعه في نفس الأمر »[١] ، وقد أجاب الله عز وجل دعوته ، قال تعالى : << فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحـاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيًا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدقٍ علياً >> [مريم: ٤٩-٥٠] « أي ذكراً حسناً في النّاس مرتفعاً ، فجميع أهل الأديان يتولّون إبراهيم وذريته ويثنون عليهم »[٢] .

١٢- الدعاء بألا يجعلنا الله فتنة للذين كفروا :

فقد دعا بها إبراهيم – عليه السلام – ومن معه بقولهم : << ربّنا لا تجْعَلْنا فِتْنَةً للذين كفروا ... >> [الممتحنة : ٥] ، كما دعا بها قوم موسى – عليه السلام – قال تعالى : << وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالـوا على اللـه توكّلنـا ربّنا لا تجعلنـا فتنـة للقـومِ الظالميـن >> [يونس : ٨٤ -٨٥] ، ورد في اللسان أنّ « جماع معنى الفِتْنَة الابتلاء والامتحان والاختبار ، والفتنة : إعجابك بالشيء ... والضّلال والإثم ... وقد كثُر استعمالها فيما أخْرجَه الاختبار للمكروه »[٣] ، فالمقصد هو اندفاع ظهور الكفار وغلبتهم عن المؤمنين الذي بسببه فُتن الكفار ؛ بُغية تحقيق مصلحة الدين وحفظ أهله من أي اضطراب أو فساد في الأحوال يثير الفتن والشبه[٤] ، « فيقول الكفار : لو كان الإيمان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم . وهي الشبهة التي كثيراً ما تحيك في الصدور ، حين يتمكن الباطل من الحق ، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان – لحكمة يعلمها الله – في فترة من الفترات ، والمؤمن يصبر للابتلاء ، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألاّ يصيبه البلاء الذي يجعله فتنة وشبهة تحيك

---

[١] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ١٩ ، ص ١٤٥- ١٤٦(بتصرف) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣، ص ٢٩١ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص ١١٢- ١١٣ .

[٢] ابن الجوزي : زاد المسير ، مج ٥ ، ص ١٦٧ .

[٣] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥ ، ص ٣٣٤٤- ٣٣٤٦ .

[٤] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٣ ، جـ٢٨ ، ص ١٤٨ ، مج ٦ ، جـ١١ ، ص ٢٦٣ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤، ص ٣٠٥ ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٨، ص ٥٧ ، جـ٨ ، ص ٣٧٠ / ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ١٤ ، ص ٤٠٤ .

في الصدور »[1] .

١٣- الاسْتِعَانَـة :

من الـعَـوْن : « أي الظَّهيرُ على الأمْـر »[2] ، والاستعانة « طلب العون ، في فعل شيء يشُقّ ويعسُر على المستعِين وحدَه ، وأما الاستعانة بالله : فهي طلب المعونة على ما لا قِبل للبشر بالإعانة عليه ولا قِبل للمستعين بتحصيله بمفرده ، ولذلك فهي مُشعِرة بأنّ المستعين يصرف مقدرته لتحصيل الفعل ، ويطلب من الله العون عليه بتيسير ما لا قِبل لقدرة المستعين على تحصيله بمفرده »[3] .

والاستعانة نوع من الدعاء[4] ، وقد طلبها موسى - عليه السلام - عندما أمره الله أن يذهب إلى فرعون الطاغية ليبلّغه رسالة ربّه في بيان هُدى الله وتخليص بني إسرائيل من جبروته وظلمه ، قال تعالى : << اذهب إلى فرعون إنّه طغى . قال ربِّ اشرح لي صدري . ويسّر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشْدُدْ به أزري . وأشرِكه في أمري >> [طه ٢٤-٣٢] ، وفي موضع أخر ورد قول موسى عليه السلام : << وأخي هارون هو أفصَحُ مني لساناً فأرسِلْه معيَ ردءاً يُصدِّقُني إنّي أخاف أن يُكذِّبون . قال سنشدُّ عضُدَك بأخيك ونجعلُ لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون >> [القصص: ٣٤-٣٥] ، فموسى -عليه السلام - « تلقى الأمر وسأل الله الإعانة عليه ، بما يؤول إلى رباطة جأشه وخلق الأسباب التي تعينه على تبليغه »[5] و الأمور التي سألها موسى - عليه السلام - هي :

أ- انشراح الصدر :

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٥٤٣ .

[2] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤، ص ٣١٧٩ / وانظر : الراغب الأصفهاني : المفردات، ص ٣٥٤ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١، جـ١ ، ص ١٨٤ .

[4] انظر : أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص ١٢٠ .

[5] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢١٠ .

فموسى – عليه السلام – يتوقع الأذي والصد من فرعون الطاغية ، ومن ثم ، فهو في حاجة إلى ما يقوّي تحمّله لمثل هذا الأذي في الدعوة إلى الله ، فطلب انشراح الصدر بمعنى سعته ليقوى في المواجهة [1] .

ب– تيسير الأمر :

قال موسى – عليه السلام – : << ويَسّر لي أمري >> [طه : ٢٦] ، « والأمر هنا : الشأن ، وهو أمر الرسالة ... ويسرّه أي اجعله سهلاً » [2] .

جـ – إحلال عقدة من لسانه – عليه السلام – :

فقال : << واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي >> [طه : ٢٧–٢٨] ، فقد « سأل سلامة آلة التبليغ وهو اللسان ، بأن يرزقه الله فصاحة التعبير والمقدرة على أداء مراده بأوضح عبارة ، فشبّه حُبسة اللسان بالعقدة في الحبل ونحوه لأنها تمنع سرعة استعماله ، وأطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف »[3] .

د – طلب السند بأخيه هارون – عليهما السلام – :

فقال : << واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشْدُدْ به أزري . وأشرِكه في أمري >> [طه ٢٤– ٣٢] ، فقد طلب العون بأخيه ، أي أن يجعله الله معيناً له في أعماله ، مُـحْكِمٌ به قوّته ، ومُشارِكاً في أمرالرسالة [4]، « والوزير : المُعين القائم بوِزر الأمور ، وهو ثقلها » [5] .

---

[1] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ .

[2] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢١١ . (بتصرف)

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢١١ . (بتصرف يسير)

[4] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢١٢– ٢١٣ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٣٦٣ .

[5] ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ ١٠ ، ص ٢٤ .

١٤- الاستغاثــة :

وهي من الغَوْث ، « والغوث يقال في النُّصْرة » (١) ، والاستغاثة : « طلب الغوث ، وهو الإعانة على رفع الشدّة والمشقّة » (٢) ، قال تعالى في غزوة بدر عن المسلمين : << إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين >> [الأنفال : ٩] ، فقد كانوا يومئذ في شدّة ، فدعوا الله بطلب النصر على العدو الذي كان يفوقهم عدّة وعدداً، فكان دعاؤهم استغاثة لأنهم استنصروا الله واستجاروا به ، والمستنصر يطلب الظفر ، والمستجير يطلب الخلاص (٣) ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية رواية ابن عبّاس عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - قال : « حدّثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدرٍ ، نظَــر رســول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المُشركين وهم ألفٌ ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله القِبلة ، ثم مدَّ يديه فجعل يهتِفُ بربِّه : « اللهم أنجِز لي ما وعدتني ، اللهم آتِ ما وعدتني ، اللهم إنّ تهلك هذه العِصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد في الأرض » فما زال يهتف بربّه ، مادّاً يديه ، مُستقبِل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمَه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ، كذاك مُناشدتَك ربَّك ، فإنّه سيُنجِز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل : << إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألف من الملائكة مُردفين >> [الأنفال : ٩] فأمدّه الله بالملائكة »(٤)، والاستغاثة من جنس الدعاء (٥)، فقد دعا بها نوح - عليه السلام - قال تعالى : << فدعا ربّه أنّي مغلوب فانتصِر >> [القمر : ١٠] أي طلب من ربّه سبحانه النصرة عليهم ، والتقدير : فانتصر لي ، أي انصرني ، فإني مغلوب من جهة قومي لتمردهم عن الطاعة

(١) الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٣٦٧ .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ ٩ ، ص ٢٧٤ .

(٣) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ // ابن الجوزي : زاد المسير ، مج ٣ ، ص ٢٢١ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ ٩ ، ص ٢٧٤ .

(٤) مسلم : صحيح مسلم ، جـ٣ ، ص ١٣٨٣- ١٣٨٤ ، كتاب الجهاد والسير (٣٢) ، باب (١٨) ، ح ٥٨ / وانظر : مقبل الوادعي : الصحيح المُسند من أسباب النزول ، ص ١١٢ .

(٥) أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص ١١٩ .

وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة [١] .

١٥- الاستعـاذة :

هي من العَوذ وهو بمعنى : عاذ به ، أي لاذ بــه ولجــأ إليـه واعتصـم [٢] ، « وعَوَّذَهُ إذا وَقاه » [٣] ، و« لفظة عاذ وما تصرّف منها تدل على التحرّز والتحصّن والنجاة ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ... »[٤] .

وقد دعت بذلك امرأة عمران جدّة عيسى – عليه السلام – حين ولدت بمريم أم عيسى فقد عوذتها وذريّتها من الشيطان الرجيم فقالت : << وإنّي أُعِيذها بك وذُرِّيَّتَها من الشيطان الرّجيم >> [آل عمران : ٣٦] ، تعني : « إنّى أجعل مَعاذها ومعاذ ذريّتها من الشيطان الرجيم ، بك ، وأصـل المعـاذ : المَوْئِل والملجأ والمعقل » [٥] ، « فقد عوذتها بالله عز وجل من شرّالشيطان ، وعوّذت ذريتها وهو ولدها عيسى -عليه السلام - ، فاستجاب الله لها ذلك ، كما ورد في قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ما من بني آدم مولودٌ إلاّ يَمَسُّهُ الشّيطان حين يُولَدُ ، فيستهلّ صارخاً من مَسِّ الشّيطان ، غير مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة راوي الحديث : << وإنّي أُعِيذها بك وذُرِّيَّتَها من الشيطان الرّجيم >> [آل عمران : ٣٦] »[٦] »[٧] .

وقد استعاذ نوح – عليه السلام – أن يسأل الله ما ليس له به علم

---

[١] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٥ ، ص ١٢٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٣ ، جـ٢٧ ، ص ١٨٢ .

[٢] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٤ ، ص ٣١٦٢ .

[٣] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ٣٥٢ .

[٤] ابن القيم : بدائع الفوائد ، جـ٢ ، ص ٢٢٠ / وانظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٥ ، جـ٣٠ ، ص ٦٢٦ .

[٥] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٢ ، ص ٢٤٦ .

[٦] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٢٦٥ ، كتاب (٦٤) الأنبياء ، باب (٤٦) ، ح ٣٢٤٨ .

[٧] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣١٠ . (بتصرف يسير) .

قال تعالى : << قال ربِّ إنّ أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ...>> [هود : ٤٧] ، وتعوّذ موسى عليه السلام من الجهل ، قال تعالى : << وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمرُكم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين >> [البقرة : ٦٧] ، والمقصود هنا « التبرؤ والتنزه عن الهزء لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل ؛ إذ الهزؤ فيه مزحٌ مع استخفاف واحتقار للممزوح ، وهذا أمر لا يليق بمقام الرسول ، وبالغ في التنزه بالاستعاذة من ذلك ، والذي لا يصدر إلا من الجهل وهو ضد العلم وضد الحلم »[1] .

١٦- دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلهاوالبيت الحرام :

وبيان هذه الأدعية في التالي :

أ- دعاؤه بالأمن لمكة :

بقوله : << ... ربِّ اجْعَلْ هذا بلداً آمنا ... >> [البقرة : ١٢٦] ، والأمن ضد الخوف ، « وهو عند الإطلاق عدم الخوف من عدو ومن قتال ، وذلك ما ميّز الله به مكة من بين سائر بلاد العرب ... ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوة فإنّ أمن البلاد والسبُل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ، ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها ، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع ... وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما اختاره لذلك البلد من كونه منبع الإسلام »[2] .

ب- دعاؤه بأن يرزقهم الله من الثمرات :

بقوله : <<... وارزقْ أهلَهُ من الثَّمراتِ مَن آمن منهم بالله واليومِ الآخِر...>> [البقرة : ١٢٦] ، « والثّمرات ما تحمل به الشجرة وتنتجه مما

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٥٤٨ (بتصرف)

[2] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٧١٤-٧١٥ / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

فيه غذاء للإنسان أو فاكهة له ... وفي هذا دعاء لهم بالرفاهية وتوفر أسباب الإقامة حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه ؛ لأنه رجا أن يكونوا دعاة لما بنيت الكعبة لأجله من إقامة التوحيد وخصال الحنيفية ، وخص إبراهيم – عليه السلام – المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على شيوع الإيمان لساكنيه » [1] .

جـ- سؤاله أن يجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم :

بقوله : << ... فاجعلْ أفئدةً من النّاس تهوي إليهِم ... >> [إبراهيم : ٣٧] ، والأفئدة جمع فؤاد ، وهو القلب ، فكأنّه أراد أن يكون مسير النّاس إليهم عن شوق ومحبّة ، « والمقصود من هذا الدعاء تأنيس مكانهم بتردّد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم ... ومحبة الناس إياهم يحصل معها محبة البلد وتكرير زيارته ، وذلك سببا لاستئناسهم به ورغبتهم في إقامة شعائره ، فيؤول إلى الدعوة إلى الدين » [2] ، وقيل الأفئدة جمع وفد ، أي واجعل وفوداً من الناس تحنّ إليهم ، وإلى زيارة البيت ، فاستجاب الله دعاءه ، وأنبت لهم بالطائف سائر الأشجار ، وبما يجلب إليهم من الأمصار [3].

د – سأل الله أن يبعثَ فيهم رسولاً :

فقال : << ربّنا وابعثْ فيهِم رسولاً منهم يتْلو عليهِم آياتِكَ ويُعلِّمُهُم الكتابَ والحِكمَةَ ويُزكّيهِم إنّك أنتَ العزيزُ الحَكيم >> [البقرة : ١٢٩] ، وقد استجاب الله عز وجل دعوة إبراهيم – عليه السلام – ، فبعث محمدا – صلى الله عليه وسلم – فهو الرسول الذي من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما ، وقد بيّن مهام الرسول الذي دعا الله بأن يبعثه وهي أنّ : يقرأ كتاب الله الموحى به إليه ، ويعلمهم القرآن ، إذ قد فُسّر الكتاب بالقرآن ، ويعلمهم الحكمة فقيل هي : السنة أو المعرفة بالدّين

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٧١٥ – ٧١٦ (بتصرف يسير) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ١٥٢ – ١٥٤ .

[2] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ ١٣ ، ص ٢٤١– ٢٤٢ .

[3] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ٣٧٣ .

والفقه فيه أو هي « العِلْم بأحكام الله التي لا يُدرَك علمها إلا ببيان الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، والمعرفة بها ، وما دلّ عليه ذلك من نظائرها ... أي يعلّمهم فصل قضائك وأحكامك التي تعلّمه إياها » [1] ، ويزكّيهم أي : ويطهّرهم من النقائص وأعظم النقائص الشرك بالله . [2]

١٧ – الدعاء على القوم :

فقد دعا نوح – عليه السلام –على قومه الذين لم يؤمنوا قال تعالى : << وقال نوحٌ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً .إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً >> [نوح : ٢٤ – ٢٧] وهذا دعاء « عليهم بالإهلاك والاستئصال بأن لا يبقي منهم أحداً » [3] لأنهم إن لم يُهلِكهم الله فسوف يُضلّون عباد الله الذين آمنوا ، فيصدوهم السبيل وهذا نهجهم ونهج من يأتي من ذريتهم [4]، « وقيل إنّ الأنبياء كانوا لا يدعون على قومهم بالهلاك إلاّ بإذن الله عزّ وجل لهم فيه » [5] ، « وذُكِر أنّ دعاء نوح بهذا الدعاء ، كان بعد أن أوحى إليه ربُّه : << ... أنّه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن >> [هود : ٣٦] » [6]، قال تعالى : << وأوحيَ إلى نوحٍ أنّه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلكَ بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مغرقون >> [هود : ٣٦ – ٣٧] ، فدعا ربّه حينئذٍ أن ينتصرله ، قال تعالى : << فدعا ربه أني مغلوب فانتصر >> [القمر:١٠] ، فأجاب الله دعاءه فقال عزوجل : << ففتحنا أبواب السماء بماء منهمرٍ ... > > [الآية ١١ من سورة القمر إلى الآية ١٤] .

---

[1] الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٩٠ – ٣٩١ .(بتصرف يسير)

[2] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٢ ، ص ١٣١ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ١٦٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١، جـ١ ، ٧٢٢–٧٢٣ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٤، جـ٢٩ ، ص ٢١٣ .

[4] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٧ ، ٣٨٢ .

[5] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٧ ، ص ١٣١ .

[6] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٧ ، ٣٨٢ . (بتصرف يسير)

كما ورد في القرآن دعاء موسى – عليه السلام – على فرعـــون وملئـه بقوله :<< ... ربّنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربّنا ليُضلوا عن سبيلك ربّنا اطمس على أموالهم واشدُد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتّبعان سبيل الذين لا يعلمون >> [يونس : ٨٨ – ٨٩] « وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبا لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام على قومه » [(١)] ، فدعا موسى – عليه السلام – ربّه بأن يدمّر ويُهلك هذه الأموال ، ويطبَع على قلوبهم ويقسّيها فلا تنشرح للإيمان ، ولا تؤمن إلا حيث لا ينفعها إيمان يوم أن ترى عذاب الله وهو الغرق ، فقد كانت غضبته – عليه السلام –لله عظيمة وهو يرى طغيان فرعون وملئه وتجبّرهم في إضلال العباد عن الله ، واغترارهم بما عندهم من أموال ، يفتِنون بها النّاس ، غير عابئين بوعيد الله وعقابه ، فدعا عليهم بذلك [(٢)] ، وقد أجاب الله دعاءه فأغرق فرعون وملأه قال تعالى : << فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين >> [الأعراف : ١٣٦] .

١٨ –طلب الاهتداء والثبات على الإسلام :

وذلك بقول إبراهيم– عليه السلام – :<< ربّنا واجعلنا مُسلِمَيْنِ لك ومن ذرّيتِنا أمّةً مسلِمةً لك وأرِنا مناسِكَنا وتُبْ علينا إنّك أنت التّوّابُ الرّحيم >> [البقرة : ١٢٨] ، أي : « واجعلنا مُسْتسلِمَيْن لأمرِك ، خاضعين لطاعتك ، لا نُشرِك معك في الطاعة أحداً سواك ، ولا في العبادة غيرك ، فقد كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات ... والمناسِك جمع مَنْسَك ، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويُتقرّب إليه فيه بما يُرضيه من عمل صالح : إما بذبح ذبيحة له ، وإما بصلاة أو طواف وغيرها والغالب أنها مناسك الحج » [(٣)]، « وتوبة الرب على عبده : عوده

[(١)] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٧٠ .

[(٢)] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٣٧٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٨ ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٣ ، ١٨١٦ .

[(٣)] الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٨٨ (بتصرف يسير) / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١=

عليه بالعفو له عن جرمه ، والصفح له عن عقوبة ذنبه » [1] ، واختُلِف في طلب التوبة في هذا الدعاء ، والأنبياء معصومون ، فقيل : إما أنه طلب التثبيت والدوام على الإسلام ، أو أنهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت أرادا أن يبينا للناس ويعرّفاهم أن ذلك الموقف وتلك المواضع مكان للتنصل من الذنوب وطلب التوبة ، أو قيل المعنى : وتب على الظلمة من ذريّتنا [2].

١٩- سؤال الحسنة في الدنيا والآخرة :

دعا بذلك موسى عليه السلام بقوله : << واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ... >> [الأعراف : ١٥٦] ، لفظة (اكتب) « مستعار لمعنى العطاء المحقق حصوله »[3]، والحسنة تشمل : التوفيق للأعمال الصالحة أو إفاضة النعم من عافية ورزق وعلم في الدنيا ، وأما في الآخرة فهي بمعنى الجنّة أو بمعنى مغفرة الذنوب . [4]

٢٠ - طلب قبول العمل :

قال تعالى : << وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيل ربَّنا تقبَّل منّا إنّك أنت السَّميعُ العليم >> [البقرة : ١٢٧] ، أي « ربّنا تقبّل منّا عملنا ، وطاعتنا إيّاك ، وعبادتنا لك ، في انتهائنا إلى أمرك الذي أمرتنا به ، في بناء بيتك الذي أمرتنا ببنائه ، إنك أنت السميع العليم » [5] .

= ص ١٦١ / وانظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٢ ، ص ١٢٦-١٢٨ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١، جـ١ ، ص ٧٢٠ - ٧٢٢ .

[1] الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٨٩ .

[2] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٢ ، ص ١٣٠ / الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٨٩ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ١٢٨ .

[4] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٥٥٣ ، جـ٣ ، ص ٥٠٧ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ١٢٨ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢١٧ .

[5] الطبري : تفسير الطبري ، جـ١ ، ص ٣٨٦ .

النـــوع الثالـــث

تـوحيـد الأسماء والصفات

أولاً : المقصود به : « إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل »[1] .

---

[1] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ١٢١ / وانظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٣ ، ص٣-٧ .

بيان معاني ألفاظ التعريف ومتعلقاتها :

- **الفرق بين الاسم والصفة :** « أنّ الاسم : ما سمى الله به ، والصفة : ما وصف الله به ، وبينهما فرق ظاهر .. فالاسم يعتبر علما على الله – عز وجل – متضمناً للصفة . ويلزم من إثبات الاسم إثبات الصفة مثاله << إنّ الله غفور رحيم >> (غفور) اسم يلزم منه المغفرة ، و (رحيم) يلزم منه إثبات الرحمة . ولا يلزم من إثبات الصفة إثبات الاسم ، مثل الكلام لا يلزم أن نثبت لله اسم المتكلم ، بناء على ذلك تكون الصفات أوسع ، لأن كل اسم متضمن لصفة وليس كل صفة متضمنة لاسم » . (ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ ١ ، ص ١٢٢)

- **بيان معنى :**

التحريف : «تحريف الكلام إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلاّ باحتمال مرجوح ، فلا بد فيه من قرينة تبيّن أنه المراد أو هو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها » . (محمد خليل هرّاس : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص ٢١)

التعطيل : « نفي الصفات الإلهية ، وإنكار قيامها بذاتها أو هو نفي للمعنى الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسنة » . (محمد خليل هرّاس : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص ٢١)

التكييف : « وهو تعيين كيفية الصفات ، وإثبات كُنهها » (محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ٣٣)

التمثيل : « اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين » . (محمد خليل هرّاس : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص ٢٢)

- **فروق بين الألفاظ المستخدمة في الاصطلاح استلزم المقام التنبيه لها :**

الفرق بين التشبيه والتمثيل والفرق بين التأويل والتحريف في الأسماء والصفات :

« ينبغي أن نقول : (من غير تحريف ، ولا تمثيل) بدل قول (من غير تأويل ، ولا تشبيه) فالتعبير بالتمثيل أولى لأمور :

١- أنه الموافق للفظ القرآن في قوله تعالى : << ليس كمثله شيء >> [الشورى : ١١] ، << فلا تضربوا لله الأمثال >> [النحل : ٧٤] ولم يقل ليس كشبهه شيء ، ولا قال فلا تضربوا لله الأشباه .

٢- و لأن التشبيه صار وصفا يختلف الناس في فهمه فعند بعض الناس إثبات الصفات يسمى تشبيهاً ...

٣- أنّ نفي التشبيه على الإطلاق بين صفات الخالق وصفات المخلوق لا يصح ؛ لأنّه ما من صفتين ثابتتين إلا وبينهما اشتراك في أصل المعنى وهذا الاشتراك نوع من المشابهة : فالعلم مثلاً ، للإنسان علم ، وللربّ سبحانه علم ، فاشتركا في أصل المعنى ، لكن لا يستويان ، أما التمثيل فيصح أن تنفي نفياً مطلقاً . وأيضا فلا يقال من غير تأويل بل من غير تحريف ؛ لأن التأويل في أسماء=

ثانياً :القواعد العامة التي أسس عليها توحيد الأسماء والصفات :

١-القاعدة الأولى : أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ؛ إذ لا نثبتُ لله من الأسماء والصفات إلا ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ، ولا ننفي عنه تعالى من الأسماء والصفات إلا ما نفاه تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله [١]، أما « ما لم يصرّح الشرع لا بنفيه ولا بإثباته ، فيجب استفسار قائله ، فإن أراد به معنى صحيحاً موافقاً لما أورده الشرع قُبِل وإلاّ وجب ردّه » [٢].

٢-القاعدة الثانية : « أنّ معاني أسماء وصفات الله تعالى معلومة يجب اعتقادها على ظاهرها ، وأما كيفيتها فهي مجهولة لنا لا يعلمها إلاّ الله تعالى »[٣].

٣-القاعدة الثالثة :« تنزيه الله عز وجل عن النقائص والعيوب تنزيها لا يفضي إلى التعطيل أو التحريف ، إذ ينبغي تجنب التعطيل في مقام التنزيه ، وتجنب التمثيل في مقام الإثبات » [٤] .

٤-القاعدة الرابعة : « أنه سبحانه موصوف بصفات الكمال التي لا غاية فوقها ، بريء عن سمات النقص والاحتياج » [٥] .

= الله وصفاته ليس منفيا على كل حال ، بل ما دل عليه الدليل فهو تأويل ثابت وهو بمعنى التفسير ، وإنما المنفي هو التحريف وهو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل ... (ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ١٨٠-١٨١ (بتصرف يسير))

[١] انظر : محمد خليل هرّاس : ابن تيمية السلفي ، ص ١٠٩ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٢٦ .

[٢] محمد خليل هرّاس : ابن تيمية السلفي ، ص ١٠٩ (بتصرف يسير) .

[٣] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٢٧(بتصرف يسير).

[٤] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٢٩ (بتصرف يسير) .

[٥] محمد خليل هرّاس : ابن تيمية السلفي ، ص ١١٣/ وانظر : التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية : مروان القيسي،٤٢-٤٣ .

٥-القاعدة الخامسة : « الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات ، كما في قوله تعالى : << ليس كمثله شيء وهو السميع البصير >> [الشورى : ١١] فأجمل في النفي وهو قوله : << ليس كمثله شيء >> وفصل في الإثبات وهو قوله : << وهو السميع البصير >> » [1].

ثالثاً : أقسام الصفات [2] :

تنقسم صفات الله – تعالى – باعتبار لزومها لذاته المقدّسة وعدم لزومها ، إلى ثلاثة أقسام :

١- صفات ذاتية : ويراد بها الصفات اللازمة لذاته – تعالي –، وهي تنقسم إلى قسمين :

أ- صفات ذات معنوية : وسميّت بالمعنوية لأنّ من وسائل الاهتداء إليها بالإضافة للكتاب والسنّة ،العقل ، مثل: الحياة ، والعلم ، والقدرة ،والحكمةونحوها .

ب- صفات ذات خبرية : وسميّت خبرية لأنه لا وسيلة للاهتداء إليها سوى الكتاب والسنّة أي الخبر الصحيح فقط ، مثل : اليدين ، والعينين ونحوها .

٢- صفات فعلية : وهي التي تتعلّق بمشيئته – تعالى – وليست لازمة لذاته ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، مثل :الرضى والغضب ونحوها ، وهي تنقسم إلى قسمين :

---

[1] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٢٩ .

[2] انظر ما ورد في هذه الأقسام : ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، مج ١ ، ص ١٢٤-١٢٥ (بتصرف) / مروان القيسي : معالم التوحيد ، ص ١٣٣- ١٣٤ / عمر سليمان الأشقر : أسماء الله وصفاته ، ص ٨٠ – ٨١ .

أ- صفات فعل معنوية : كالخلق ، والإحياء والإماتة والرزق .

ب- صفات فعل خبرية : كالاستواء والنزول والمجيء والفرح .

٣- صفات ذاتية فعلية :وهي التي إذا نظرت إلى نوعها وجدت أنّ الله - تعالى - لم يزل ولا يزال متصفاً بها ، فهي لازمة لذاته ، وإذا نظرت إلى آحادها وجدت أنها تتعلّق بمشيئته وليست لازمة لذاته ، ومثل ذلك كلام الله عزّ وجل ، فإنه باعتبار نوعه من الصفات الذاتية ، لأنّ الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام أي الكلام المعيّن الذي يتكلم به سبحانه متى شاء ، من الصفات الفعلية لأنه كان بمشيئته سبحانه وتعالى .

رابعاً : من الأمثلة الواردة في أسماء الله وصفاته في قصص أولي العزم من الرسل :

أ- أمثلة عامة :

إنّ آيات القرآن الواردة في القصص القرآني مثلها مثل باقي الآيات ، مليئة بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله كالعزيز والحكيم والخالق والغني والعليم ، فمن ذلك قول الله عز وجل لموسى -عليه السلام - في مشهد النداء للاصطفاء في الوادي المقدّس [1] : << يا موسى إنّه أنا الله العزيز الحكيم >> [النمل : ٩] ، وبيان إبراهيم - عليه السلام - صفة الخلق لله عز وجل بقوله : << الذي خلَقَني فهو يهدين >> [الشعراء : ٧٨] ، وقول موسى - عليه السلام - لبني إسرائيل : << وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌّ حميد >> [إبراهيم : ٨] ، وقول عيسى - عليه السلام - : << ربّنا إنّك تعلَمُ ما نُخْفي وما نُعلِن وما يخفى

---

[1] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٦٢٩ .

على الله من شيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماء » [إبراهيم : ٣٨] .

ب- أمثلة خاصة :

١- إثبات العينين لله عزّ وجل :

قال تعالى في قصة نوح - عليه السلام - : « وحملناه على ذات ألواح ودُسر . تجري بأعيننا جزاء لمن كان كُفِر » [القمر : ١٣-١٤] ، وفي قصة موسى - عليه السلام - : « ولتصنع على عيني » [طه : ٣٩] ، « فمذهب أهل السنّة والجماعة أن لله - تعالى - عينين تليقان بجلاله وعظمته لا تكيّفان ، ولا تشبهان أعين المخلوقين ، لقوله تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » [الشورى : ١١] ، وهما من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة بالكتاب والسنة » [1] .

٢- إثبات رؤية الله عزّ وجل :

قال تعالى : « ولمّا جاء موسى لميقاتِنا وكلّمَه ربه قال ربِّ أرِني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » [الأعراف : ١٤٣] ، إذ إنّه لما سمع موسى - عليه السلام - كلام الله ، طمع في حصول الرؤية ، « ولا نشك في أنّه سأل رؤية تليق بذات الله تعالى وهي مثل الرؤية الموعود بها في الآخرة ، فكان موسى يحسب أنّ مثلها ممكن في الدنيا حتى أعلمه الله بأن ذلك غير واقع في الدنيا ، ولا يمتنع على نبي عدم العلم بتفاصيل

---

[1] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩ ، مج ٤ ، ص ٥٨ / وانظر : ابن خزيمة : كتاب التوحيد ، جـ ١ ، ص ٩٦ - ١٠٥ .

الشؤون الإلهية قبل أن يعلمها الله إياه » [1] ، فمذهب السلف في رؤية الله – عز وجل – في الآخرة « أنّ الله سبحانه وتعالى – يرى بالعين رؤية حقيقية ، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية ؛ لأنه عز وجل – أعظم من أن يحاط به ، يقول الله عز وجل في القرآن الكريم حين ذكر القيامة : << وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة >> [القيامة : ٢٢-٢٣] ، فأضاف النظر إلى الوجوه والذي يمكن به النظر في الوجوه العين ، ففي الآية دليل على أنّ الله – سبحانه وتعالى – يُرى بالعين ، ولكن رؤيتنا لله – عز وجل – لا تقتضي الإحاطة به لأن الله – تعالى – يقول : << ولا يحيطون به علما >> [طه : ١١٠] ، فإذا كنا لا يمكن أن نحيط به علما – والإحاطة العلمية أوسع وأشمل من الإحاطة البصرية – دل ذلك على أنه لا يمكن أن نحيط به إحاطة بصرية ، ويدل على ذلك قوله تعالى : << لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار >> [الأنعام : ١٠٣] ، فالأبصار وإن رأته لا يمكن أن تدركه ، فالله عز وجل – يرى بالعين رؤية حقيقية ، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية ؛ لأنه عز وجل – أعظم من أن يحاط به ، وهذا هو الذي ذهب إليه السلف » [2] .

٣- إثبات صفة المكر :

ورد قوله تعالى في قصة – عيسى عليه السلام – : << ومكروا ومكرَ اللهُ واللهُ خيرُ الماكِرِين >> [آل عمران : ٥٤] ، « والمكر فعلٌ يُقصد به ضُرُّ أحَد في هيئة تخفى عليه ، أو تلبيس فعل الإضرار بصورة النفع ، والمراد هنا تدبير اليهود لأخذ المسيح ، وسعيهم لدى ولاة الأمور ليمكّنوهم من قتله ، ومكر الله بهم هو تمثيل لإخفاق الله تعالى مساعيهم في حال ظنهم أن قد نجحت مساعيهم » [3] ؛ فقد ألقى

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ٩١ .

[2] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ٢٢٣ (بتصرف يسير) / ولمزيد تفصيل انظر : ما بعدها إلى ص ٢٢٦ / ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٨٨- ٢٠٣ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٣ ، ص ٢٥٦ .

الله – عز وجل – شبه عيسى – عليه السلام – على غيره ، ورفع عيسى إليه ، فظنوا أنهم قتلوا وصلبوا عيسى . [1] .

ومذهب أهل السنّة والجماعة في إثبات صفة المكر لله أنه « لا يوصف الله – تعالى – بالمكر إلا مقيدا فلا يوصف الله تعالى – به وصفا مطلقاً ، فالمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر .فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أنّ ظاهره مذموم ؟ قيل : إنّ المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر ، وأنه غالب على خصمه ، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق ، فلا يجوز أن تقول : إنّ الله ماكر ، وإنما تذكر هذه الصفة في مقام يكون مدحاً مثل قوله تعالى : << ويمكرون ويمكر الله >> [الأنفال : ٣٠] ، وقوله : << ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون >> [النمل : ٥٠] ، ومثل قوله تعالى : << أفأمنوا مكر الله >> [الأعراف : ٩٩] ، ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق ، بل إنها في المقام التي تكون مدحا يوصف بها ، وفي المقام التي لا تكون مدحاً لا يوصف بها ، وكذلك لا يسمى الله به ، فلا يقال إنّ من أسماء الله الماكر ، والمكر من الصفات الفعلية لأنها تتعلّق بمشيئة الله سبحانه »[2] .

٤– إثبات الإرادة والمشيئة :

أقسام الإرادة [3] : الإرادة في كتاب الله نوعان :

---

[1] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ١ ، ص ٣٤٤ .

[2] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ١٧٠ .

[3] انظر أقسام هذه الإرادة : إبن أبي العزّ الحنفي : : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١١٤ (بتصرف) /ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١ ، ص ١٥٦ / أبوبكر الجزائري : عقيدة المؤمن ، ص ٤٦٤ – ٤٦٥ / مروان القيسي : معالم التوحيد ، ص ٣٩ – ٤٠ .

١- إرادة قدرية كونية خلْقية :

وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ، كقوله تعالى: << ولكن الله يفعل ما يريد >> [البقرة : ٢٥٣] ، .وتتعلق هذه الإرادة بما ليس للإنسان فيه اختيار كخلق السموات والأرض والموت والحياة ونحوها، وهي التي لا يناط بها تكليف الإنسان ، ولا إثابته ولا معاقبته ، وهي الإرادة التي كان بها القدر ونظامه ، و هي المذكورة في قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

٢- وإرادة دينية أمرية شرعية :

وهي تشمل مطالب الله تعالى من العباد في أوامره ونواهيه ، و هي المتضمنة للمحبة والرضى ، كقوله تعالى : << يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر >> [البقرة : ١٨٥] ، وتتضمن الأمور التي منح الله فيها الإنسان حرية الاختيار ، فهي متعلقة بأوامر الله ونواهيه التي جاءت بها الكتب السماوية ، فالله أراد من الإنسان الطاعة ، ولم يرد منه المعصية شرعاً ، لذا فقد أناط الله بهذه الإرادة تكليف الإنسان ، وثوابه أو عقابه ، هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح : هذا يفعل ما لا يريده الله أي : لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به .

ومما ورد في القصص حول إرادة الله ومشيئته ، قوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام – في ميلاد عيسى دون أب : << كذلكِ الله يخلُقُ ما يشاءُ إذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كن فيكون >> [آل عمران : ٤٧] ، و قوله – سبحانه – فيمن ادعى ألوهية عيسى – عليه السلام – : << لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيحُ ابنُ مريم قل فمن يملكُ من الله شيئاً إن أراد أن يُهلِك المسيحَ ابنَ مريم وأمّه ومن في الأرضِ جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلُق ما يشاء والله على كلِّ شيء قدير >> [المائدة : ١٧] .

القِســــم الثاني : بقية أركان الإيمـــان :

أولاً : الإيمان بالملائكـــــة :

أ- تعريفه :

هو « الاعتقاد الجازم بأنّ لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها ، والتصديق بأصنافهم وأوصافهم وأعمالهم التي يقومون بها حسبما ورد في الكتاب والسنة ، وبفضلهم ومكانتهم عند الله عز وجل »[1] .

ب - أبرز ما ورد فيه في قصص أولي العزم من الرسل :

لقد أعطى الله الملائكة قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، فقد جاءوا إلى إبراهيم - عليه السلام - بصورة أضياف ، يبشرونه بالولد ، قال تعالى : << هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيم المُكْرَمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ مُنْكَرون . فراغَ إلى أهلهِ فجاءَ بعجلٍ سمين . فقرَّبَهُ إليهم قال ألا تأكُلون . فأوجَسَ منهم خيفةً قالوا لا تخَفْ وبشَّروهُ بغُلامٍ عليم >> [الذاريات : ٢٤-٢٨] ، وجاء جبريل - عليه السلام - إلى مريم في صورة بشرية ليبشرها بعيسى عليه السلام ، قال تعالى : << واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً . قالت إنّي

---

[1] محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ٤٧ / وانظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٤٥ .

أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسولُ ربّك لأهب لك غلاماً زكياً . >> [مريم : ١٦- ١٩] ، و<< إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين >> [آل عمران : ٤٥] . (١)

وقد ذكر القرآن الكريم معاونة الملائكة المسلمينَ في غزوة بدر قال تعالى : << إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي معدكم بألف من الملائكة مُردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئنّ به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إنّ الله عزيز حكيم >> [الأنفال : ٩ - ١٠] ، << ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتقوا الله لعلّكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزّلين .بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم >> [آل عمران : ١٢٣-١٢٦] ، « وقد ثبت أنّ الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين ، وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم ، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالا من المشركين » (٢) ، فكانت مهمتهم المعاونة في النصر والتثبيت والتطمين للمسلمين ، وقد أورد البخاري باباً أسماه : (باب شهود الملائكة بدراً) (٣) . (٤)

---

(١) انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٤٨ / محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ٥٠ / الفاعوري : العقيدة الإسلامية ، ص ١١٤ / الميداني : العقيدة الإسلامية ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٢) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ ٤ ، ص ٧٣ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص ١٤٦٧، كتاب (٦٧) المغازي ، باب (٩) / ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ٧ ، ص ٣١١ - ٣١٣ .

(٤) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٤ ، ص ٧٢ - ٧٩ ، مج ٥ ، جـ٩ ، ص ٢٧٥-٢٧٧ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٤٧٠- ٤٧١ ، جـ٣ ، ص ١٤٨٣ - ١٤٨٥ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٨٣ ، ٢٢٨ / الفاعوري : العقيدة الإسلامية ، ص ١١٥ / مصطفى عبدالواحد : الإيمان في القرآن ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

ثانـياً : الإيمان بالكتب :

أ- تعريفه : « هو التصديق الجازم بأنها حق وصدق ، وأنها كـلام اللـه عز وجل ، فـيها الهدى والنور والكفايـــة لمـــن أنزلت عليهـم ، نؤمـــن بما سمّـي منها ... وما لم يسمّ منها »[1] .

ب- الكتب الوارد ذكرها في قصص أولي العزم من الرسل :

١- صحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام - :

وقد أشار القرآن إلى هذه الصحف وما تضمنته ؛ لذلك نحن نؤمن إيمانا جازماً بأنها منزّلة من عند الله ، وأنّ القرآن قد ذكر حقائق دينية جاءت فيها ، كما في قوله تعالى : « أم لم يُنَبـَّأ بما في صُحُفِ موسى . وإبراهيم الذي وفّـى . ألاّ تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى . وأنْ ليس للإنسان إلاّ ما سعى . وأنّ سعيَه سوف يُرى . ثم يُجْزاهُ الجـزاءَ الأوْفى . وأنّ إلى ربِّك المُنتـهى . وأنّه هو أضـحكَ وأبكى . وأنّـه هو أمات وأحيا . وأنّـه خلق الزوجين الذكرَ والأنثى . من نُطفـةٍ إذا تُمنى . وأنّ عليهِ النّشـأةَ الأخرى . وأنّـه هو أغنى وأقنى . وأنّه هو ربُّ الشِعْرى . وأنّـه أهلك عاداً الأولى . وثمـودَ فمـا أبقى . وقـومَ نوحٍ من قـبلُ إنّهم كـانوا هم أظلم وأطغى .

[1] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٤٩ .

والمؤتَفِكَةَ أهوى . فغشّاها ما غشّى >> [النجم: ٣٦ - ٥٤] ، وقال تعالى : << قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . إنّ هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى >> [الأعلى: ١٤-١٩] .

٢- التـــــوراة :

أشار ابن كثير إلى أن التوراة أنزلت على موسى بن عمران -عليه السلام - (١) ، كما أشار إلى مثل ذلك القرطبي (٢) في تفسيره (٣).

وورد في تعريف التوراة : أنها الكتاب الرباني الذي أنزله الله على سيدنا موسى -عليه السلام- ، ويتضمن على الأرجح الصحف التي أنزلت عليه ، والألواح التي جاء بها بعد مناجاته لربه في جانب الطور، ولفظ التوراة لفظ عبـــراني معناه : التعليم أو الشريعة . (٤)

٣- الإنجيل :

وهو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على عيسى - عليه السلام - ، متضمنا الهدى والنور الذي كان في الكتب السماوية السابقة له ، قال تعالى : << وقَفَّيْنا

(١) تفسير ابن كثير : جـ١ ، ٢٩٧ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، (ت ٦٧١ هـ) ، مفسّر ، صالح متعبد / الزركلي : الأعلام ، جـ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٣) تفسير القرطبي : جـ١ ، ص ٢٨١ .

(٤) عبد الرحمن الميداني : العقيدة الإسلامية ، ص ٥٤٦ .

على آثارِهِم بعيسى ابنِ مريم مصدِّقاً لما بين يديه من التوراةِ وآتيناهُ الإنجيلَ فيه هدىً ونورٌ ومصدِّقاً لما بين يديه من التوراةِ وهدىً وموعِظةً للمُتَّقين >> [المائدة : ٤٦] ولفظ الإنجيل لفظ يوناني معناه البُشرى ، والإنجيل الذي صدّق به القرآن وذكر بعض متضمناته في مواضع مختلفة من القرآن [١]، هو ذو الأصول الصحيحة الأولى ، أما الأناجيل الحالية فلا سند متصل لها إلى عيسى – عليه السلام –، بالإضافة إلى ما فيها من تحريف وتبديل . [٢]

٤- القرآن الكريم :

وهو آخر الكتب السماوية وخاتمها ، والذي أنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمد – صلى الله عليه وسلم – ، مصدقا لما سبقه من الكتب ومهيمناً عليها ، قال تعالى : << وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ... >> [المائدة : ٤٨] ، << ...وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد >> [فصلت : ٤١-٤٢] ، وقد تكفّل الله بحفظه قال تعالى : << إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون >> [الحجر : ٩] ، ونحن نؤمن بالقرآن كله إجمالاً وتفصيلاً . [٣]

---

[١] انظر: سورة المائدة : الآيات ٤٦–٤٧ ، ٥٠ –٥١ ، ١٥٧ / سورة الفتح : ٢٩ / سورة التوبة : ١١١ .

[٢] انظر : الفاعوري : العقيدة الإسلامية ، ص ١٣٢ / عبد الرحمن الميداني : العقيدة الإسلامية ، ص ٥٥٢ .

[٣] انظر : عبد الرحمن الميداني : العقيدة الإسلامية ، ص ٥٤١ – ٥٤٣ / الفاعوري : العقيدة الإسلامية ، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

ثالثاً : الإيمــان بالرســـل :

أ- المقصود به : « التصديق برسالتهم ، والإقرار بنبوّتهم ، وأنهم صادقــون فيما أخبروا به عن الله ، وقد بَلَّغُوا الرسالات وبيّنوا للنـاس ما لا يسع أحداً بجهله » [1] .

ب- تفاضل الرسل :

الرسل يتفاضلون فيما بينهم ، قال تعالى : << تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض >> [البقرة : ٢٥٣] ، وأفضل الرسل أولو العــزم ، الــوارد ذكرهــم فــي قوله تعالــى : << ولقد أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً >> [الأحزاب : ٧] ، فهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – ، وأفضل أولي العزم الخليلان : إبراهيم ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – ، وأفضل الخليلين محمد – صلى الله عليه وسلم – ، والنبوّة تفضّل واختيار من اللـه تعالى كما قال عز وجل : << إنّ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس >> [الحج : ٧٥] . [2]

---

[1] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٥٣ .

[2] انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٥٤ .

جـ - عقيدة المسلمين في عيسى -عليه السلام - [1] :

- عقيدة المسلمين في عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - ، أنه أحد الرسل الكرام ، بل أحد الخمسة الذين هم أولو العزم من الرسل .

- وأنّ عيسى - عليه الصلاة والسلام ، بَشَر من بني آدم مخلوق من أم بلا أب ، وأنه عبد الله ورسوله فهو عبد لا يُعبد ، ورسول لا يكذب ، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء بل هو كما قال تعالى : << إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل >> [الزخرف : ٥٩] ، وأنه عليه السلام خلق بكلمة الله - عز وجل - كما قال تعالى : << إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون >> [آل عمران : ٥٩] .

- وأنه - عليه الصلاة والسلام - لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وإنما قال لهم ما أمره الله به << أن اعبدو ا الله ربي وربكم >> [المائدة : ١١٧] .

- وأنه ليس بينه وبين محمد -صلى الله عليه وسلم - رسول كما قال تعالى : << وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إنّي رسولُ الله إليكم مصدّقاً لما بين يديَ من التوراة ومُبَشِّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُهُ أحمد فلمّا جاءَهم بالبيّنات قالوا هذا سحرٌ مبين >> [الصف : ٦] .

---

[1] انظر ما ورد تحت هذا العنوان :محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل مج ١، ص ٣١٦ - ٣١٨ (بتصرف) / ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ٤ ، ص ٣٢٢ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣١٥ ، ٤٩٥-٤٩٦ ، جـ٤ ، ص ٣١٥ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٤ ، ص ١١٠، جـ٦ ، ص ٣٧٧ . ملاحظة : لمزيد تفصيلات في دحض شبه اليهود والنصارى الباطلة حول عيسى - عليه السلام - ننصح بالرجوع إلى : الأعمال الكاملة لـ : أحمد ديدات ، (تقع في خمس مجلدآت طبع ونشر المختار الإسلامي) .

- ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عبدالله ورسوله ، وأنه مبرّأ ومنزه عما وصفه به اليهود .

- أما فيما يتعلق بقتله وصلبه : فالله سبحانه وتعالى - قد نفى أن يكون قد قتل أو صلب نفيا صريحاً قاطعاً فقال عز وجل : << وقولِهِم إنّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريم رسولَ الله وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّهَ لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ما لهم به من عِلْمٍ إلاّ اتّباع الظنّ وما قتلُوه يقيناً . بل رفعه الله إليهِ وكان اللهُ عزيزاً حكيماً . وإن من أهلِ الكتاب إلاّ لَيُؤمِنَنّ به قبل موتِهِ ويوم القيامة يكونُ عليهم شهيداً >> [النساء: ١٥٧-١٥٩] ... فاليهود باءوا بإثم القتل والصلب بإقرارهم على أنفسهم ، والمسيح عيسى ابن مريم برأه الله من ذلك وحفظه ورفعه عنده إلى السماء وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض ويدفن فيها ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقول الله تعالى :<< منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى >> [طه : ٥٥] .

رابعاً : الإيمان باليوم الآخر :

أ- المقصود به : التصديق بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك ، والحشر ، والحساب ، والميزان ، والثواب والعقاب ، والجنّة والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة . (١)

وسمّي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا ، وله أسماء كثيرة في القرآن منها : يوم البعث ، يوم القيامة ، يوم الدين ، يوم الحساب ، الدار الآخرة . (٢)

ب – أبرز ما ورد فيه في قصص أولي العزم من الرسل :

١- توجيه أقوامهم للإيمان بالبعث :

جميع الأنبياء أنذروا أقوامهم من اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب ، ومن ذلك قوله تعالى : << لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم >> [الأعراف : ٥٩] ، ويخبِر الله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – كيف أرشدَ قومه إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه ، بقوله حكاية عن إبراهيم : << أولم يروا كيف

---

(١) انظر:صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٣١-٢٣٢ / محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ١١١ .

(٢) انظر: صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٣٢ /الميداني : العقيدة الإسلامية ، ص ٦٢٨ – ٦٢٩ .

يُبْدِيءُ اللهُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُه إنّ ذلك على الله يسير . قل سيروا في الأرضِ فانظروا كيف بدأ الخلْقَ ثمَّ اللهُ يُنْشيءُ النَّشْأةَ الآخِرَةَ إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير . يُعذِّبُ من يشاء ويرحَمُ من يشاء وإليه تُقْلَبون . وما أنتُم بِمُعجِزين في الأرضِ ولا في السماء وما لكم من دون اللهِ من وليٍّ ولا نصير . والذين كفروا بآياتِ اللهِ ولِقائه أولئكَ يَئِسُوا من رحمتي وأولئِك لهم عذابٌ أليم » [العنكبوت : ١٩ – ٢٣] ، وذلك بأن وجههم إلى النظر في أنفسهم وكيفية نشأتهم وخلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكورا ، فالقادر على الإبداء والإيجاد قادر على الإعادة والبعث ، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله ، وبيّن لهم أنّ مآلهم إلى الله ، يرجعون إليه في يوم القيامة ، ويلقى كلٌّ جزاءه ، وأنّ مصير من يكفر بالله العذاب الأليم .[1]

٢ – عذاب القبر ونعيمه :

« لقد تظاهرت الدلائل من الكتاب والسنة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، وأجمع عليه أهل السنة »[2] ، واتفقوا على أن وقوع العذاب والنعيم يكون على الجسد والروح ، فإما يقع ذلك للروح فقط منفردة عن الجسد ، أو للروح والجسد معاً ، أما الجسد منفرداً ففيه أقوال هذا ليس مقام بحثها .[3]

ومما ورد في قصص أولي العزم من الرسل مما فيه دلالة على هذا الأمر قوله تعالى : « وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النّار يُعرضونَ عليها غدواً وعشياً

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٣٥٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣ ، ص ٣٣٦-٣٣٨.

[2] حسين بني خالد : الحياة البرزخية في الإسلام ، ص ١٤ .

[3] انظر : صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٥٠ / حسين بني خالد : الحياة البرزخية في الإسلام ، ص ١٤ – ٦١ ، ص ٨٥ / محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ١٣٠- ١٣٤ .

ويوم تقوم الساعة ادخِلوا آل فرعون أشدَّ العذاب >> [غافر : ٤٥-٤٦] ، أي أنَّ هذا العرض على النار في الفترة من بعد الموت إلى قيام الساعة ، وهي ما تُعرف بالحياة البرزخية ؛ إذ يقول بعده << ... ويوم تقوم الساعة ادخِلوا آل فرعون أشدَّ العذاب >> ، قال ابن كثير : « هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور »[1] .

٣- نزول عيسى - عليه السلام - من أشراط الساعة الكبرى :

لقد بيّن القرآن بعض أشراط وعلامات الساعة التي تسبق قيامها ، وقد فصّل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك في أحاديثه ، وكما هو معلوم أنّ هذه الأشراط تنقسم إلى قسمين [2]:

١- أشراط صغرى : وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وتكون من نوع المعتاد ، كقبض العلم ، وظهور الجهل ، والتطاول في البنيان ونحوها ، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى ، أو بعدها .

٢- أشراط كبرى : وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع ، كظهور الدجال ، ونزول عيسى - عليه السلام - ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

فإذن نزول عيسى - عليه السلام - داخل ضمن علامات الساعة الكبرى ، وقد استدل العلماء بقوله تعالى :<< وإنّه لَعِلْمٌ للساعة فلا تَمْتَرُنَّ بها واتَّبِعون هذا

---

[1] تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٧٣ / وانظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، ص ٣١٨ .

[2] انظر هذا التقسيم : يوسف الوابل : أشراط الساعة ، ص ٧٧ / وانظر : ابن حجر العسقلاني ، جـ١٣ ، ص ٨٥ .

صراطٌ مستقيم >> [الزخرف : ٦١] أي أنّ نزول عيسى – عليه السلام – قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ، وما يسند هذا التفسير القراءة الأخرى للفظة (علم) وهي (وإنّه لَعَلَمٌ للساعة) ، بفتح العين واللام ، أي أمارة وعلامة على قيام الساعة وهذه القراءة مروية عن ابن عباس وقتادة وغيرهما من أئمة التفسير [1] ، وورد قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : « والذي نفسي بيده ، لَيُوشِكَنّ أنْ ينزِل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عَدْلاً ، فيكسِرَ الصليب ، ويقتلَ الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المالُ حتى لا يقبَلَهُ أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة راوي الحديث : واقرءوا إن شئتم : << وإنْ من أهلِ الكتاب إلاّ ليُؤمِنَنَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً >> [النساء : ١٥٩] »[2] ، « فقد دلّت السنّة وأجمعت الأمة ، على أنّ عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ، قرب الساعة ، أثناء وجود الدجال ، فيقتله ، ويحكم بشريعة الإسلام ، ويحيي من شأنها ما تركه الناس ، ثم يمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت ، ويصلي عليه المسلمون ويُدفن ، فيجب على كل مسلم أن يصدّق به ، وأن يعتقد بما أخبر به كتاب ربّنا من أنّ عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود وإنما رفعه الله إليه ، وأنه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة » [3] . [4]

---

[1] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٦ ، ص ١٠٥ (بتصرف) / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤، ص ١١٨ .

[2] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣، ص ١٢٧٢ ، كتاب (٦٤) الأنبياء ، باب (٥٠) نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ح ٣٢٦٤ / وانظر : النووي : شرح صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص ١٨٩ – ١٩١ .

[3] محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ١٤٥ .

[4] انظر لمزيد تفصيل في ذكر الأدلة على نزول عيسى عليه السلام وأنها من علامات الساعة : يوسف الوابل : أشراط الساعة ، ص ٣٤٠ – ٣٥٥ / محمد نعيم ياسين : الإيمان ، ص ١٤٥– ١٤٧ .

خامساً : الإيمان بالقدر خيره وشرّه :

أ - المقصود بالقدر : هو « تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه ، واقتضته حكمته » [1] ، أو هو « تعلّق علم الله بالكائنات وإرادته لها أزلاً قبل وجودها ، فلا يحدث شيء إلاّ وقد علمه الله وقدّره وأراده »[2] .

ب - مراتب القدر [3] :

القدر يتضمن أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي :

١- **العلم** : وهي الإيمان بأنّ الله تعالى بكل شيء عليم ، علم ما كان ، وما يكون ، وكيف يكون ، بعلمه الأزلي الأبدي ، فلا يتجدد له علم بعد جهل ، ولا يلحقه نسيان بعد علم .

٢- **الكتابة** : الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ، ما هو كائن إلى يوم القيامة .

٣- **المشيئة** : الإيمان بمشيئة الله الشاملة لكل حادث وقدرته التامة عليه .

---

[1] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ .

[2] صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٧١ .

[3] انظر هذه المراتب : ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ٢٧١ / ابن القيّم : شفاء العليل ، جـ١ ، ص ٩١ / ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ٨ ، ص ٤٤٩- ٤٥٠ .

٤- الخلق : الإيمان بإيجاد الله لكل المخلوقات وأنّه الخالق وحده وما سواه مخلوق .

جـ - الفرق بين القضاء والقدر :

اختلف العلماء في الفرق بينهما فمنهم من قال : « إنّ القدر : تقدير الله في الأزل ، والقضاء : حكم الله بالشيء عند وقوعه ، ومنهم من قال : إنهما بمعنى واحد ، والراجح أنهما إن قرنا جميعاً فبينهما فرق كما سبق ، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد »[1] .

د- تعامل العبد مع القدر[2] : ينقسم إلى حالتين :

١- حالة قبل وقوع القدر : فعليه أن يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه ويدعوه ويحسن الظن به سبحانه .

٢- حالة بعد وقوع القدر : فعليه حينئذ ما يلي :

أ- أن يحمد الله تعالى عند حلول النعم وبعد القيام بالطاعات ، ويعتقد أن الفضل الذي أصابه من الله ، وأن العبد ليس سوى محل للنعمة .

ب- أن يصبر ويرضى عند وقوع المصائب ويستغفر الله من الذنوب التي هي سبب كثير من المصائب ، وأن يحمد الله على ما أصابه وأن يتذكر أن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ، وأن ما أصابه إنما لحكمة من الله ، وعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ، ويستعين به ويتوكل عليه ، وهذه

---

[1] ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ٢، ص ٧٩ .

[2] انظر اقسام هذا التعامل : مروان القيسي : معالم التوحيد ، ص ٣٥ - ٣٦ . (بتصرف)

المصائب على نوعين :

١- المصائب التي من باب القدر الذي للعبد فيه اختيار ، فهو مأمور بدفعه ، وذلك بالأخذ بالأسباب ، مثل المرض والتداوي منه وكلاهما من قدر الله .

٢- المصائب التي من باب القدر الذي ليس للعبد فيه اختيار ، كأن ينزل به مما لا طاقة له بدفعه مثل موت قريب ، فهذا حقه أن يُتلقى بالاستسلام والصبر والرضى .

هـ - قضاء الله والرضا به[1] : ينقسم إلى :

١- **القضاء الشرعي** : وهو واجب الرضى به ، مثل : قضاء الله علينا بتحريم الربا ، فيجب علينا أن نؤمن به ، وأن نستسلم لتحريم الربا ، ومثلها وجوب الصلاة وغيرها مما شرعه الله لعباده .

٢- **القضاء الكوني** : وهو ما يقضي به الله كوناً ، فإن كان :

أ- محبوباً للنفس ، ملائماً للطبع ، فالرضا به من طبيعة الإنسان وفطرته ، مثل قضاء الله بالولد والعلم والمال وغيرها .

ب-غير محبوب للنفس ، وغير ملائم ولا موافق للإنسان ، مثل : المرض ، والفقر ، والجهل ، وفقدان الولد وما شابه ذلك ، فقد اختلف العلماء في وجوب الرضا به ، والصحيح أنّ الرضا به مستحب .

---

[1] انظر تقسيمات ذلك : ابن عثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ٣ ، ص ٢٠٣-٢٠٧ (بتصرف) .

و- الابتــلاء والفِتَــن من القدر :

تُعَدُّ هاتان اللفظتان من المترادفات في الدلالة على الامتحان والاختبار ، فتكونا تارة بالمصائب وتارة بالنعم ، ولله في أنواع الابتلاء حِكَم ، منها كشف مدى الصبر والشكر عند المرء وما يتبع ذلك من الطاعات ، فالثواب والأجر يترتب على مدى تحصيل كل منهما في البلاء أو الفتنة ، ومنها التثبيت ، والتربية والإعداد وغيرها من الحكم التي قد تتكشف للمرء ، وقد لا تتكشف فتظل في عالم الغيب الذي لا يعلم به إلاّ الله عز وجل .(١)

ولقد ورد في قصص أولي العزم من الرسل ذِكْرُ طرَفٍ من الابتلاءات والفتــن ، فمن ذلك ابتلاء الله عزّ وجل لإبراهيم - عليه السلام - بأمره أن يذبح ولده إسماعيل ، وهذا بلاء من الله عظيم ، نجح فيه إبراهيم عليه السلام - وابنه إذ قد استجابا لأمر الله ، ففدى الله تعالى إسماعيل -عليه السلام - بذبح عظيم ، قال تعالى : « فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلّه للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين . إنّ هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » [الصافات : ١٠٢-١٠٧] ، فأثبتا رغم شدّة الابتلاء عظم طاعتهما لله عز وجل وخضوعهما له ، ولم يظهرا سخطاً أو جزعاً من أمر الله ، بل قد كان في تبليغ إبراهيم - عليه السلام - أمرَ الله لابنه ، واستجابةِ الابن ودعائه أنه سيكون بمشيئة الله وعونه من الصابرين ، دلالةٌ على نوع من السكينة والرضا لما قضاه الله ، وثقتهما بأنّ قضاء الله كله خير وإن كان ظاهره الشدّة والبأس على النفس ، إذ ليس من السهل أن يذبح الأب

---

(١) انظر : عبدالرحمن الميداني : ابتلاء الإرادة ، ص ٧٣- ٧٦ ، ص ٨٠ -٨٤ .

ابنَه ، ناهيك عن ما يتعلّق بإبراهيم – عليه السلام – من صفات الرحمة واللين وكيف رُزِق بإسماعيل – عليه السلام – إذ لم يكن له ولد قبله ؛ لذلك فقد وصفه الله عز وجل بأنه بلاء مبين ظاهر واضح . [1]*

---

[1] انظر ما ورد في تفسير هذه الآيات : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ١٥-١٧ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٣ ، ص ١٤٩-١٥٤ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩٤-٢٩٩٦ .

*قد تمّ انتقاء أبرز موضوعات العقيدة الإسلامية الواردة في القصص القرآني ، حسب اجتهاد الباحثة بما يتوافق مع مسار البحث في هذه الرسالة ويخدم أهدافها ، مع الإشارة إلى أنّ هذا البيان قد روعي فيه التفصيل ما أمكن ليمهّد البحث في الأبواب التالية ، فالاستنباط في مجال الخصائص ، والضوابط ، والنتائج استلزم هذا التفصيل ، واقتضى مثل هذا المقام في التمهيد .

البـــــاب الأول

خصائص القصة القرآنية في منهج الدعوة إلى العقيدة

الفصل الأول : خصائص الأهـــداف .

الفصل الثاني : خصائص الموضوعات .

الفصل الثالث : خصائص الوسائــل .

الفصـــل الأول

خصائص الأهداف

المبحـث الأول : أهداف القصص القرآني .

المبحث الثاني : خصائص أهداف القصص القرآني .

المبحث الأول

أهداف القصص القرآني

قبل الشروع في بيان هذه الأهداف ، سأتطرق إلى بيان المقصود بالهدف ، إذ الهدف في اللغة هو كل شيء عظيم مرتفع ، أو هو المُشرِفُ من الأرض وإليه يُلجأ ، أو هو كل بناء مرتفع مُشرِف ، والإهداف : هو الدنّو منك والاستقبال لك والانتصاب ، والهدف هو الغرض . [1]

والهدف مدار البحث هنا يحوم حول هذه المعاني ؛ إذ يُقصد به الأغراض التي تكون واضحة بيّنة وتدور حولها القصة القرآنية ، بغية الدّنو منها والاستقبال لها ، وجعلها منتصبة تحدّد الوجهة دائما لمريد قصدها فلا يضل عنها ولا يحيد ، فهي كالبناء المرتفع المُشرِف لمن يقصدها ويطلبها ، ليصل إليها في النهاية دون انحراف في السير أو ضلال ، ومن ثم كانت أهداف القصة القرآنية معالم هدى لمبتغيها وطالبها ، ومنار سبيله ، إلى أن يصل إليها فيحقق الغاية من ورود القصة القرآنية كما سيرد ذلك في تفصيل ماهية هذه الأهداف ، وما يليها .

وأنوّه إلى أنّ ذكر هذه الأهداف سيكون ضمن إطار منهج الدعوة إلى العقيدة ، بمعنى التركيز على الأهداف التي تختص بهذا المنهج الدعوي العقدي دون اطّراد إلى غيره من مناهج الدعوة ، لذا سيُطلق عليها مسمي الأهداف العقدية ،

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦، ص ٤٦٣٣-٤٦٣٤ .

وسيتم تقسيمها إلى : أهداف عقدية تتعلّق بالتصوّرات ، وأهداف عقدية تتعلّق بالممارسات [1]، أي الأهداف العقدية التي تتناول كلاً من الفكر والسلوك ، مع الإشارة إلى أنّ تقسيم هذه الأهداف في هذا القالب الثنائي على سبيل الترتيب والتنظيم ، وليس على سبيل الفصل ؛ إذ كما هو معلوم فإن التصوّرات في الإسلام لا تنفصل عن الممارسات ، فالممارسات إنما هي انعكاس لهذه التصورات ، ومن ثم ، فالعلاقة بينهما وطيدة وثيقة ، لا انفصام بينهماولا انفصال ، والعقيدة الإسلامية كما أشرنا في التمهيد تمثل القواعد الرئيسة للبنيان ، فبها وعليها تقوم الدعوة والتربية وفي ظلها يكون التوجيه والإرشاد ، وبيان هذه الأهداف في التالي : -

أولاً- الأهداف العقدية المتعلّقة بالتصوّرات :

١- إثبات صدق نبوّة محمد -صلى الله عليه وسلم - ورسالته :

إذ ما أُخبر به - صلى الله عليه وسلم - من قصص القرآن هو غيب ، أُوحِيَ إليه من ربّه ، ما كان يعلمه النبي - صلى الله عليه وسلم - وما كان معلوماً لقومه ولا متداولاً في محيطه ، وقد صرّح القرآن في أكثر من موضع في قصص القرآن وعرّض على عدم علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بها ، فقد ورد في سورة هود بعد ذكر الآيات الخاصة بقصة نوح -عليه السلام - قوله تعالى : << تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين >> [هود : ٤٩] وقد جاء في تفسيرهذه الآية أنّ « أنباء الغيب

---

[1] قد استخدمت الباحثة مصطلح التصوّر للدلالة على الجانب الفكري في العقيدة ، وأما مصطلح الممارسات فهو للدلالة على الجانب العملي التطبيقي للعقيدة ، مع التنويه إلى أنّ التصوّر والممارسة كلاهما تجوز فيه السلامة أوعدمها ، ولكنّ العقيدة الإسلامية تقتضي سلامة التصورات وسلامة الممارسات ؛ بُغية تحقيق فاعليتها، وجني ثمارها ، الذي جاء هذا البحث لبيانه من خلال قصص الأنبياء الذين كانت حياتهم ترجمة حيّة لمنهج الله في عالم الواقع في أسمى صوره وأكملها ، والتي تأكّدت من خلالها ضرورة تلازم التصور مع الممارسة وأنهما جانبان لا ينفصلان عن بعضهما بعضاً في العقيدة الإسلامية .

الأخبار المغيبة عن النّاس أو عن فريق منهم ، فهذه الأنباء مغيبة بالنسبة إلى العرب كلهم لعدم علمهم بأكثر من مجملاتها ، وهي أنه قد كان في الزمن الغابر نبيء يقال له : نوح – عليه السلام – أصاب قومه طوفان ، وما عدا ذلك فهو غيب كما أشار إليه قوله تعالى : « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » ، فإنهم لم ينكروا ذلك ولم يدّعوا علمه ، على أنّ فيها ما هو غيب بالنسبة إلى جميع الأمم مثل قصة ابن نوح وعصيانه أباه وإصابته بالغرق ، ومثل كلام الرّب مع نوح – عليه السلام – عند هبوطه من السفينة ، ومثل سخرية قومه به وهو يصنع الفلك ، وما دار بين نوح – عليه السلام – وقومه من المحاورة ، فإنّ ذلك كله مما لم يذكر في كتب أهل الكتاب ... وعطف « ولا قومك » من الترقي ، لأن في قومه من خالط أهل الكتاب ومن كان يقرأ ويكتب ولا يعلم أحد منهم كثيراً مما أوحي إليه من هذه القصة ، والإشارة بقوله « من قبل هذا » إما إلى القرآن ، وإما إلى الوقت باعتبار ما في هذه القصة من الزيادة على ما ذكر في أمثالها مما تقدم نزوله عليها ، وإما إلى « تلك » بتأويل النبأ فيكون التذكير بعد التأنيث شبيهاً بالالتفات » [1] ، وفي قصة موسى – عليه السلام – ورد قوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين » [القصص : ٤٤] وفي هذه الآية دلالة كبيرة على إثبات رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ؛ « وذلك بما أعلمه الله به من أخبار رسالة موسى مما لا قبِل له بعلمه لولا أن ذلك وَحي إليه من الله تعالى ، فهذا تخلص من الاعتبار بدلالة الالتزام في قصة موسى إلى الصريح من إثبات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وجيء في الاستدلال بطريقة المذهب الكلامي حيث بني الاستدلال على انتفاء كون النبي – عليه الصلاة والسلام – موجوداً في المكان الذي قضى الله

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦، جـ١٢ ، ص ٩٢-٩٣ .

فيه أمرَ الوحي إلى موسى ، لينتقل منه إلى أنّ مثله ما كان يعلم ذلك إلاّ عن مشاهدة لأن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه إذ لم يكونوا أهل معرفة بأخبار الرسل كما كان أهل الكتاب ، فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله تعيّن أن طريق علمه هو إخبار الله تعالى إياه بخبر موسى ... والمعنى ما كنتَ من أهل ذلك الزمن ولا ممّن تلقّى أخبار ذلك بالخبر اليقين المتواتر من كتبهم يومئذ فتعيّن أن طريق علمك بذلك وَحي الله تعالى » [1] ، وفي قصة عيسى – عليه السلام – في ذكر من يكفل أمه مريم جاء قوله تعالى مصرّحا بأنّ هذه القصص إنما هي غيب من الغيب : << ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون >> [آل عمران: ٤٤] ومما جاء في تفسير هذه الآية أنّ معنى قوله تعالى << ذلك >> أي : « الأخبار التي أخبر الله بها عبادَه عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قصّ الله في الآيات من قوله :<< إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً ...>>[آل عمران : ٣٣] ، ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله : << ذلك >> ، فقال : هذه الأنباء من << أنباء الغيب >> ، أي من أخبار الغيب ، أي من خفيٌ أخبار القوم التي لم تطّلع أنت ، يا محمد ، عليها ولا قومك ، ولا يعلمها إلا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم ، ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أنه أوحى ذلك إليه ، حجّة على نبوته ، وتحقيقاً لصدقه ، وقطعاً منه به عُذْرَ منكري رسالته من كفار أهل الكتابين ، الذين يعلمون أنّ محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها ، إلاّ بإعلام الله ذلك إيّاه » [2] . [3]

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠، جـ٢٠ ، ص ١٣٠ .

[2] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٢ ، ص ٢٥٥ .

[3] راجع : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ١٨٤٢، ١٨٨٠/ مأمون فريز جرار: خصائص القصة الإسلامية ، ص ٩٨/ محمد شديد : منهج القصة في القرآن ، ص ٤٨ /عبدالرّب آل نوّاب : الدعوة إلى=

٢- إثبات صدق رسالات الرسل ونبوّات الأنبياء السابقين :

إذ قال تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ... >> [يوسف : ١١١] ، والمقصود بـ : الذي بين يديه : الكتب الإلهية السابقة ، التي أنزلها الله على أنبيائه [١] ، « وضمير بين (يديه) عائد إلى القرآن الذي من جملته هذه القصص » [٢] ، وعلى هذا المعنى تكون قصص القرآن مصدّقة لما جاء في هذه الكتب وشاهدة على أنّ جميعه حقّ من عند الله [٣] ، ومن ثم ، تثبت صدق نبوّات الأنبياء السابقين ورسالاتهم ، وخاصة ما تعلّق بوحدة الدين بين جميع الأنبياء ؛ إذ قد حوت هذه القصص موضوعات عقدية أشرنا إليها في الباب الأول مفصّلة ، أبرزت تماثل ما جاء به أنبياء الله ، لا سيما ما اختص بالإيمان بالله من توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، وفي هذا دلالة على أنهم جميعاً إنما يوحى إليهم من مصدر واحد ، وهو الله – سبحانه وتعالى – وحده لا شريك له .

٣- تصحيح ما ورد من تحريف وتبديل وانحراف وغلو في قصص بعض الأنبياء خاصة أنبياء بني إسرائيل مثل موسى وعيسى – عليهما السلام – :

فمن ذلك ما ذكره الله عز وجل عن دور القصص في بيان الحق فيما اختلف حوله بنو إسرائيل : << إنّ هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه

= الله تعالى ، ص ١٥٨ / أحمد رحومة : منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد ، ٢٣٥ .

[١] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٤ ، ص ٣٩٨ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٢٧٧ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ١٣ ، ص ٧٢ .

[٣] انظر : مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٠٧ / عبدالرحمن الميداني : نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، ص ١٦ / عماد زهير حافظ : القصص القرآني ، ص ١٦ .

يختلفون >> [النمل : ٧٦] وقد ورد حول تفسير ما اختلف فيه بنو إسرائيل ، أنّ مما قد اشتمل عليه القرآن من موضوعات هو « تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما خَبَطت فيه كتب بني إسرائيل ؛ من جرّاء ما طرأ على كتبهم من التشتت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاط الأمة الإسرائيلية ، وكذلك مما حواه القرآن وقد اختلفوا فيه ما تعلّق بالأصول الصريحة في الإلهيات مما يكشف سوء تأويل بني إسرائيل لكلمات كتابهم في متشابه التجسيم ونحوه ، فإنك مثلاً لا تجد في التوراة ما يساوي قوله تعالى : << ...ليس كمثله شيء ... >> [الشورى : ١١] ... وقد قصّ القرآن عليهم أكثر ما اختلفوا وهو ما في بيان الحق منه نفع للمسلمين ، وأعرض عما دون ذلك ، فموقع هذه الآية استكمال نواحي هدْي القرآن للأمم »[1] .

ويُعدّ ما جاء في قصّة عيسى – عليه السلام – أبرز مثال على تصحيح العقائد ؛ فقد حُرِّفت هذه القصة عند النصارى بحيث نالها الزيغ والانحراف والجرأة على الله تعالى عن ذلك علواً كبيرا ، فقد ادعوا إلهية عيسى – عليه السلام – وأمّه [2] ، قال تعالى : << وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلتَ للناس اتّخذوني وأميَ إلَـهَيْنِ من دون اللهِ قال سُبْحانَك ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليس لي بحقٍّ إن كنتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَهُ تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك إنّك أنت علاّمُ الغيوب . ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أنِ اعبدوا الله ربّي وربَّكم وكُنتُ عليهِم شهيداً ما دُمتُ فيهِم فلمّا تَوَفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهِم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيد . إنْ تُعذِّبْهُم فإنّهُم عبادُك وإنْ تغفرِ

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ٣٠ (بتصرف) .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ١٠٥-١٠٦ / سيد قطب : في ظلال القرآن جـ ٢ ، ص ٩٩٦.

لهــم فـإنــك أنتَ العـزيزُ الحكيــمُ >> [المائدة: ١١٦-١١٨] ، « إنّ مـا ورد في هذه الآيات هو قول يقوله الله عزّ وجل يوم القيامة لعيسى - عليه السلام - ، تقريعاً للنصارى وإعلاناً لكذب من كفر منهم ، فالله عزّ وجل يعلم أنّ عيسى - عليه السلام - لم يقل ذلك ، والمعنى أنّه إن لم يكن هو قائل ذلك فلا عذر لمن قاله : لأنّهم زعموا أنّهـم يتّبعـــون أقـــوال عيسى وتعاليمـــه ، فلـــو كـــان هـــو القائل لقـــال : اتّخذوني وأمّي ، ولذلك جاء التعبير بهذين اللفظين في الآية ، والمــــراد بالناس أهـــل دينه ، وجواب عيسى - عليه السلام - بقوله « سبحانـــك » تنزيـــه لله تعالى عن مضمـــون تلك المقالــــة ، وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى أهم من تبرئتـــه نفســـه ، على أنّها مقدّمــــة للتبـرّي لأنّه إذا كان ينـــزّه الله عن ذلك فلا جرم أنه لا يأمر به أحداً » [1] .

وقد ورد في تصحيح ادعّاء كل من ينتسب إلى إبراهيم - عليه السلام - ويدّعي أنه على دينه ، قوله تعالى : << وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّـهُ بكلماتٍ فأتمّهُنَّ قال إنّي جاعلُك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهديَ الظالمين . وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للناس وأمناً واتّخِذوا من مقامِ إبراهيمَ مصلّى وعهدْنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكّعِ السجود . وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجْعَلْ هذا بلداً آمناً وارزقْ أهلَهُ من الثّمراتِ مَن آمن منهم بالله واليومِ الآخِرِ قال ومن كفرَ فأُمَتِّعُهُ قليلاً ثم أضطَرُّهُ إلى عذاب النّار وبِئسَ المصير . وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السّميعُ العليم . ربّنا واجعلْنا مُسلِمَيْنِ لك ومن ذُرِّيتِنا أمّةً مسلِمةً لك وأرِنا مناسِكَنا وتُبْ علينا إنّك أنت التّوّابُ الرّحيم . ربّنا وابعثْ فيهِم رسولاً منهم يتْلو عليهِم آياتِكَ

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ١١٢- ١١٤ (بتصرف) / وانظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٦ ، ص ٣٧٤- ٣٧٩ .

ويُعلِّمُهُم الكتابَ والحِكمَةَ ويُزَكِّيهِم إنَّك أنتَ العزيزُ الحَكيم . ومن يرغَبُ عن مِلَّةِ إبراهيمَ إلاّ من سَفِهَ نفسَهُ ولقدِ اصْطَفَيناهُ في الدُّنيا وإنَّه في الآخِرَةِ لَمِنَ الصالِحين . إذ قال لهُ ربُّهُ أسْلِم قال أسْلَمْتُ لِرَبِّ العالَمين . ووصّى بها إبْراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصطَفى لكُمُ الدِّين فلا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون . أم كنتم شُهداءَ إذْ حضَرَ يعقوبَ المَوْتُ إذْ قال لبنيهِ ما تَعْبُدونَ مِنْ بَعدي قالوا نَعْبُدُ إلهك وإلهَ آبائِك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلهاً واحداً ونحنُ له مسلمون >> [البقرة : ١٢٢- ١٣٣] فهنا « قصة إبراهيم - عليه السلام - تؤدي دوراً هاماً فيما شجر بين اليهود والجماعة المسلمة في المدينة من نزاع حاد متشعب الأطراف ، فأهل الكتاب يرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق - عليهما السلام - ويعتزون بنسبتهم إليه ، وبوعد الله له ولذريته بالنمو والبركة ، وعهده معه ومع ذريته من بعده ، ومن ثم يحتكرون لأنفسهم الهدى والقوامة على الدين ، كما يحتكرون لأنفسهم الجنة أيا كان ما يعملون ! ، وإنّ قريشاً لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل- عليهما السلام - وتعتز بنسبتها إليه ، وتستمد منها القوامة على البيت ، وعمارة المسجد الحرام ، وتستمد كذلك سلطانها الديني على العرب ، وفضلها وشرفها ومكانتها ، ومن ثم ، يأتي بيان قصة إبراهيم هنا لتقرير الحقائق الخالصة في ادعاءات اليهود والنصارى والمشركين جميعاً حول هذا النسب وهذه الصلات ، ولتقرير قضية القبلة التي ينبغي أن يتجه إليها المسلمون .. وكذلك تجيء القصة لتقرير حقيقة دين إبراهيم - وهي التوحيد الخالص - وبُعْد ما بينها وبين العقائد المشوهة المنحرفة التي عليها أهل الكتاب والمشركون سواء ؛ وقرب ما بين عقيدة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه - وعقيدة الجماعة المسلمة بآخر دين وكذلك تقرير وحدة دين الله ، واطراده على

أيدي رسله جميعاً ، ونفي فكرة احتكاره في أيدي أمة أو جنس ، وبيان أنّ العقيدة تراث القلب المؤمن لا تراث العصبية العمياء ، وأنّ وراثة هذا التراث ، تقوم على قرابة الإيمان والعقيدة ، فمن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريثها ، ووريث عهودها وبشاراتها . ومن فسق عنها ، ورغب بنفسه عن ملة إبراهيم ، فقد فسق عن عهد الله ، وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشاراته ، و عندئذ تسقط كل دعاوى اليهود والنصارى في اصطفائهم واجتبائهم ، لمجرد أنهم أبناء إبراهيم وحفدته ، وهم ورثته وخلفاؤه ! لقد سقطت عنهم الوراثة منذ ما انحرفوا عن هذه العقيدة .. وعندئذ تسقط كذلك كل دعاوى قريش في الاستئثار بالبيت الحرام وشرف القيام عليه وعمارته ، لأنهم قد فقدوا حقهم في وراثة باني هذا البيت ورافع قواعده بانحرافهم عن عقيدته » [1] .

٤- تقرير و توكيد وحدة هذا الدّين [2] :

ويتمثّل في وحدة الدعوة :

أ-موضوعاً : بتقرير وحدة العقيدة في الرسالات جميعاً المذكورة في القصص القرآني ، ولا غرو في ذلك فمصدرها واحدٌ وهو الله عزّ وجل ، الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ، وهو القائل عز وجل : << وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون >> [الأنبياء : ٢٥] . [3]

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن جـ١ ، ص ١١٠-١١١ (بتصرف) .

(٢) راجع في بعض ما ورد تحت هذا العنوان : سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص ١٤٦، ص ١٤٩-١٥٠ / محمد قطب : دراسات قرآنية ، ص ١٠٢-١٠٥ / أحمد رحومة : منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد ، ص ٩٨ / محمد شديد : منهج القصة في القرآن ، ص ١١٨ .

(٣) انظر تفصيل ذلك وأدلته ما ورد في التمهيد عن وحدة العقيدة ، ص ٥٣ -٥٤ من الرسالة .

ب - وِجْهةٌ : إذ الداعية في قصص الأنبياء هو النبي المُرسل من الله عز وجل لتبليغ دينه إلى القوم المُرسَل إليهم ، وقد لمسنا من سيرتهم في الدعوة تفانيهم في تبليغها ، وتحرّيهم إخلاص الوجهة لله عز وجل ، على تفاوت بين درجاتهم في الفضل والرفعة ، فهم لا يطلبون أجراً ولا غرضاً دنيوياً من دعوتهم ، فوجهتهم جميعاً واحدة وهي الله عز وجل ، طاعةً له وطلبا لمرضاته ؛ لذا فقد ورد في أكثر من قصة من قصص الأنبياء نفي طلب الأجر أو الأعراض الدنيوية من دعوتهم إلى الله تعالى ، مثلما جاء على لسان نوح - عليه السلام - : << وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على ربّ العالمين >> [الشعراء : ١٠٩] .

جـ - مُواجَهة : إذ برز من خلال القصص القرآني موقف الأقوام المدعوّين في استقبالهم للدعوة لهذا الدين ، والذي ينقسم إلى : مقبلين على الدعوة وموالين لها ، وصادّين عن الدعوة غير موالين لها ، وما يتبع ذلك من نصرة أو عداء لهذا الدين من قبل هذه الأطراف المتدافعة ، إذ التدافع بين الحق والباطل ، سنّة الله في خلقه [1] .

٥- تقرير و توكيد الحقائق الاعتقادية الرئيسة :

والمتمثلة غالباً [2] في أركان الإيمان التي سبق بيانها في الباب الأول ، فالقصص القرآني تمثل النموذج العملي التطبيقي لهذه الحقائق في صورتها

---

[1] انظر : ص ٤٦ من الرسالة .

[2] اعتمدتُ لفظة (غالباً) هنا ، لدخول مواضيع اعتقادية أخرى تعتبر تابعة لأركان الإيمان ، كموضوع المعايير والقيم في قصص القرآن ، مثل كون رابطة العقيدة مقدمة على أي روابط أخرى من قرابة أو نسب أو غيرها ، كما ورد في قصة نوح - عليه السلام - وابنه الذي لم يؤمن ، وإبراهيم عليه السلام - وأبوه آزر الذي بقي على كفره وعبادته للأصنام .

الواقعية في حياة الأنبياء وأقوامهم [١]، وقد رأينا فيما ذُكر آنفاً مدى تحقّق أركان الإيمان في قصص الأنبياء ، وخاصة الركن الأول وهو الإيمان بالله ، وكيف اختص جانب توحيد الألوهية منه بحيّز كبير في قصص أولي العزم من الرسل مدار بحثنا هذا ، لا سيّما الأعمال التي مناطها القلب [٢] ، فقد كان في التصديق واليقين والثقة بالله والتوكل عليه وغيرها من أعمال القلب سندٌ قويٌ لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، فالداعية لا بد أن يكون مؤمنا بما يدعو إليه إيماناً صادقاً ، وفاعلاً ، ينقله من نطاق الإيمان والاعتقاد إلى نطاق الممارسة والتطبيق ؛ لذا فقد جاءت القصص القرآني محقّقة لهذا الجانب المطلوب تلمسّه في حياة الدعاة إلى الله ، فقد تمثّلت الحقائق الاعتقادية في حياة أنبياء الله – عز وجل – تمثّلاً واقعياً عملياً كان له دورٌ بارزٌ في تقرير وتوكيد هذه الحقائق الاعتقادية .[٣]

٦- تيسير الهدى والرحمة :

تُعدّ القصص القرآني من أسباب تيسير الهدي والرحمة ، كما ورد في تفسير قوله تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقومٍ يؤمنون >> [يوسف : ١١١] إذ من الهدى الذي حوته هذه القصص « العبر والعظات الباعثة على الإيمان والتقوى بمشاهدة ما جاء من الأدلّة في أثناء القصص على أنّ

---

(١) انظر : عبدالرّب آل نوّاب : الدعوة إلى الله ، ص ١٤٣ / زاهية الدجاني : أحسن القصص، ص ٧ ، ٢٢ / التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ٥٤٣ .

(٢) انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٣٨٩-٣٩٠ ، جـ٤ ، ص ١٨٤٤ / صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن جـ١ ، ص ٢٤٦ / فضل عباس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ١٠ / التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ١٣٩، ٤٢١ ، ٥٥٠ .

(٣) انظر : الشواهد الواردة في التمهيد في جميع أركان الإيمان ، خاصة في الركن الأول وهو الإيمان بالله ، في موضوع أعمال القلب .

المتصرف هو الله تعالى ، وعلى أن التقوى هي أساس الخير في الدنيا والآخرة ، وكذلك فإنّ في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة الله لهم وعنايته بهم ، وذلك رحمة للمؤمنين لأنهم باعتبارهم بها يأتون ويذرون ، فتصلح أحوالهم ، ويكونون في اطمئنان بال ، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم وسبب لرحمته إياهم في الآخرة كما قال تعالى : << من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحْيِيَنّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون >> [النحل : ٩٧] »[1] ، فالقصص القرآني كما قلنا تمثل الجانب التطبيقي للعقيدة ، وبذلك تيّسر سبيل الهداية في صورة مشوّقة سهلة لا تعقيد فيها ، تقود إلى ترسيخ العقيدة في صورة واضحة حية واقعة من خلال عناصر القصة ، الممثلة غالبا في أشخاصها وأحداثها ، فمن يعيش مع أحداث قصة نوح – عليه السلام – مثلاً ، ويتفاعل معها ، فيلمس عظم صبره على قومه ، وحرصه على هدايتهم بكل الوسائل والسبل ، ثم يتابع مراحل بناء السفينة ، ثم تقدير الله لموعد حلول الطوفان ، ونجاة نوح ومن آمن معه ، وكيف هلك ابنه الكافر ، وأنّ الآصرة هي آصرة العقيدة ، وأنّ الذي ينفع المرء إنما هو دينه وإيمانه وتقواه ، وأما نسبه وقرابته فلا تغني له من الله شيئا ، يتَعَلَم أنّ النجاة للمؤمن ، والخسران والبوار للكافر ، وأنّ العاقبة للمتقين ، فحينئذ يكون التفاعل مع القصة وتدبرها سبيلاً لترسيخ معاني عقدية عظيمة ، خاصة أنّها قصص حقّ لا مِرية فيها ولا جدال ، فتذعن النفس إلى التأثر بها ، ومن ثم ، تكون سببا في حصول الهداية ، وسببا في طلب رحمة الله في الدنيا والآخرة .

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج٧ ، جـ١٣ ، ص ٧٢ -٧٣ (بتصرف) / انظر : وهبة الزحيلي : القصة القرآنية ، ص ٢٠ .

ثانياً: الأهداف العقدية المتعلّقة بالممارسات :

1- الاعتبار والاتّعاظ :

فقد سيقت القصص القرآني ، بُغية حصول العبرة والعظة مما جاء فيها ، خاصة جانب العاقبة ، سواء للمؤمنين أو الكافرين ، فالموعظة يُقصد بها : « النُّصْحُ والتذكير بالعواقب » [1] ، وقيل : « الوَعْظُ : زَجْرٌ مُقْتَرِنٌ بتخويف ، وقيل هو : التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب » [2] أو هو : « التذكير بما يَصُدُّ المرء عن عمل مضرّ » [3]، والعِبْرَة « كالموعظة ، مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبِرُ ، ليستدلّ به على غيره ، والعبرة الاعتبار بما مضى » [4] ، أو « العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول ، والمراد منه التأمّل والتفكر »[5] ، ولا يخفى على البصير عظم قدر المواعظ والعبر كمّاً ونوعاً في القصص القرآني ، وخاصة قصص الأنبياء ، وهذه العظات والعبر تشمل جميع الفئات المؤمنة والكافرة ، وإن كانت بالكفار ألصق ؛ بُغية زجرهم وردعهم عن تصدّيهم لدعوة الله عز وجل ، وحيلولتهم دون تسهيل سبل الاهتداء لبقية الناس ، وربما كان التدبر في العواقب في القصص القرآني أبلغ شاهد على الاعتبار والاتعاظ ، فتنوّع العواقب بالنسبة للكافرين أو المؤمنين ، له دلالات عظيمة في ذلك ، سواء كانت العواقب الخاصة بالأحداث الختامية في القصة كالنهاية الأليمة لفرعون ومن اتبعه بأن أغرقهم الله في البحر قال تعالى : << وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، جـ6 ، ص 4873 .

[2] الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص 527 .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج 6 ، جـ12 ، ص 193 .

[4] ابن منظور : لسان العرب ، جـ4 ، ص 2783 .

[5] الرازي : التفسير الكبير ، مج 9 ، جـ18 ، ص 181 .

بسلطان مبين . فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ وهو مُليم >> [الذاريات : ٣٨-٤٠] واليمّ هو البحر ، ومُليم : أي آتٍ بما يستحق عليه اللوم بسبب كفره وتجبّره وطغيانه [١] ، أو العواقب الخاصة بالأحداث الجزئية في القصة كمواقف بني إسرائيل مع موسى -عليه السلام - بعد نجاتهم من فرعون ، إذ لاقى منهم تعنتاً ولجاجة وغلظة في التعامل ، وقصتهم مع البقرة ربما كانت من أعظم الشواهد في بيان ذلك ، إذ قد اختصموا إلى موسى في قتيل قُتِل فيهم ولم يُعرَف قاتله ، فأمرهم موسى بأمر الله وهو أن يذبحوا بقرة ، ثم يضربوا القتيلَ بأي عضوٍ من أعضاء البقرة التي ذبحوها ، فيُحيه الله بذلك ويتكلّم ويقول من قتله ، ولكنّ بني إسرائيل لم يقابلوا هذا الأمر الإلهي بالسمع والطاعة فقد وصفوا موسى - عليه السلام - بالاستهزاء ، ثم زادوا في ذلك تعنتاً بأن طلبوا أوصاف هذه البقرة ، ثم سألوا عن لونها ثم زادوا في الأسئلة عنها حتى ضيقوا الأمر بعد أن كان واسعاً ، إذ لو كانوا قد ذبحوا أي بقرة لكفتهم ولكنهم ، تعنتوا وتشدّدوا ، وكلما زادوا في السؤال شدّد الله عليهم ، فكانت عاقبتهم التشديد والتضييق عليهم وذمهم [٢] ، قال تعالى : << وإذ قال موسي لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربّك يُبيّن لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما لونها .... >> [البقرة : الآيات من ٦٧- إلى نهاية القصة في الآية ٧٣] ، ومن ثم ، يعتبر ويتعظ المؤمن من عاقبة هذا التشدد والتعنّت في مقابلة أمر الله ، فيجتنب مثل هذا الأمر ، ويُحسن السمع والطاعة .

---

[١] انظر :ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤، ص ٢٠٨ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٥ ، ص ٩٠ .

[٢] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ١، ص ٩٧ - ٩٩ .

وقد قرّر القرآن هذا الهدف ، في قوله تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ... >> [يوسف : ١١١] و« العبرة اسم مصدر الاعتبار، وهو التوصل بمعرفة المشاهد المعلوم إلى معرفة الغائب ، وذلك من خلال النظر إلى ترتّب الآثار على الواقعات »[١]، وقوله عز وجل مخاطباً نبيّه محمد - صلى الله عليه وسلم - : << ... فاقصص القصص لعلهم يتفكرون >> [الأعراف : ١٧٦] والمراد بـ : يتفكرون أي : « يتّعظون »[٢] . [٣]

٢- الاقتداء بالأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه - :

فهم يمثلون نماذج بشرية بلغت من السمو والعلو منزلة رفيعة ، سواء في ذواتهم أو في منهجهم في الدعوة ، ولا غرو في ذلك فهم المصطفون الأخيار ، المجتبون من قبل الخالق عز وجل ، الذين خصّهم بكرامته ، وأهّلهم للرسالة والنبوة ، من غير أن يكون ذلك منهم على رجاء ، أو كسب أو توسل إليه بعمل ، بل هو أمر أريد بهم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، قال تعالى : << أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا ...>> [مريم : ٥٨] ، ومعنى «اجتبينا : أي اصطفينا من العباد حتى جعلناهم أنبياء » [٤] ، وكذلك قوله تعالى : << الله يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن النّاس إنّ الله سميع بصير >> [الحج : ٧٥] ،

---

[١] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج٧ ، جـ١٣ ، ٧١ (بتصرف) .

[٢] الرازي : التفسير الكبير ، مج ٨ ، جـ١٥ ، ص ٤٨ .

[٣] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج١ ، (المقدمة السابعة) ، ص ٦٥ / صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، جـ١ ، ص ٧ / ١٥٩ عبدالرّب آل نوّاب : الدعوة إلى الله تعالى ، ص ١٥٩ / التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ٤ / عماد زهير حافظ : القصص القرآني ، ص ١٣ .

[٤] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٠٢ .

فالله عز وجل يصطفي ويختار من النّاس الأنبياء ، فيبعثهم هداة دعاة إلى الحق بإذنه ، والمقصود بالرسل هنا من اجتمعت لهم النبوة والرسالة عند من يرى التفريق بينهما [١] ، ومن ثم ، فالداعية في قصص الأنبياء هو النبي ، وهذا الدور يضفي عليه منزلة القائد والإمام الذي يقود قومه ، إلى هدى الله وطريقه المستقيم قال تعالى : << وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات وإقامَ الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنــا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] والأئمة « جمع إمام وهو القدوة » [٢] أو هم « الرؤساء يُقتدى بهم في الخيرات ، وأعمال الطاعات ، بما أنزل عليهم من الوحي » [٣] ، ومن مقتضيات هذه المنزلة أن يكون قدوة لمن اتّبعه ، والاقتداء يُقصد به : « إتيان الثاني بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله »[٤]، أو هو بمعنى : « اتّباع الأثر في القول والفعل والسيرة » [٥] ، فقد ورد في تفسير قوله تعالى : << يهدون بأمرنا >> [الأنبياء : ٧٣] « أنّ من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ، ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها ، وأوّل ذلك أن يهتدي بنفسه ؛ لأنّ الانتفاع بهداه أعم ، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل » [٦] ؛ فحياة هؤلاء الأنبياء الفردية والاجتماعية بما تحويه من اعتقادات و سلوكيات ومناهج دعوة ، تعدّ ترجمة أو تطبيقاً واقعياً فاعلاً لهذا الدين الذي أنزله الله هدى ورحمة للعباد [٧]، قال

---

[١] انظر : ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ١٠ ، ص ٣٢٤ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٠٩ .

[٣] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٢٨ .

[٤] الرازي : التفسير الكبير ، مج ٧ ، جـ١٣ ، ص ٥٨ .

[٥] ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٥ ، ص ٢٧٤ .

[٦] الزمخشري : الكشاف ، جـ٣ ، ص ١٢٧ .

[٧] راجع : محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٨٠ / التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ٥٤٣-٥٤٤ / محمد المجذوب : نظرات تحليلية في القصة القرآنية ، ص ١٣ ، ١٦ ، ١٨-١٩.

تعالى :<< أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقْتَدِه ...>> [الأنعام : ٩٠] ، والخطاب هنا لمحمد – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين به من بعده ، وأولئك أي : الأنبياء الذين هداهم الله لدينه الحق ، وأهّلهم لحمل دعوته وهداية الناس إليه ، والاقتداء بهم : أي اتّخاذهم أسوة ومثالاً ونموذجاً فيما هديناهم إليه من الأقوال والأفعال والمناهج ، فهم المعصومون الهداة إلى الحق بإذن الله [1] ، « وأمْرُ النبي – صلى الله عليه وسلم – بالاقتداء بهداهم يؤذِن بأنّ الله زوى إليه كلّ فضيلة من فضائلهم ؛ لذا فقد كان الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – أعظم قدوة للناس ، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، جمع الله عز وجل له من الفضائل ما لم تجتمع بهذا الكم العظيم في غيره ، وهو صاحب الخُلُق الموصوف بالعظيم في قوله تعالى : << وإنك لعلى خلُق عظيم >> [القلم : ٤] ، ويشمل هداهم ما كان منه راجعاً إلى أصول الشرائع ، وما كان منه راجعاً إلى زكاء النفس وحسن الخلق والفضيلة » [2] ، وقد وردت آيات عديدة في القصص القرآني تصرّح بالاقتداء بالأنبياء كقوله تعالى : << قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيمَ والذين معه >> [الممتحنة: ٤] ، و قوله تعالى : << لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً >> [الأحزاب : ٢١] ، ومعنى أسوة حسنة : أي « قدوة صالحة » [3] .

٣- التثبيت :

قال تعالى : << وكُلاًّ نقصُّ عليك من أنباء الرُّسل ما نُثَبِّتُ به

[1] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٠٠ .

[2] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٥٦-٣٥٧ (بتصرف) .

[3] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٢٧٠ / وانظر ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ٤٠٦ .

فُـؤادَك ... >> [هود : ١٢٠] ، « والتثبيت حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل ... وتثبيت فؤاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – زيادة يقينه ومعلوماته بما وعده الله ؛ لأنّ كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيده تذكراً وعلماً بأن حاله جارٍ على سنن الأنبياء ، وازداد تذكرا بأنّ عاقبته النصر على أعدائه ، وتجدّد تسليةً على ما يلقاه من قومه من التكذيب وذلك يزيده صبراً ، والصبر تثبيت الفؤاد » [1] ، فقصص الأنبياء تعرض جانبا كبيراً من مراحل دعوتهم إلى الله ، وما صاحبها من مشاقّ وعوائق ، وتُبين صبرهم وجلدهم في مقارعة الباطل ودحضه ، فمن ذلك كفاح نوح – عليه السلام – مع قومه الذي دام تسعمائة وخمسين عاماً ، إذ قال تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين >> [العنكبوت : ١٤-١٥] ، فقد سلك نوح – عليه السلام – سبلا عديدة في دعوتهم إلى الهدى ودين الحق ، فصدوه وكابروا ودعوا إلى ضلالتهم ليصرفوا الناس عن دعوته ، فصبر وصمد ، وتوجه إلى ربه يشكوإليه حال قومه الكافرين : << قال ربِّ إنّي دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً . وإنّي كلما دعوتُهم لِتغفرَ لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً ... >> إلى آخر الآيات من سورة نوح ، التي تعرض صورةً لتجربةٍ مريرةٍ وجهدٍ مضنـي لنبي الله نوح – عليه السلام – ، تُعرض هنا على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – « وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان ، واضطلع بأكبر عبء كُلِّفه رسول .. يرى فيها ، صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل ، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض . ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ١٢، ص ١٩١-١٩٢ .

الحق ، وفساد القيادة الضالة وغلبتها على القيادة الراشدة ، ويرى مدى التشابه في نفسية وطبيعة الفئات المكذبة من أبناء البشر عبر التاريخ ، ثم إرادة الله في إرسال الرسل تترى بعد هذا العناد والضلال منذ فجر البشرية على يدي جدها نوح عليه السلام . وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة ، وعلى الأمة المسلمة بعامة ، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض ، وللمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة ، القائمة عليه في وسط الجاهلية المشتركة يومذاك ، وفي وسط كل جاهلية تالية .. ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني ، كما ترى فيها عناية الله بالقلة المؤمنة ، وإنجاءها من الهلاك الشامل في ذلك الحين »[١] ، فيثبت فؤاد المؤمن على الحق ، ولا ييأس حتى وإن تأخّر النصر ، لأنّه يعلم أنّ الدعوة إلى الحق والصلاح محفوفة بالمخاطر والعوائق ، وأنها من الممكن أن تؤدي إلى تثبيط الهمم وتسرّب اليأس ، فيستعلي بإيمانه على كل قوى الباطل ، فيصبر ويصمد اقتداء بمن سبقه من الأنبياء وأتباعهم المؤمنين ، فيجد في قصصهم المَعين الدائم للثبات والصبر في مواجهة الباطل .[٢]

٤ - التسلية والتسرية والتأنيس [٣] :

فقد كانت تساور الوحشة والضيق والغربة قلبَ محمد - صلى الله عليه وسلم - ؛ بما كان يلقاه من قومه ، من تكذيب وأذى واتهام بالسحر والجنون ، فجاء

---

[١] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٧٠٧ (بتصرف يسير) .

[٢] راجع : أبو الحسن الندوي : النبوة والأنبياء ، ص ١٢٤ / صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، جـ١ ، ص ٨ ، ٢٦٠ / زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ٢٩ /التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ٣١٢ ، ٣١٥ / منصور الرفاعي : أهداف القصة في القرآن الكريم ، ص ٣١ .

[٣] تَسْلِيَةُ وتَسْرِيَةُ الهَمّ تعني : كَشْفُهُ وإزالته ، والتأنيس من الأَنَس بفتح الألف والنون أو الأُنْس بضم الألف ، وتفيد خِلاف الوَحْشَة ، والطمأنينة . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣، ص ٢٠٨٥ ، ٢٠٠٢ ، جـ١ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

قصص الأنبياء في القرآن ليُسَرّيَ عنه ، ويُسَلِّيه ، ويؤنِسَهُ ، فيكشف عنه الوحشة والضيق ، فتطمئن نفسُه ويزول همُّه ، « فلا يُحْزنه مخالفة قومه عليه ، ويَأْنَس بسموّ أتباعه الذين قبلوا هداه واعتصموا من دينه بعراه » [1]، إذ إنّه ورد في هذه القصص أنه قد كُذِّب الرسل من قبله ، ووُجِّه إليهم القول نفسه والاتهامات نفسها ، فصبروا وصمدوا حتى جاءهم نصر الله << ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذِّبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأي المرسَلين >> [الأنعام : ٣٤] ، فهذه سنّة الله في الدعاة والمدعويين ، لا بد من تدافعٍ بين الحق والباطل ، فالمؤمن في كل زمان ومكان مُبتلى بسبب إيمانه بالله ودعوته إليه << وقال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانَهُ أتقتُلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم وإن يكُ كاذباً فعليه كَذِبهُ وإن يكُن صادقاً يُصبكُم بعض الذي يعدكم إنّ الله لا يهدي من هو مُسرِفٌ كذّاب >> [غافر : ٢٨] ، المقصود بالرجل الذي يقول ربي الله في مقولة مؤمن آل فرعون هو : موسى – عليه السلام – ، النبي الذي لاقى أشد العنت والطغيان من فرعون وملئه ، بل ولاقى أشد من ذلك « فلعلّ نبياً آخر لم يُمْتحَن بمثله ، وهو الصبر على أذى قومه وإعنات أتباعه من بني إسرائيل الذين آمنوا به وبرسالته ، وكثرة تمردهم وطول عنادهم وقسوة قلوبهم »[2]، وهم يُفترض فيهم العون والنصرة وكمال السمع والطاعة لنبيّهم ، خاصة وأنهم قد شاهدوا معجزات عظيمة على يد موسى –عليه السلام– ، ولكنّه الابتلاء من ربّ العالمين ؛ فإذن على المؤمن أن يتوقّع الأذى ، ويسلّي نفسه ويؤنسها ، بقصص الدعاة إلى الله من الأنبياء والصالحين ، ويتمثل قوله تعالى : << فاصبر كما صبر أولو العزم من

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ١٢، ص ١٩٢ (بتصرف يسير) .

[2] القرضاوي : الصبر في القرآن الكريم ، ص ٨٧–٨٨ (بتصرف يسير) .

الرسـل >> [الأحقاف : ٣٥] ، يتمثلها واقعاً فاعلاً في حياته ، فيتلمّس مواطن صبر الأنبيـاء ، ومنهجهم في ذلك ، لتغمر حياته الطمأنينة ، ويأنس بهذا الرصيد الضخم من تجارب أنبياء الله في الدعوة إلى الحق . [1]

---

[1] راجع : علي الحربي : منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، ص ١٥٢/ سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص١٨٤١ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣، ص ٣٣٢ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ص ٣١٤ / محمد قطب : دراسات قرآنية ، ص ٩٩ / منصور الرفاعي : أهداف القصة في القرآن الكريم ، ص ٣١ .

المبحث الثاني

خصائص أهداف القصص القرآني

إنّ اعتماد منهج الدعوة إلى العقيدة وسيلةَ القصة القرآنية ، لتحقيق أهدافه الدعوية المذكورة آنفاً ، كان له الأثر البارز في تميّز هذه الأهداف عن غيرها من أهداف منهج الدعوة إلى العقيدة في مجال الوسائل الدعوية الأخرى ، مما أكسبها خصائص عديدة ، سيرد بيانها في التالي :

أولاً : الرّبّانية :

يُقصد بها ربّانية مصادر استقاء أهداف القصص القرآني ؛ المُتمثّلة في القرآن الكريم أولاً ؛ فهو مصدر هذه القصص ، قال تعالى : << نحن نقصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ وإنْ كنتَ من قَبْلِه لمن الغافِلين >> [يوسف : ٣] ، ومن ثم ، كانت أولوية الاستقاء من خلال آيات القرآن المتعلّقة بالقصص القرآني ، ثم غيرها من المصادر الشرعية المعتبرة ، كالسنّة النبوية ، وتفسير بعض علماء أهل السنة والجماعة ، بحيث لا يخلو انتقاء أي هدف من مرجعية أو أصل عقدي يرجع إليه ، فبعض هذه الأهداف نصّ عليه القرآن حرفياً كقوله تعالى :<< وكُلاًّ نقصُّ عليك من أنباء الرُّسل ما نُثَبِّتُ به فُؤادَك ... >> [هود : ١٢٠] ، فكان التثبيت هدفاً ربانياً لإيراد القصص

القرآني ، ومثله هدف الاعتبار في قوله تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب... >> [يوسف : ١١١] ، وهكذا في بقية استقاء الأهداف التي وُسمت بالربانية نسبة إلى مرجعيتها العقدية المتمثلة في الكتاب والسنّة .

ثانياً : الصبغة الدينية :

أضفى القرآن الكريم على أهداف القصص القرآني صبغة دينية ظاهرة ، « فالقرآن الكريم الذي وردت فيه هذه القصص ، ليس كتاب قصص في أصله ، وإنما هو كتاب دين ودعوة وتربية وتوجيه ، ولكن الدقة في الأداء ، ومراعاة القواعد الفنية فيه ، يجعل القصة – مع خضوعها للغرض الديني – طليقة من الوجهة الفنية » [1]، فلا يحسُّ المرء بأي تكلّف أو تصنّع في هذه الصبغة الدينية بل جاءت إنسيابية طبيعية لأنها جانب لصيق بها ، وليس منفصلاً عنها ، فآيات القصص القرآني مبثوثة في ثنايا القرآن ، وليست منفصلة عنه ، فهي وسيلة من وسائل دعوته إلى هذا الدين وركن مكين من أركانه الدعوية ، فمثلاً آيات قصة موسى – عليه السلام – الواردة في سورة طه جاءت مبثوثة ضمن آيات السورة ، بل ومتناسقة مع سياقها ، حيث ابتدأت السورة بقوله تعالى : << طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلاّ تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى >> [طه : ١-٤] وخُتِمت بقوله تعالى : << قل كلٌّ متربّص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى >> [طه : ١٣٥] ؛ « إذ تبدأ هذه السورة وتختم خطاباً للرسول – صلى الله عليه وسلم – ببيان وظيفته وحدود تكاليفه .. إنها ليست شقوة تكتب عليه ، وليست عناءً يعذّب به ، إنما هي الدعوة والتذكرة ، وهي التبشير والإنذار ، وأمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيره ...

---

[1] محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٩٦ (بتصرف يسير) .

وبين المطلع والختام تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة [١]في قوله تعالى : << فلما أتاها نودي يا موسى . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ... >> [طه ١١-١٢] إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر[٢] قال تعالى : << فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي >> [طه : ٨٨] ، مفصلة مطولة ؛ وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى – عليه السلام – وموقف الجدل بين موسى وفرعون [٣] ... وتتجلى في غضون القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه واصطنعه لنفسه [٤]، وقال له ولأخيه : << لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى >> ... فكان هذا العرض لقصة موسى نموذجاً كاملا لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم لإبلاغ دعوته فلا يشقون بها وهم في رعايته »[٥] وهكذا تُعرض في القصة مشاهد النصر والتأييد والرعاية والتحدّي والإنذار لتصبّ جميعها في بوتقة واحدة وهي السياق العام الذي وردت فيه القصة وهوالسياق الديني للسورة المتضمن لما ورد فيها من أهداف دينية عقدية ودعوية وغيرها ، فتمثّل القصة لبِنة من لبِنات بناء السورة العام ، ومن ثم ، تكون ذات صبغة دينية ظاهرة ومتصلة بالسورة التي وردت فيها ، مع احتفاظها بالطابع القصصي الفني البارز في المشاهد والحوار وغيرها من متضمنات القصة .

---

[١] انظر الآيات من سورة طه من الآية ٩- ٣٦ .

[٢] انظر الآيات من سورة طه من الآية ٨٥ – ٩٨ .

[٣] انظر الآيات من سورة طه من الآية ٤٩- ٥٩ .

[٤] انظر الآيات من سورة طه من الآية ٣٨ – ٤١ .

[٥] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤، ص ٢٣٢٦- ٢٣٢٧ (بتصرف) .

ثالثاً : الشمولية :

فقد شملت هذه الأهداف :

أ- مجالي التصورات والممارسات ، في الحياة الإنسانية ، وهذا موضّح في تقسيم الأهداف المذكور آنفاً ، فالقصة تتناول المجال الاعتقادي المتمثل في التصورات إلى جانب المجال العملي والمتمثل في الممارسات ، وهذان المجالان لصيقان بعضهما ببعض ، إذ لا انفصال بين التصور والسلوك ، ومن ثم ، فالأهداف في كلا المجالين ، تفيد بعضها بعضاً ، فعلى سبيل المثال ، تحقيق هدف الاقتداء بالأنبياء ، يقتضي أولا الاعتقاد الجازم بصدق هؤلاء الأنبياء وأنهم يوحى إليهم ، وأنّ الله قد عصمهم ، ليكون الاقتداء بهم ذو فاعلية وتأثير ، فمن أعظم أسباب الاقتداء بالأنبياء أنهم يوحى إليهم قال تعالى : << وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيرات وإقامَ الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] و الأئمة هم « الرؤساء يُقتدى بهم في الخيرات ، وأعمال الطاعات ، بما أنزل عليهم من الوحي » [1] ، وهكذا فالأهداف وإن نالها التقسيم في مجالي التصوروالسلوك ، إلا أنها تبقى متكاملة مترابطة محقّقة للشمولية المطلوبة في بناء المسلم السوي المتكامل فكراً وسلوكاً .

ب- جانبي حياة الإنسان ، وهما الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، فما جاءت به هذه القصص من موضوعات يشمل تحقيق سعادة الدنيا والآخرة ، وهذا مُبيّن من خلال البيان السابق لموضوعات العقيدة الواردة فيها، إذ تمثّل الدنيا والآخرة ، « مرحلتان متكاملتان ، وشريعة الله هي التي تنسق بينهما في حياة الإنسان ، بما يتوافق مع أقدار الله في هذا الكون ، وهذا التناسق لا يؤجّل سعادة

---

[1] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤١٦ (بتصرف يسير) .

الناس إلى الآخرة ، بل يجعلها واقعة ومتحققة في المرحلة الأولى كذلك ، ثم تتم وتبلغ تمامها وكمالها في الدار الآخرة » [١] ، فالسعادة في معيار المؤمن لها صور متنوعة منها ما يتوافق مع صور السعادة الظاهرة من تمكين وسيادة ونصر وطمأنينة وسكينة قلب وغيرها ، ومنها ما لا يتوافق مع هذه الصور الظاهرة ، وهاتان الصورتان للسعادة واضحة في قصص الأنبياء ومن اتّبعهم من المؤمنين .

من ذلك نجاة نبيّ الله نوح – عليه السلام –ومن آمن معه من الطوفان الذي حلّ بالكفار من قومه قال تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناهـا آية للعالمين >> [العنكبوت : ١٤-١٥] .

ونصر الله لموسى – عليه السلام – وإغراقه لفرعون ، وتمكين بني إسرائيل في زمانهم وتفضيلهم على العالمين قال تعالى : << وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنعُ فرعون وقومه وما كانوا يعرشون >> [الأعراف : ١٣٧] والمقصود بالقوم في الآية هم بنو إسرائيل الذين استُضعِفوا بما كانوا يلاقونه من إذلال وامتهان بخدمتهم لفرعون وقومه ، فأورثهم الله في زمانهم مشارق الأرض ومغاربها ، وهي كما قيل مصر والشام ، وبارك لهم فيها بإخراج الزرع والثمار منها على أتم ما يكون وأنفع بسبب صبرهم [٢] .

وأما السعادة التي يوحي مظهرها بالألم أو الحزن والأسى ، ومخبرها في الحقيقة يحوي سعادة غامرة ، يسمو بها المرء سمواً رفيع القدّر، عظيم الدرجات

---

[١] سيد قطب : معالم في الطريق ، ص ١١٤ (بتصرف) .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٢١١ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٢٤٠ .

عند الله ، لأنّ منالها يتطلب مغالبة المكاره والشدائد ، وهي مثل السعادة التي نشدها سحرَةُ فرعون بعد أن آمنوا ، والتي تمثّلت في طلب تحقّق مغفرة الله لهم ورحمته ، مهما كانت التضحيات ، وقد كانوا من قبْل ينشدون السعادة في زخرف الحياة الدنيا وطلب السيادة والأجر فيها ، قال تعالى : << وجاءَ السحرَةُ فِرْعَوْنَ قالوا إنّ لنا لأجراً إنْ كُنّا نحن الغالِبين . قال نعم وإنّكم لَمِنَ المقرَّبِين >> [الأعراف : ١١٣-١١٤] فقد سألوا فرعون أن يجعل لهم جعلاً إن غلبوا موسى بسحرهم ، فأجابهم فرعون بتحقيق ما يطلبون من الأجر بالإضافة إلى تقريبهم إليه بوعدهم بالمناصب [1] ، ثم قال تعالى في بيان موقفهم من هذه الحياة الدنيا بعد أن آمنوا وواجههم فرعون بتهديده ووعيده : << قال آمنتُم له قبل أن آذنَ لكم إنّه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطّعنّ أيديكم وأرجُلَكم من خلافٍ ولأصلّبنكم في جذوع النخلِ ولَتعلَمُنّ أيّنا أشدُّ عذاباً وأبقى . قالوا لن نؤثِرَك على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنّا آمنا بربّنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خيرٌ وأبقى . إنّه من يأتِ ربّه مُجرِماً فإنّ له جهنم لا يموتُ فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى >> [طه : ٧١ - ٧٦] فقد هددهم فرعون بسبب تصديقهم لموسى - عليه السلام - واتباعهم إياه على دينه من غير إذن منه ، هددهم بقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ليكون إيذاؤهم بذلك أشد ؛ بُغية أن يتراجعوا عن إيمانهم ، ولكنهم أبوا أن يذعنوا لتهديد ووعيد فرعون ، واختاروا ما جاء به موسى - عليه السلام - من البيّنات الواضحة من عند الله سبحانه ، وأقسموا بالله على ذلك ، ولم يبالوا بما سيصنعه فرعون فيهم ، ليقينهم بأن هذا

[1] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٧ ، ص٢٥٨ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢١٠ .

النفوذ والسلطان لفرعون إنما هو في هذه الحياة الدنيا وهو ابتلاء لهم ، فصبروا ، واختاروا التضحية بأنفسهم في سبيل حفاظهم على إيمانهم بالله وتوحيده ، ودعوا الله أن يغفر لهم ما سلف من خطاياهم خاصة السحر الذي أكرههم فرعون عليه ، مع إيمانهم بأنّ جهنم جزاء لمن أجرم وكفر بالله ، وأنّ الجنّة لمن آمن وعمل الصالحات ، وهذه هي السعادة التي ينشدونها فهي خير وأبقى [1] .

رابعاً : الوِجْهَة العقدية التربوية :

إنّ هذه الأهداف تتناول بناء الإنسان فكراً وسلوكاً ، أي تصوراً وممارسة ، فقرّرت له من خلال القصة القرآنية العقيدةَ التي ينبغي أن يدين بها وما يتعلّق بها من مفاهيم وتصورات ، لتحقّق له الاستقامةَ الفكرية ، وأردفتها بنموذجٍ بشري متمثّلاً في الدعاة من الأنبياء ومن آمن بهم ، والذين تمثّلت فيهم هذه العقيدة واقعاً فاعلاً ، لتحقّق له الاستقامة السلوكية الفاعلة ، بالاقتداء بهم تصوراً وممارسةً ، فمن القيم العقدية التي برزَت خلال القصص القرآني ، ومثّلت ركيزة فكرية ضابطة لسلوكيات اجتماعية وأسرية كبيرة ، هي حقيقة الروابط بين الناس ، ففي قصة نوح – عليه السلام – نلمس موقف الأبوّة الحانية التي تربطه بابنه ، ففي أثناء الطوفان كان نوح يدعو ابنه للركوب معهم لينجو ولكنّ الابن يأبى ذلك قال تعالى : << وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ونادى نوحٌ ابنه وكان في معزلٍ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء قال لا عاصم اليومَ من أمر الله إلاّ من رَحِمَ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين >> [هود : ٤٢ – ٤٣] ، وبعد أن انتهى الطوفان ونجّى الله نوحاً ومن معه ، عاد نوح – عليه السلام – يطلب النجاة لابنه ، قال تعالى : << ونادى نوحٌ

---

[1] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وعدك الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين >> [هود : ٤٥] يستنجز نوح – عليه السلام – ربَّه وعده في نجاة أهله ، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء ، فجاءه الرد بالحقيقة ، فالأهل عند الله وفي دينه وميزانه – ليسوا قرابة الدّم ، إنما هم قرابة العقيدة ، وهذا الولد لم يكن مؤمناً ، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن ، قال تعالى : << قال يا نوحُ إنَّه ليس من أهلك إنَّه عَمَلٌ غيرُ صالح فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين >> [هود : ٤٦] ، فالقرابة الحقيقية إذن هي قرابة العقيدة ، وهي العروة التي تربط بين الأفراد ، فيؤوب حينئذ نوح – عليه السلام – إلى ربّه لاجئاً إليه ، مستعيذاً به ، طالباً غفرانه ورحمته : << قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين >>[هود : ٤٧] وأدركت رحمة الله نوحا تطمئن قلبه وتباركه هو والصالح من نسله ، فأما الاخرون فيمسهم عذاب أليم [1] : <<قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك وأمَمٌ سنُمتِّعُهُم ثمَّ يَمَسُّهُم منّا عذاب أليم >> [هود : ٤٨] فهنا كان المشهد مفعماً بالمشاعر والأحاسيس ذات القرابة المعهودة بين الناس ومنها قرابة الأبوة والبنوة ، ومن ثم ، لم يكن سلوك أو تصرف نوح – عليه السلام – في طلب نجاة ابنه مستغرباً في مثل هذا الموقف ، ولكن يأتي توجيه الله عزّ وجل لنوح وإرشاده في ثنايا القصة ليصحح تصور الرابطة الحقيقية التي ينبغي أن تربط بين الأفراد ، والتي يُعتدّ بها ، وهي رابطة العقيدة ، وفي المقابل نُسِفت رابطة النسب والقرابة ، ولم تغنِ من الله شيئاً ، وأب نوح إلى ربّه مستعيذاً من أن يسأل الله ما ليس له به علم ، طالبا مغفرته ورحمته ، فيُعرض التصور الصحيح في القصة والسلوك الذي يترتّب عليه ، ليكون لبنة في

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٤، ص ٥٤٨ – ٥٥١ .

بناء تربوي سليم للمسلم ، في منظومة قصصية فاعلة .

خامساً : الصلاحية الدائمة :

والمقصود بذلك صلاحية أهداف القصص القرآني في كل زمان ومكان ، بمعنى أنها أهداف ممتدّة طويلة المدى وثابتة ، وقد اكتسبت هذه السِمَة ، من كونها وحياً من عند الله عز وجل ، فمصدرها كما قلنا القرآن الكريم ، المحفوظ بحفظ الله << إنّا نحنُ نزّلنا الذكْر وإنّا له لحافظون >> [الحجر : ٩] ، والذي لا يصلح زمان ولا مكان إلا به ، فاكسب القصص القرآني هذه الصلاحية الدائمة لتكون من وسائله الدعوية الفاعلة في حياة الناس ، فلو انتقينا أي هدف من الأهداف المذكورة آنفاً ، لنبحث هذه الخاصية من خلاله ، كهدف : (التثبيت) مثلاً ، فإنّ الداعية إلى هذا الدين يحتاج لما يثبته على الحق ، ويشد من عزيمته ، ويقوي صبره ، لأنه معرّض للابتلاء ، فالمكاره والشدائد لا محالة من وقوعها ، فهذه سنّة الله في خلقه ، فالدنيا دار ابتلاء وامتحان ، قال تعالى : << الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ... >> [الملك : ٢] فالحياة دار ابتلاء وامتحان ، ليتميّز كلٌ بعمله إخلاصاً وصواباً ، ولكلٌ جزاؤه عند الله على ما قدم به من عمل[١] ، وقال تعالى في ابتلاء عباده المؤمنين : << أحَسِبَ النّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتَنون . ولقد فتنّا الذين من قبلهم فلَيَعلَمَنّ الله الذين صدقوا ولَيَعلَمنّ الكاذبين >> [العنكبوت : ٢-٣] فالناس لا يُتركون دون اختبار ولا ابتلاء فهذه سنّة الله في عباده ، والله عز وجل يَختبِر مؤمني هذه الأمة ، كما اختبَر من قبلهم من الأمم ، ليتميّز حملة هذا الدين صادقهم من كاذبهم [٢]، إذ لا استمرارية

---

[١] انظر : وهبة الزحيلي : التفسير الوجيز ، ص ٥٦٣ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣، ص ٣٤٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ١٩٢ .

ولا ثبات في الدعوة إلى الله إلاّ للصادقين ، الذين نجد لهم أمثلة واقعية في أنبياء الله ، الذي قصّ قصصهم في القرآن ، فقد كانوا نماذج واقعية صادقة في الثبات على الحق ، والصبر والصمود في مقارعة الباطل ، قال تعالى مخاطباً نبيّه – صلى الله عليه وسلم – وأمته من بعده : <<فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ... >> [الأحقاف : ٣٥] ، ففي صبرهم وثباتهم قدوة صالحة لأي زمان ومكان ، وبذلك كان هدف التثبيت من ورود قصصهم في القرآن ذا فاعلية وصلاحية دائمة .

الفصل الثاني

خصائص الموضوعات

المبحث الأول : موضوعات القصص القرآني .

المبحث الثاني : خصائص موضوعات العقيدة في القصص القرآني .

المبـــحـــث الأول

موضوعات القصص القرآني

إنّ مجال البحث في موضوعات القصص القرآني وتنوّعها واسع جداً ؛ لذا سيكون الحديث عنه في هذا المبحث مقتضباً موجَزاً ؛ بُغية شمولية الاطلاع على هذا الجانب المهم في القصص القرآني ، فبالرغم من أهمية الموضوعات العقدية التي كانت محور البحث في هذه الرسالة ، إلاّ أنّ هناك تنوّعاً بارزاً في إيراد الموضوعات الأخرى في القصص القرآني ، بحيث يمثل الموضوع الإطار العام أو الوجهة العامة التي تحوي القصة القرآنية ، وتكون منهجية دراسته منضبطة بهذا الإطار بحيث يكون استنباط الأهداف واستخلاص المحتوى والأساليب وغيرها خاضعاً لهذه الوجهة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ... إلخ ، وسيُبيّن هذا المبحث أبرز هذه الموضوعات :

١- الموضوعات العقدية :

وهي تعدّ القاعدة العامة لجميع موضوعات القصص القرآني ، فلا تخلو قصة في القرآن من موضوع عقدي تقوم عليه ، والذي يمثّل الأصل العقدي الذي تدور أحداث القصة حوله ، وبيان هذه الموضوعات جاء مفصلاً ضمن التمهيد الذي ورد

فيه ذكر أبرز موضوعات العقيدة الإسلامية في القصص القرآني [1] ، وقد بُحث ضمن المنهج الدعوي العقدي ، بمعنى استخلاص موضوعات العقيدة التي وردت في قصص أولي العزم من الرسل ، من منظور دعوي ، وقد كان إيرادها هناك ضمن مجال أركان الإيمان الستّة ، التي تتضمنها العقيدة الإسلامية وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشرّه ؛ بُغية التوطئة العامة لجميع أبواب الرسالة وفصولها ، لكون هذه الموضوعات قاعدة لاستخلاص الخصائص والضوابط والنتائج التربوية ، فكان إيرادها ضمن التمهيد مناسباً للتدرّج المراد في هيكلية الخطّة المُتّبعة في البحث ، وبالرّغم من أهمية هذه الموضوعات العقدية في القصص القرآني ، بحيث أُفرِد لها باباً مستقلاً ، إلاّ أنّ القصص القرآني لا تعدِم ورود موضوعات أُخَر فيها ، كان لها دورها وأثرها في توجيه القصة القرآنية الوجهة العامة التي تكون قيد الدراسة والبحث ، كما سنرى ذلك من خلال إيراد الشواهد على تنوّع المواضيع الواردة في القصص القرآني في هذا المبحث .

٢ - الموضوعات الدعوية :

يُقصد بها القضايا المتعلّقة بأساليب الدعوة وطرائقها ، أي الجانب المنهجي في الدعوة ، وذلك بدراسة الأساليب والوسائل الدعوية في القصص القرآني ، فكل نبي كانت له طريقته وأسلوبه في مخاطبة قومه ، فمنهم من اشتهر باللين والرفق كإبراهيم – عليه السلام – فأساليب مخاطبته لقومه أو لأبيه برز فيها هذا الجانب بوضوح ، ففي سورة مريم مثلاً كلما دعا أباه للتوحيد كان يبدأ بقوله : « يا أبتِ » ، قال تعالى : « واذكر في الكتاب إبراهيمَ إنّه كان صديقاً

---

[1] ورد ذكرها في التمهيد من ص ٣٥– ١٤١ .

نبيّاً. إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبُدُ ما لا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغني عنك شيئاً . يا أبتِ إنّي قد جاءني منَ العلمِ ما لم يأتِكَ فاتّبِعني أهدِكَ صراطاً سوياً .يا أبتِ لا تعبُدِ الشيطانَ إنَّ الشيطانَ كان للرّحمن عَصِياً . يا أبتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ مِنَ الرّحمن فتكونَ للشيطانِ ولياً >> [مريم: ٤١-٤٤] فكان نداؤه بـ:« يا أبتِ » وتكراره له متضمناً لمعاني الرفق واللين والحرص على استمالة قلب أبيه للهدى [١]، ومن أبرز قصص أولي العزم من الرسل التي حوت طرائق الدعوة ومتعلقاتها قصة نوح – عليه السلام – فقد سلك مع قومه شتي الأساليب والسبل في دعوتهم للتوحيد ، قال تعالى : << قال ربُّ إنّي دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً . وإنّي كلما دعوتُهُم لِتغفِرَ لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً . ثمَّ إنّي دعوتهم جهاراً . ثمَّ إنّي أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً . فقلتُ استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً >> [نوح : ٥-١٠] فقد كان نوح – عليه السلام – مستغلا لجميع الأوقات في الدعوة ، من ليل ونهار [٢] ، يجهر بالدعوة تارة ، ويسرّ بها أخرى ، ويزاوج بينهما تارة [٣]، مرغباً لهم في رحمة الله وفضله وجزيل ثوابه لمن آمن ، ومرهباً لهم من عذاب الله وغضبه لمن كفر[٤]، منوّعا في أسلوبه بين الحوار والمجادلة والتحدي واللين واللطف والتسامح [٥] ، ويدعو الجميع فقيرهم وغنيّهم ، ويتحرى أماكن

---

[١] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٣٣٦ .

[٢] انظر : تفسير (الآية ٥ : سورة نوح) ابن كثير: تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٧١ / فضل عباس : القصص القرآني ، ص ٨٩ .

[٣] انظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٧١ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٧١٢ (تفسير : سورة نوح : الآيات من ٨ – ٩) .

[٤] انظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٧١ (تفسير سورة نوح الآيات من ١٠– ٢٠) .

[٥] انظر: سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٣ ، ص١٣٠٨ – ١٣٠٩ (تفسير آية ٥٩ من سورة الأعراف).

تجمّعهم [1]، ولا يغفل عن دعوتهم في بيوتهم [2]كذلك ، وهناك الكثير من الفوائد الدعوية التي يمكن استنباطها من هذه القصة [3] أو من غيرها ، في إطار الدعوة ، بحيث يكون منهج الدعوة هو المقصود من الدراسة والبحث ، فتأخذ القصة القرآنية المسار الدعوي أو الوجهة الدعوية في تناول موضوعاتها .

٣- الموضوعات الجهادية :

والمقصود بها هنا الموضوعات التي تتناول مجال القتال في سبيل الله [4] ، كذكر الغزوات في القرآن الكريم وما جرى فيها من أحداث ، من أبرزها ذكر غزوة بدر الكبرى والتي جاء تفصيلها في سورة الأنفال ، قال تعالى : << ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين >> [الأنفال : ١] إلى قوله تعالى : << إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ... إلخ الآية >> [الأنفال : ٧٢] فبين هاتين الآيتين ورد ذكر آيات كثيرة تتعلّق بهذه الغزوة منها ما يتعلّق بتوزيع الأنفال ، ومنها ما يتعلّق باستغاثة المسلمين بالله ، فأمدهم بألف من الملائكة مردفين ، وذكر عوامل

---

[1] فقد جاء في تفسير الآية : << يا قوم إن كان كبُر عليكم مقامي >> [يونس : ٧١] إن كان كبر عليكم قيامي بالوعظ في مواطن اجتماعكم (انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٤٦٢) .

[2] إذ قد ورد في تفسير الآية : << وأسررت لكم إسرارا>> [نوح : ٩] أتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها (انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٥ ، ص ٢٩٧) .

[3] راجع : زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ٣٢، ٣٥ ، ٣٨ .

[4] راجع : عبدالله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ١ ، ص ٤٩ (إذ هناك تعريف شامل للجهاد في سبيل الله ذكره المؤلف وهو : « بذل الوسع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق » نقلا عن ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ١٠ ، ص١٩١ ، وهذا يشمل القتال في سبيل الله وغيره من أنواع الجهاد كجهاد النفس في طاعة الله بامتثال المأمور واجتناب النواهي ، وجهاد الدعوة باللسان وغيره ... إلخ (انظر : موضوع أنواع الجهاد :عبدالله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ١ ، ص ٢٧٣- ٥٣٧) .

النصر والهزيمةوغيرها من الأحداث الخاصة بمجريات الغزوة ، بحيث عُرضت قصة غزوة بدر في مجال جهادي بارز ، أكسبها الطابع الجهادي مع عدم خلوها من موضوعات عقدية وتربوية ودعوية وغيرها من الموضوعات ، وهكذا باقي الغزوات المذكورة في القرآن كغزوة أحد التي جاءت معظم تفصيلاتها في سورة آل عمران [1] ، وغزوة الخندق (الأحزاب) الوارد ذكر أحداثها في سورة الأحزاب [2]، والتي وُصِفت بعض مشاهدها وصفاً دقيقاً كقوله تعالى : << إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا >> [الأحزاب : ١٠-١١] إذ « قد جاءهم من أعلى الوادي أي من فوقهم الأحزاب وهم قريش وحلفاؤها من بني سليم وكنانة وغطفان وغيرها ، ومن أسفل الوادي جاءت بنو قريضة ، حينئذ شخصت الأبصار دهشاً من فرط الهول والحيرة ، وارتفعت القلوب عن مكانها ، ووصلت من الفزع والخوف إلى الحناجر، وهو على طريق المبالغة ، فقد أصاب المسلمين زلزال شديد وبلاء عظيم ، ولكن الإيمان العميق والتربية الدقيقة جعلت المسلمين يصمدون أمام سائر هذه الأخطار » [3] ، فتعرض الأحداث في قالب جهادي بارز ، ذي أثر واضح في توجيه تفصيلات الحدث وجهة جهادية ظاهرة ، وكما قلنا لا تخلو من جوانب تربوية وعقدية ودعوية وغيرها من الجوانب التي يمكن استنباطها من الآيات التي تقصّ أحداث الغزوة وكأنها على مرأى من السامع .

---

[1] انظر الآيات : ١٢١ - ١٢٨ ، ١٣٧- ١٦١ ، ١٦٤ - ١٧٩ .

[2] انظر : سورة الأحزاب الآيات من : ٩- ٢٧ .

[3] أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٤٢٨ (بتصرف) / وانظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٥٠ .

٤ - الموضوعات الاجتماعية : وأبرزها :

أ- المتعلقة بتقسيم طبقات المجتمع :

برز في قصة نوح - عليه السلام - الظلم الاجتماعي في تقسيم المجتمع إلى طبقتين ، قال تعالى : << **فقال الملأ** من قومه ما نراك إلاّ بشراً مثلنا وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم **أراذلنا** بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضلٍ بل نظنُّكم كاذبين >> [هود : ٢٧] فقد قُسِّم المجتمع عندهم إلى طبقة الملأ وهم الأغنياء وأشراف القوم ، وطبقة الأراذل وهم الفقراء من القوم والذين لا حسب لهم ، أي أقلهم جاهاً ومالا ، وقد كان هذا التقسيم من الطعون التي واجه فيها الملأ رسالة نوح - عليه السلام - فيمن اتّبعه من القوم ، والرذالة : الخسّة والذلة ، وقد استرذلوهم لقلة أموالهم وجاههم ، أو لاتّضاع أنسابهم ، وقيل : كانوا من أهل الصناعات الخسيسة [1] ، وهنا نلمس مدى اختلال المعايير والقيم في تقسيم أفراد المجتمع ، إذ الحقيقة أنّ قيم ومعايير الرفعة والمكانة لا تعتمد على المال والجاه في معيار الدين الحق ، بل تعتمد على الإيمان بالله وتوحيده وتحقيق منهجه في واقع الحياة والتي تثمر أخلاقاً وفضائل ومثلاً عليا ترقى المجتمعات بها وتسمو ، فلا تفاضل حينئذ بين أفرادها إلا بالتقوى ، وهذا الذي جاء به رُسل الله - عز وجل - ومنهم نوح -عليه السلام - ، الذي فشا الظلم الاجتماعي الطبقي في قومه ، فجادل وحاور قومه حول هذا الأمر ليعالجه في مسيرته الدعوية لتوحيد الله وتحقيق عبودية الله وحده لا شريك له ، والتي يتبعها تصحيح القيم والمعايير في المجتمعات . [2]

---

(١) انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٨٨ ، ٤٨٦ .

(٢) راجع : زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ١٠ ، ٣١ - ٣٤ .

ب – المتعلقة بالعلاقات الأسرية :

سواء علاقة البنوّة ، كما في قصة نوح عليه السلام – وابنه الكافر ، فقد كان نوح – عليه السلام – شديد الحرص في دعوة ابنه إلى توحيد الله ، حتى في أشد حالات الهول الإنساني ، حالة الطوفان ، وهو يغمر الأرض في موج كأنه الجبال من علـوه وعظمـه ؛ ولكن حنـوالأبـوة وعطفهـا لـم يُنسِ نوح ابنَه [1] قال تعالى : << وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ونادى نوحٌ ابنه وكان في معزلٍ يا بنيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء قال لا عاصم اليومَ من أمر الله إلاّ من رَحِمَ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين >> [هود : ٤٢ -٤٣] ، فالقصص القرآني صوّرت العلاقات الإنسانية في أبلغ صورها ، وأصعب مواقفها ، فأي موقف أصعب من موقف الطوفان وهو يغشى الأرض ، ولكنه هو النبي الحنون الرؤوف – نوح عليه السلام – ، الحريص على هداية ابنه .

وأمّا علاقة الأبوة فواضحة جليّة في دعوة إبراهيم – عليه السلام – لأبيه آزر ، وحرصه على أن يترك عبادة الأصنام ويوحّد الله ، ورغم صدّوده ورفضه للتوحيد ، إلا أنّ إبراهيم – عليه السلام – كان يعامله معاملة الابن البار الرفيق بأبيه ، الرحيم به ، قال تعالى : << واذكر في الكتاب إبراهيمَ إنّه كان صديقاً نبيّا. إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغني عنك شيئاً . يا أبتِ إنّي قد جاءني منَ العلمِ ما لم يأتِكَ فاتَّبِعني أهدِكَ صراطاً سوياً .يا أبتِ لا تعبُدِ الشيطانَ إنّ الشيطانَ كان للرّحمن عَصِياً . يا أبتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ مِنَ الرَّحمن فتكونَ للشيطانِ ولياً . قال أراغب أنتَ عن آلهتي يا إبراهيمُ لإنْ لم تَنْتَهِ

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٨٥ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٩٠.

لأرْجُمَنَّكَ واهجُرني ملياً . قال سلامٌ عليك سأستغفِرُ لكَ ربي إنّه كانَ بي حَفِياً . وأعْتَزِلُكُم وما تدعونَ من دون اللهِ وأدعوا ربي عسى ألاّ أكونَ بدعاءِ ربي شَقِياً >> [مريم : ٤١-٤٨] « فقد أورد إبراهيم - عليه السلام - في هذه الآيات الدلائل والنصائح على أبيه ، وصدّر كلا منها بالنداء بـ« يا أبتِ » المتضمن للرفق واللين استمالةً لقلبه ، وامتثالاً لأمر ربه ، ولكنّ آزر قابلها بالغلظة والفظاظة والقسوة ، ورغم ذلك قابله إبراهيم - عليه السلام - بالرفق واللين فكان يدعو له بالمغفرة تألفا له وطمعا في لينه وذهاب قسوته ، وكان هذا الوعد منه بطلب المغفرة له قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر ، وتحق عليه الكلمة إذ تبرّأ منه كما قال تعالى : << وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم >> [التوبة : ١١٤] » [1] فكان هذا التبرؤ تأكيداً على أنّ الآصرة الحقيقية هي آصرة العقيدة وما سواها إنما هي أعراض دنيوية فانية ، والمتوسع في بحث دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأبيه سيجد زخماً كبيراً من المفهومات الدعوية الأسرية هذا ليس مقام بحثها .

وأمّا **علاقة الأمومة** ، فنجدها في قصة موسى - عليه السلام - مع أمّه ، يوم أن ولَدت به ، وكان قد أمر فرعون الطاغية بقتل جميع الأولاد الذكورفي تلك السنة ، فألهمها الله بأن تضع ابنها في تابوت وتلقيه في النهر ، فأوصل سريانُ النهرِ بأمر الله التابوتَ إلى امرأة فرعون ، فأخذته ورجت فرعون أن يبقيه فلا يقتله ، وتربى في دار فرعون ، وردّه الله بعد ذلك إلى أمه وهو رضيع ؛ إذ لم يجعله الله يتقبّل الرضاعة من المرضعات إلى أن جاءته أمّه في هيئة مُرضعة فرضع منها ، وجمع الله بينها وبين وليدها كما وعدها - عزّ وجل - قال تعالى : << وأوحينا إلى أم موسى أنْ أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ

[1] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٣٣٦ (بتصرف يسير) .

ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين .فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين .وقالت امرأة فرعون قرّةُ عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون .وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصُرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حقٌّ ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون >> [القصص: ٧-١٣] وهكذا تدور أحداث هذه الحلقة من قصّة موسى – عليه السلام – في محيط أسري مفعم بالأمومة الحانية الرحيمة ، الخائفة على وليدها من بطش فرعون ، فتأتيها رحمة الله في صورة وحي إلهي رجّح العلماء كونه إلهاماً ، بإلقاء الرضيع في النهر، وهو أمر صعب ومؤلم بالنسبة للأم الرؤوم ، فكيف لها أن تفعل ذلك بابنها ، وكيف تأمن له السلامة في هذه المخافة ، ولكنّه أمر الله عز وجل وقضاؤه الذي فيه النجاة والتمكين لموسى – عليه السلام – ، ويصبح فؤادها خاليا من كل شيء سوى ابنها ، فلا عقل ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف ، وتتنزّل رحمة الله عليها ، فيربط على قلبها ويثبتها ، لتكون من المؤمنين [١] ، معاني إيمانية عظيمة من تثبيت وإيمان وتحقّق وعد الله وتدبير الله لقدره ، وعجيب قضائه في أن يربي فرعونُ عدوَّه الذي سيزلزل أركان عرشه ، كل هذه المعاني وغيرها تلفها حلقة قصصية في جوّ أسري يربط بين موسى الرضيع وبين أمه الرؤوم ، ليتفاعل المرء بواقعية الأسرة وما تحويه من مشاعر وأحاسيس بشرية ضمن قصة موسى عليه السلام ذات الحلقات القصصية الطويلة .

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٨ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ٢٠ ، ص ٧٣ – ٨٦ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥، ص ٢٦٨٠ .

ويمرّ معنا من الموضوعات الأسرية كذلك ، نكاح موسى – عليه السلام – من إحدى ابنتي الشيخ الكبير وقد « ذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود بالشيخ الكبير هو شعيب – عليه السلام – »[1] ، قال تعالى : << ولما ورد ماء مديَن وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا فلمّا جاءَه وقصَّ عليه القصص قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين . قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين . قال إنّي أريد أن أُنكِحَك إحدى ابنتَي هاتين على أن تأجُرَني ثمانيَ حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشقَّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيّما الأجليَن قضيتُ فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل >> [القصص : ٢٣-٢٨] ، فهذه الحلقة من قصة موسى تحوي مشاهد نبل وأمانة موسى – عليه السلام – ، وعفّة وطهارة وأدب ابنتي شعيب ، ويسر تزويجه لاحدى ابنتيه من موسى – عليه السلام – ، وعدم تحرّجه أو خجله من عرض تزويج ابنته من موسى –عليه السلام – ، فهو يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يخجل ، أو يدعو إلى التحرج والتردد ، فقد وجد في موسى – عليه السلام – من صفات القوة والأمانة ما يؤهله لبناء الأسرة السليمة الصالحة ، فعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين ، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به [2] ، وفيه

---

[1] الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ١٦٨(بتصرف يسير) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠. فقد علّق على ذلك بقوله (وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء).

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠. / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥، ص ٢٦٨٨ .

كذلك مشاهد تتناول ضوابط خروج المرأة للعمل ، منها « طبيعة العمل ، فلا مزاحمة مع الرجال ، ولا اختلاط بهم << حتى يصدر الرعاء >> ، والباعث إلى العمل فقد كانتا في حاجة له لأنّ أباهما كان شيخاً كبيراً لا يقوى على الرعي << وأبونا شيخ كبير >> » [1] .

ولا تخفى المعاني الأسرية الإيمانية في نذر امرأة عمران ما في بطنها أن يكون محرراً خالصاً لله- عز وجل -مفرغاً للعبادة لخدمة المسجد [2] ، طاعة لله وطلباً لمرضاته ، قال تعالى : << إذ قالت امرأة عمران ربِّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنّك أنت العزيز العليم . فلمّا وضعتها قالت ربِّ إنّي وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذّكر كالأنثى وإنّي سميتها مريم وإنّي أعيذها بك وذرِّيَّتَها من الشيطان الرّجيم >> [آل عمران : ٣٥-٣٦] ، فولدت بمريم ابنة عمران العفيفة الطاهرة الصديقة والتي اصطفاها الله عز وجل لتكون أماً لنبي الله عيسى - عليه السلام -وجعلها وابنها آية للعالمين ، وقصة حملها وولادتها به - عليه السلام - وغيرها من المعاني الاجتماعية الخاصة بالحمل والولادة كثير زخرت به آيات سورة مريم خاصة ، قال تعالى : << واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً . قالت إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسولُ ربّك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغياً . قال كذلكِ قال ربّك هو عليَّ هيّنٌ ولِنَجْعَلَه آيةً للناس ورحمةً منّا وكان أمراً مقضياً . فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فأجاءها المخاض إلى جذع

---

[1] هاشم محمد علي : سلسلة المناهج (في الفرد والأسرة والمجتمع) ، جـ٤ ، ص ٥٣ (بتصرف يسير) .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٠٩ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٦٨ .

النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربّك تحتكِ سرياً . وهُزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلي واشربي وقرّي عيناً فإمّا تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي إنّي نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسياً ... إلى آخر آيات القصة >> [مريم: ١٦ – ٢٦] فالآيات السابقة فيها مجال واسع لاستخلاص معاني الحياء و العفة والستر والتربية الصالحة ، ثم معاني الاستسلام لقضاء الله وأمره بأن تكون أماً لنبي الله عيسى – عليه السلام – دون أب ، فتواجه به قومها وهي مدركة لهول الفضيحة التي سيرمونها بها [١] ، مشاهد كثيرة ذات دلالات أسرية إيمانية تربوية لا يسع المقام لتفصيلها هنا .

٥- الموضوعات السياسية :

أبرزها الطغيان السياسي الذي عانى منه بنو إسرائيل ، فقد سامهم فرعون سوء العذاب ، كان يذبّح أبناءهم ويستحي نساءهم ، قال تعالى : << إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّه كان من المفسدين >> [القصص : ٤] وعلا فرعون أي « تكبّر وتجبّر بسلطانه ، وادعى الربوبية ، واستعبد أهلها ، وجعلهم فرقاً ذات نزعات تتشيع كل فرقة إليه وتعادي الفرقة الأخرى ؛ ليتم لهم ضرب بعضهم ببعض ، والطائفة المُستضعَفة هي طائفة بني إسرائيل ، فكان يعدّهم ضعفاء ، أذلة ، ويسومهم العذاب ، ويُسخّرهم لضرب اللَّبِن وللأعمال الشاقة ، وكان يأمر بذبح الأبناء وهم الذكور من الأطفال ، ومن أهدافه في ذلك أنْ لا يبقي في بني إسرائيل قوة من رجال قبيلتهم حتى يكون النفوذ لقومه خاصة ، وكان يستحيي النساء ، أي

---

[١] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٣٠٥ – ٢٣٠٧ .

يستبقي حياة الإناث من الأطفال ، وكان احتقارهن بصد قومه عن التزوج بهن ، فيدفعهن بذلك للبغاء » [١] ، فقد كان فرعون مستبداً ظالماً مغروراً بسلطانه ، وزاده غروراً وبطشاً خضوع من حوله له ، خاصة الملأ من قومه ، لذا فقد أصّر على كفره وطغيانه أزاء دعوة موسى – عليه السلام – ، فما وصل إليه من طغيانٍ أعمى بصرَه وبصيرته عن الحق ، بل وأعمى بصيرته عن الإنسانية والرحمة فكان مثالاً للحاكم المُستبد المتكبّر الذي لا يرى إلا نفسه ومنافعه لدرجة أن ادعى الربوبية ، وأنه هو الإله قال تعالى : << وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من إله غيري ... >> [القصص : ٣٨] هنا « أراد فرعون أن يثبتهم على عقيدة إلهيته إبطالاً لقول موسى المحكي في سورة الشعراء << قال ربكم وربّ آبائكم الأولين >> ... والمراد بنفي علمه بذلك نفي وجود إله غيره بطريق الكناية يريهم أنه أحاط علمه بكل شيء حقّ فلو كان ثمة إله غيره لعلمه ... فقد كان فرعون هو مظهر الآلهة المزعومة عندهم لأنه في اعتقادهم ابن الآلهة وخلاصة سرّهم »[٢] ، فكان الظلم السياسي واضحاً ظاهراً في قصة موسى – عليه السلام –بالإضافة إلى الظلم الاجتماعي ، بل إنّ مما أرسل به موسى – عليه السلام – إلي جانب دعوة فرعون إلى توحيد الله عز وجل ، تخليص بني إسرائيل من طغيانه ، قال تعالى : << فأتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربّ العالمين . أنْ أرسِل معنا بني إسرائيل >> [الشعراء : ١٦-١٧] أي « أطلقهم من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فإنهم عباد الله المؤمنون »[٣] ، ومن ثمَّ ، دراسة قصة موسى – عليه السلام – في إطار الوجهة السياسية زاخرة بالشواهد الكثيرة سواء المتعلقة بفرعون وملئه ، أو

---

[١] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ٦٦ – ٧٠ (بتصرف) / وانظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٠٦ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ١٢١-١٢٢ (بتصرف يسير) .

[٣] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٢٨٥ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٨٠ .

بني إسرائيل ، سواء في جانب المحتوى أو الأهداف أو الأساليب وغيرها من الجوانب المنهجية في الدراسة .[1]

٦ - الموضوعات التعليمية :

والمقصود بها كل ما تعلّق بالعلم أو طلبه أو مدارسته ، وأبرز ما ورد في قصص أولي العزم من الرسل حول هذا الموضوع هو قصة موسى والخَضِر - عليهما السلام - الواردة في سورة الكهف من قوله تعالى : << وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً >> [الكهف : ٦٠] إلى قوله تعالى : << وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربّك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا >> [الكهف : ٨٢] ، وقد وردت أحاديث نبوية عديدة حول هذه القصة ، منها ما روي « عن ابن عبّاس : أنّه تمارى هو والحرّ بن قيس الفَزَاري في صاحب موسى ، قال ابن عبّاس : هو خَضِرٌ ، فمرّ بهما أبي بن كعب ، فدعاه ابن عبّاس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى ، الذي سأل موسى السبيلَ إلى لُقِيِّه ، هل سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يذكر شأنه ؟ قال : نعم ، سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « بينما موسى في ملأٍ من بني إسرائيل ، جاءه رجل فقال : هل تعلمُ أحداً أعْلَمَ منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى ، عبدُنا خَضِرٌ ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل اللهُ الحوتَ آيةً ، وقيل له : إذا فقدتَ الحوتَ فارجِع ، فإنّك ستلقاهُ ، وكان يتّبع أثر الحوت في البحر ، فقال لموسى فتاهُ : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ؟ فإنّي نسيت الحوتَ ، وما أنسانيهُ إلاّ الشيطانُ أن أذكُرَه . قال : ذلك ما كنّا نبغي ، فارتدّا على

---

[1] راجع : زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ١١ ، ١٤١ - ١٤٦ .

آثارهما قصصا ، فوجدا خَضِراً ، فكان من شأنهما الذي قصَّ اللهُ – عز وجل – في كتابه » [١] ، فإذن كان سبب طلب موسى لقاء الخضر هو أن يتعلّم مما علّمه الله إياه من العلم ، فرحل في سبيل ذلك مع فتاه حتى يسّر الله لقاءه بالخضر ولم تخلُ الرحلة من مشقات وتعب ، أثبت فيها موسى – عليه السلام – صبراً وجلداً في تحقيق مبتغاه من طلب العلم ، ثم ما تبع ذكره من أحداث القصة وكيفية عرض موسى طلبه على الخضر وتأدبه في ذلك ، ثم مصاحبته للخضر وما دار بينهما من حوارات حول ما لقياه من أحداث ، موضع تفصيلها ما ورد في آيات القصة في سورة الكهف وما حوته من مضامين ذكرت في كتب التفسير [٢]، وقد ورد في الفتح دلالات تربوية علمية كثيرة حول هذا الحديث ، خاصة ما تعلّق منها بالرحلة في طلب العلم ، والحرص عليها ، وفضيله طلب العلم ، والتأدب في طلبه ، وآداب الصحبة والسفر وغيرها من الدلالات المتعلّقة بموضوع العلم والتعليم ومتعلقاتهما التي شملتها قصة موسى والخضر – عليهما السلام – [٣] . [٤]

٧- موضوعات أخرى :

هناك بعض الموضوعات التي كان لها بروزاً في غير قصص أولي العزم من الرسل ، والتي استلزم المقام هنا الإشارة إلى أبرزها ولو بصورة مقتضبة جداً ، مثل الموضوعات الأخلاقية ، والتي برزت في قصة لوط – عليه السلام – ، فقد عرضت القصة لقضية انحراف الرجال عن الفطرة السليمة التي فطر الله

---

[١] البخاري : صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٤٠ ، كتاب العلم ، باب (١٦) ، ح ٧٤ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٨٢ – ٨٨ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ١٥ ، ص ٣٥٨ – ٣٧٨ ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٥ – ١٦ .

[٣] انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ٨ ، ص ٤٢٢ .

[٤] راجع : صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، جـ٢ ، ص ١٦٧ – ١٧٠ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤ / محمد المجذوب : نظرات تحليلية في القصة القرآنية ، ص ١٨٣ – ١٩٧ .

عليها كلاً من الرجل والمرأة في قضاء الشهوة ، قال تعالى : << ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لَتَأتون الرِّجالَ شَهوةً من دون النساء بل أنتم قومٌ مُسرِفون >> [الأعراف : ٨٠-٨١] بمعنى أنهم كانوا يمارسون فاحشة اللواط التي لم يفعلها أحد قبلهم ؛ إذ لم تكن في أمة من الأمم قبلهم [1]، فجاءت القصة لتبيّن الانحراف الأخلاقي ، وتبيّن عواقبه وآثاره السلبية التي تقع على الجماعة الضالة [2] .

و الموضوعات الاقتصادية وسأذكر منها أبرز نموذجين ، وهما :

– المعاملات المالية التي برزت في قصة شعيب – عليه السلام – بإثارة مسألة التطفيف في المكيال والميزان ، وما ينبغي أن يكون فيها من أمانة وعدل ، مبرزة العواقب الوخيمة المترتبة على هذا الغش ، فالأخلاق تعم جميع معاملات الإنسان في حياته ولا انفصال فيها بين الدين والدنيا [3]، قال تعالى : << وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط >> [هود : ٨٤] فقد دعاهم إلى« عبادة الله وحده لا شريك له ، ناهياً لهم عن الغش في المكيال والميزان إذ كانوا يُنقصون المشتري أو البائع حقه باستعمال مكيال أو عيار ناقص ، أو زائد عن المعروف ، وغيرها من طرق الغش ، إذ كانوا لا يوفون في كيلهم وميزانهم ، وهذا فيه معصية لله وإضرار لعباده ، وقد أنعم الله عليهم

---

[1] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٠٥ .

[2] راجع : زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ٧٧ – ٧٨ / وانظر آيات قصة لوط – عليه السلام في سورة هود : الآيات من ٧٧ – ٨٣ .

[3] انظر : زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ٨٧-٨٨ / وانظر آيات قصة لوط – عليه السلام في سورة هود : الآيات من ٨٤ – ٩٥ .

بالخير أي الثروة الواسعة في الرزق ، فلماذا يكفرونه ويعصونه ، وقد خوّفهم شعيب عذاب الله في يوم القيامة الذي لا يشذ منه أحد منهم ، ولا يجدون منه ملجأ ولا مهرباً » [١] .

- التدبيرات الاقتصادية الوقائية التي برزت في قصة يوسف - عليه السلام - التي تعرض جانباً اقتصاديا واقياً ذا برامج ونظم وخطط مستقبلية مُحكَمة ، ظهرت في « التدبيرات الاقتصادية التي اتُّخِذت بعد تفسير رؤيا الملك ، استعداداً لتجنّب أخطار القحط والجدب والمجاعة المتوقّعة ، وكان من هذه التدبيرات ضرورة ادخار المحصول في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن التسوس والتلف ، وفي هذا دعوة إلى ترشيد الاستهلاك وتكوين مخزون عام لمواجهة الأزمة المنتظرة ، وكذلك طلب يوسف - عليه السلام - من ملك مصر أن يجعله على خزائن الأرض ليديرها ، فقام بإدارة المالية العامة للدولة ، فوضع خطة متوازنة ، طويلة الأجل مداها خمسة عشرة عاماً » [٢] وغيرها من التدابير الاقتصادية التي وردت في القصة قال تعالى : << يوسف أيها الصديق أفتِنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلّي أرجع إلى النّاس لعلّهم يعلمون . قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلاّ قليلاً مما تأكلون ... إلى آخر الآيات >> [يوسف ٤٦-٤٧ ...] .

---

[١] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٠٦ ، ٢٩٦ (بتصرف) .

[٢] زيد الرماني : الدلالات الاقتصادية من قصة يوسف عليه السلام ، مجلّة النور ، السنة ١٤ ، العدد ١٣٨ ، صفر ١٤١٧هـ - يوليو ١٩٩٦م ، ص ٣٢ - ٣٣ ، (بتصرف يسير)

المبحث الثاني

خصائص موضوعات العقيدة في القصص القرآني

يجدر التنويه قبل البدء في إيراد الخصائص ، إلى أنّ ربط هذه الخصائص بالموضوعات العقدية ، لا يعني حصرها فيها وعدم انطباقها على غيرها من موضوعات القصص القرآني ، وإنما لكون موضوعات العقيدة هي محور هذا البحث ، وضابط وجهته ، ومن ثم ، كان ذكر هذه الخصائص ضمن الإطار العقدي ، بمعنى توجيه معظم الشواهد وجهة عقدية تتناسب مع الوجهة العامة لموضوع الرسالة وهو منهج الدعوة إلى العقيدة ، ومن أبرز خصائص الموضوعات العقدية في القصص القرآني التالي :

أولاً – ربّانيّة المصدر :

قصّ الله – عزّ وجل – القصص القرآني في كتابه الكريم ، فكانت مضامين هذه القصص – والتي تمثّل موضوعاتها – داخلة ضمن ما قصّه الله ، فيكون مصدرها الربّ –عز وجل – ، قال تعالى : « وكلاً نقُصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظةٌ وذكرى

للمؤمنين >> [هود : ١٢٠] أي « كلّ الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصّ عليك ، لتثبيت فؤادك أي تسكينه قلبك ، فكلما كان البرهان والدلالة أكثر ، كان القلب أثبت ، ومما ورد في معنى : وجاءك في هذه الحق أي : صدق القصص والأنباء المذكورة ، لتكون تذكيراً وعظة للمؤمنين فيزدادوا إيماناً وثباتاً » (١) ، وآيات هذه القصص مبثوثة في ثنايا آيات سور القرآن الكريم ، لا تنفك عنها ، قال تعالى : << نحن نقصُّ عليك أحْسَن القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ ... >> [يوسف : ٣] أي بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن ، قصصنا عليك هذا القصص ، فهو جزء من القرآن المُوحى به (٢) ، فالمصدر في إيراد القصص وإيحائه للنبي – صلى الله عليه وسلم – هو الباري عزّ وجل ، وبذلك تكون (ربانية المصدر) سِمَة وخاصية من خصائص الموضوعات العقدية .

ثانياً : كونها من أنباء الغيب :

فما جاء في القصص القرآني هو غيبٌ بالنسبة للمسلمين ، فما كان للرسول – صلى الله عليه وسلم – به من علم ولا للمسلمين ، وإن كان أهل الكتاب عندهم شيء من العلم حول بعض هذه القصص فلم يكن يقينياً ، بل كان الشك يحوم حول مصداقيته بصورة كبيرة ؛ لِمَا دخل عليه من التحريف والتبديل ، قال تعالى تعقيباً على قصة نوح –عليه السلام – : << تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ

(١) ابن الجوزي : زاد المسير ، جـ ٤ ، ص ١٣٣– ١٣٤ (بتصرف) / وانظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٣٠٢ .

(٢) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٤ ، ص ١٩٧٠ .

العاقبة للمتقين >> [هود: ٤٩] الخطاب هنا لمحمد - صلى الله عليه وسلم -أي « هذه القصة التي أنْبيءَ بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه هي من أخبار الغيب التي لم يشهدها النبي - صلي الله عليه وسلم - ولا قومه ، الله عزّ وجل يوحيها إليه ، فيعرفه إياها » [1] ، وفي قصة موسى - عليه السلام - ورد قوله تعالى : << وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين >> [القصص: ٤٤] أي « وما كنت يا محمد بالجانب الغربي للوادي في سيناء حيث ناجى موسى ربَّه ، إذ عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة ، ولم تشهد ذلك حتى تقف علي حقيقته وتحكيه لقومك وتقص عليهم خبره من جهة نفسك ، بذلك يتبيّن أنه من عند الله سبحانه بوحي منه إلى رسوله » [2]، وفي قصة عيسى - عليه السلام - في ذكر من يكفل أمه مريم جاء قوله تعالى مصرّحا بأنّ هذه القصص إنما هي غيب من الغيب : << ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون >> [آل عمران: ٤٤] ومعنى من أنباء الغيب : أي من خفي أخبار القوم التي لم يطّلع عليها محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا قومه ، ولم يعلمها إلا قليل من الأحبار والرهبان ، وما كان بحضرتهم ، بل الله أوحى إليه بخبرهم ، حجة على نبوّته ، وتحقيقاً لصدقه ، وإقامة الحجة على من أنكر رسالته من كفّار أهل الكتاب [3] . [4]

---

[1] الطبري : تفسير الطبري ، جـ٤ ، ص ٢٨٣ (بتصرف) .

[2] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥١٣ (بتصرف يسير) .

[3] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ٢، ص ٢٥٥ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣١٣ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٧٠ .

[4] راجع : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ١٨٤٢، ١٨٨٠/ مأمون فريز جرار : خصائص القصة الإسلامية ، ص ٩٨/ محمد شديد : منهج القصة في القرآن ، ص ٤٨ / عبدالرّب آل نوّاب : الدعوة إلى الله تعالى ، ص ١٥٨ / أحمد رحومة : منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد =

ثالثاً : المصداقية :

إنّ ما ورد في هذه القصص من أخبار هي صدق مطابقة للواقع الذي حدثت فيه ، وما هي بأخبار مخترعة قال تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ... >> [يوسف : ١١١] هذه الآية وردت في نهاية قصة يوسف - عليه السلام - ، وسواء أريد بالقصص فيها قصص الأنبياء المذكورة في القرآن جميعها أو قصص يوسف وإخوته وأبيه ، فكل ذلك « خبر صدق مطابق للواقع وما هو بقصة مخترعة ، ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة وهو التوصّل بمعرفة المشاهد المعلوم إلى معرفة الغائب ، لا يحصل إلاّ إذا كانت هذه القصص خبراً عن أمر وقع ، لأنّ ترتّب الآثار على الواقعات ترتّب طبيعي فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع ، ولأنّ حصولها ممكن إذ الخارج لا يقع فيه المحال ولا النادر » [1] ، والأكاذيب لا يصدق بعضها بعضاً ولا تحقق هداية ، ولا يستروح فيها قلب المؤمن الهدى والرحمة [2] ؛ لذلك فهي قصص صدق وليست حديثاً يُختلَق ويُتَكذَّبُ ويُتَخَرَّص . [3]

رابعاً : كونها قصص حق :

قال تعالى : << إنّ هذا لهو القصص الحقّ >> [آل عمران : ٦٢] ، والحَقُّ :

= ص ٢٣٥ / صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، جـ١ ، ص ٣٢ .

[1] انظر : ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ ١٣ ، ص ٧١-٧٢ (بتصرف يسير) .

[2] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص ٢٠٣٧ .

[3] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٣٢٠ / الطبري : تفسير الطبري ، جـ ٤ ، ٣٩٨ .

« نقيض الباطل ... وهو صدقُ الحديث ... واليقين بعد الشك » [1] ، وهذه الآية جاءت في قصة عيسى – عليه السلام – بمعنى : « أنّ هذا القصص ، لا ما تَقُصُّه كتب النصارى وعقائدهم » [2] فذلك الباطل وهذا هو القصص الحق ، المطابق للواقع لولادة عيسى – عليه السلام – ونشأته ، ودعوته ، لا ما يبالغ فيه النصارى من بطلان عقدي واضح كزعم ألوهيته وأمه وغيرها من المزاعم و الافتراءات [3] ، وقصة عيسى – عليه السلام – نموذج من القصص القرآني ، ومن ثم ، ما ينطبق عليها من كونها قصص حق ينطبق كذلك على سائر القصص القرآني .

خامســـاً : كونهــا أحســن القصـــص :

ففي قصص القرآن حُسْنٌ بديع لا يُجارى سواءً في مبناه أو معناه ؛ ومن هنا كان إعجازه المُتضمَّن في إعجاز القرآن الكريم ذاته ، قال تعالى : << نحن نقصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ ... >> [يوسف : ٣] أي « بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن » [4] قصصنا عليك هذا القصص ، وجاء في تفسير كونها (أحسن القصص) : « أنّ بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس ، وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه وبما يتضمّنه من العبر والحكم ، فكلّ قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه ، وكلُّ قصة في القرآن هي أحسن من كلِّ ما يقصُّه القاصّ في غير

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، جـ٢ ، ص ٩٣٩ ، ٩٤٢ .

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣، جـ٣ ، ص ٢٦٧ .

[3] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٧٢ .

[4] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٤٠٣ / وانظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤، ص ١٩٧٠.

القرآن ... وكذلك كان القصص الوارد في القرآن أحسن القصص ؛ لأنّه وارد من العليم الحكيم ، فهو يوحي ما يعلم أنّه أحسن نفعاً للسّامعين في أبدع الألفاظ والتّراكيب ، فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق ممّا لا تأتِ بمثله عقول البشر » [1] .

سادساً : الفاعليـــة :

ممّا تميّزت به القصص القرآني أنها قصص فاعلة ذات أهداف ربانية عظيمة ، أثّرت وغيّرت في حياة الأفراد والجماعات ، فهي ليست أخباراً واردة للاستئناس أوالتسلية المحضة ، وليست هدفا لذاتها ، بل هي وسيلة لأهداف كثيرة سبقت الإشارة إليها ، فالقصص القرآني تُعدّ من وسائل التثبيت وبث الصبر في النفوس ، فقصة نوح – عليه السلام – مثلاً تركّز في أحداثها مراراً على طول الصبر عند نوح عليه السلام ، وهو يحاور الملأ الكفرة من قومه ، رغم تعنتهم وجدالهم العقيم ، فصبر عليهم ، ونوّع في طرائق تبليغهم ، وسلك سبلاً شتى ، وأساليب متفرقة ، ولبث على ذلك مدّة طويلة ورد تحديدها في القرآن بقوله تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةّ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون >> [العنكبوت : ١٤]، ورغم طول هذه المدّة إلاّ أنّ نوحاً – عليه السلام – كان صابراً صامداً ، فكانت خاتمة صبره خيراً إذْ أنعم الله عليه بالفرج والنجاة ، وأغرق العتاة الكفرة من قومه بالطوفان ، وأنجى نوحاً ومن معه ، فكانت

[1] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ١٢ ، ص٢٠٣– ٢٠٤ .

قصته - عليه السلام - من أقوى الشواهد على صبر الأنبياء وقوة تحملّهم ، وقد ورد قوله تعالى في سورة هود في نهاية ذكر آيات قصة نوح - عليه السلام - : «« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين »» [هود : ٤٩] وفي هذه الآية دلالة أنّ من أبرز أهداف إبلاغ قصة نوح للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يصبر كما صبر نوح - عليه السلام - ، أي فاصبر يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه ، فآخر الأمر وعاقبته بالظفر والتمكين للمتقين أي لك ولقومك كما كان لنوح - عليه السلام - ولمؤمني قومه [١] ، فالتثبيت وبث الصبر من الأهداف ذات الفاعلية القوية في منهج الدعوة إلى الله ، فهي من أهم عوامل النصر والتمكين ، وبهما يكون ضمان الاستمرارية للدعوة ، إذ لا يخلو طريق الدعاة من عوائق وشدائد يُخاف على النفس أن تضعف أمامها أو تتهاون ، خاصة إذا طال الأمد عليها ولم تظفر بالنتيجة المطلوبة أو تكون النتيجة ضئيلة ، فهنا يُذكّر الداعية بقصة نوح - عليه السلام - والمدّة الطويلة التي قضاها في دعوة قومه ، وتضحيته وصبره وقوّة إرادته ، فيقدّر مهمة الأنبياء والرسل ، ويقتدي بهم ، ويحتقر المدّة التي يستثقل طولها ، فإنها لا تقارن البتّة بمدّة نوح - عليه السلام - ، ومن ثم ، تكون القصة دافعاً فاعلاً له ، بالمضي في الدعوة دون كلل أو تهاون ، وهذا هدف من الأهداف العديدة الفاعلة التي يمكن استخلاصها من قصة نوح -عليه السلام - ، فما بالك ببقية أهداف القصص القرآني ومدى فاعليتها في المسيرة الدعوية ، والتي ذُكرت أبرزها آنفاً [٢] .

---

[١] انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ، جـ٤ ، ص ٩٤ / زاهية الدجاني : أحسن القصص ، ص ٤٤-٤٥ .

[٢] انظر هذه الأهداف من ص ١٤٤ - ١٦٤ في الرسالة .

سابعاً : الشمولية :

فقد تناولت موضوعات القصص القرآني :

أ- الحياة الدنيا والآخرة ، فما قصّه الله من حياة الأمم ومواقفهم مع أنبيائهم شمل حياتهم الدنيا ، والآخرة ، بما ترتّب على هذه المواقف من ثواب وعقاب ، بالإضافة إلى مسالك الأنبياء في الدعوة وطرق معالجتهم لما فشا وانتشر في قومهم من شرك وظلم وفسق ممّا ورد تفصيله في آيات القصص القرآني ، ومن شواهد ذلك مما يتعلّق بالحياة الدنيا ، ما ورد في قصة موسى – عليه السلام – حولّ حياة بني إسرائيل يوم أن بُعِث إليهم موسى – عليه السلام – ، فقد كانت حياة بؤس وشقاء وعذاب ؛ إذ سامهم فرعون سوء العذاب ، فكانوا منه في بلاء عظيم ، يذبّح أبناءهم الذكور ويستحيي نساءهم أي يتركهن في الحياة لإهانتهن وإذلالهن [1]، فمنّ الله عليهم بفضله ، فأنجاهم الله من هذه الحياة البئيسة ببعثة موسى – عليه السلام – ، قال تعالى : << وإذ قال موسى لقومه اذكروا نِعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذّبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم >> [إبراهيم : ٦] « وذلك لما خرج بهم موسى من أرض مصر ، وفلق الله لهم البحر وأغرق فرعون وجنوده » [2] فأنجاهم ومنّ عليهم بالحياة الحرّة الكريمة .

ومن ذلك ما وعد الله به عباده المؤمنين من الخير العميم على لسان نوح – عليه السلام – : << فقلتُ استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً . يُرسِلَ السماء

---

[1] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٣٣٠ .

[2] محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٣٣٠ / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٤٥٢ .

عليكم مدراراً . ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً >> [نوح : ١٠- ١٢] « ومعنى استغفروا ربكم : أي سلوا ربكم غفران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة ما سواه من الآلهة ، ووحدوه وأخلصوا له العبادة ، يغفر لكم إنه كان غفّاراً لذنوب من أناب إليه ، وتاب إليه من ذنوبه » [1] ، والآية فيها وعد بخير الآخرة ، ورُتّب عليه وعدٌ بخير الدنيا كذلك ؛ فقد « كانوا أهل فلاحة فوعدهم بنزول المطر الذي به السلامة من القحط ... وبالزيادة في الأموال ... وفي هذا دلالة على أنّ الله يجازي عباده الصالحين بطيب العيش قال تعالى : << من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة >> [النحل : ٩٧] » [2] .

أما الآخرة ومتعلقاتها من الجزاء سواء كان ثواباً أو عقاباً ، فقد ورد قوله تعالى في قصّة موسى – عليه السلام –بعد إيمان سحرة فرعون بموسى وإذعانهم لأمر الله : << إنّه من يأتِ ربّه مُجرِماً فإنّ له جهنم لا يموتُ فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى >> [طه : ٧٤- ٧٦] أي : من يكفر بالله فإنه صائر إلى جهنم لا محالة ، ذو عذاب متجدّد فيها ، فلا هو ميّت يحس بالعذاب ولا هو حيّ لأنه في حالة الموت أهون منها ، وأما من آمن بالله وعمل الصالحات وتطهر من الكفر والمعاصي الموجبة للنار ، فأولئك لهم المنازل الرفيعة [3]، في جنّات عدن « والعَدْن : الخلد والاستقرار المستمر » [4] ، تجري من

---

[1] الطبري : تفسير الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٩ .

[2] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٤ ، جـ٢٩ ، ص ١٩٨- ١٩٩ .

[3] انظر : ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٦٨- ٢٦٩ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤١٢ .

[4] ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٤ .

تحتها الأنهار ، فهم في نعيم ومتاع أخروي لا ينقطع جزاء بما كانوا يعملون .

كما قد ورد قول مؤمن آل فرعون في قصة موسى - عليه السلام - وهو يذكّر قومه بالله وما أعدّه من جزاء في الآخرة سواء للكافرين مثل قوله تعالى : << وقال الذي آمن يا قومِ إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأبِ قوم نوحٍ وعاد وثمودَ والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قومِ إني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولُّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يُضلل الله فما له من هاد >> [غافر : ٣٠-٣٣] فخوّفهم غضب الله وعذابه لمن كفر في الدنيا كالطوفان الذي أغرق قوم نوح الكافرين والصيحة التي مُني بها قوم عاد والريح التي أهلكت ثمود وغيرها من العواقب التي وصل إليهم ذكرها من الأمم الماضية ، وخوّفهم عقابه في الآخرة ، وهو النّار لمن كفر وعتى عن أمر الله ، وذلك هو يوم التناد ، إذ لا عاصم يومئذ من عذاب الله [1] ، أو ما أعدّه الله للمؤمنين من جنّة ورزق وفير بغير حساب : << يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإنّ الآخِرةَ هي دار القرار . من عملَ سيئةً فلا يُجزى إلاّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمِنٌ فأولئك يدخلون الجنّة يُرزقون فيها بغير حساب >> [غافر : ٣٩- ٤٠] فالدنيا دار فناء وزوال ، ومتعها زائلة بزوالها ، والدار الآخرة إنما هي دار القرار والدوام الذي لا ينقطع كما قدرّ الله ذلك بمشيئته وقضائه ، والمرء محاسب على عمله ، ومن جمع بين العمل الصالح والإيمان فذلك له الجنّة والرزق الحسن فيها بغير تقدير أو محاسبة ، ولا تَبِعَة عليه فيما يُعطى في الجنّة من الخير ، وهذا فضل من الله عظيم ، يمنّ

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٧١-٧٢ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٦٢٢ .

به على عباده المتقين [1] ، وهكذا سائر مضامين القصص القرآني ؛ فهي لا تخلو من ذكر شامل للدنيا والآخرة .

ب - **الفرد والجماعة** ، فالقصص القرآني تتناول مضامينها كل من الفرد والجماعة ، فالفرد ممثلاً في شخصية الداعية وهو النبي ، ومنهج إعداده وتربيته ، ليكون نموذجاً صادقاً لتطبيق منهج الله في نفسه ، فيكون أهلاً للاقتداء والاتّباع ، وأما الجماعة فممثّلة فيمن آمن بهذا النبي ، إذ يتولاّهم الله عز وجل بالتربية والإعداد ليكونوا أهلا لما قد يناط بهم من تكاليف هذا الدين ونصرته ، ومن صور هذه التربية والإعداد الابتلاءات التي يمّر بها النبي وأتباعه ، مجتمعين أو منفردين كلٌّ على حِدَة .

لقد مرّ نبي الله إبراهيم – عليه السلام – بابتلاءات شديدة منها إلقاؤه في النّار من قِبَل قومه الكافرين قال تعالى : « قالوا ابنوا له بنياناً فألقُوهُ في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين » [الصافات : ٩٧-٩٨] ، وكذلك أمرالله له بذبح إبنه اسماعيل – عليهما السلام – قال تعالى : « فلمّا بلغ معه السعي قال يا بُنَيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعلْ ما تؤمَرُ ستجدني إنْ شاء اللهُ من الصابرين . فلمّا أسلَما وتلَّهُ للجبين . وناديناهُ أنْ يا إبراهيم . قد صدّقتَ الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين . إنّ هذا لهو البلاء المبين . وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عظيم . وتركنا عليه في الآخِرين. سلامٌ على إبراهيم . كذلك نجزي المُحسنين . إنّه من عبادنا المؤمنين » [الصافات : ١٠٢-١١١] فكان مثالاً رفيعاً في الصبر والتوكّل على الله وغيرها من السمات الإيمانية

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٧٣ .

الأصيلة التي تُرجمت في حياة إبراهيم – عليه السلام – إلى واقع حيٍّ معيش .[١]

ومن أبرز مظاهر التربية والإعداد كذلك ما مرّ به محمدٌ – صلى الله عليه وسلم – وصحابته من مواقف وأحداث كانت معينهم في نصرة هذا الدين وتبليغه للناس ، وكان أبرزها القتال في سبيل الله ، وقد قص القرآن كثيرا مما حدث في هذه الغزوات خاصة غزوة أحد (٣ هـ) ، ومن الآيات الخاصة بها قوله تعالى : << ولا تَهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلَوْن إن كنتم مؤمنين . إن يَمْسَسْكُم قرحٌ فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين النّاس ولِيَعْلَمَ الله الذين آمنوا ويتّخذ منكم شهداء والله لا يُحِبُّ الظالمين . وَلِيُمَحِّصَ الذين آمنوا وَيَمْحَقَ الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين >> [آل عمران : ١٣٩– ١٤٢] لقد أُصيب المسلمون بالقتل والهزيمة في غزوة أحد ، وهو المشار إليه في الآية بالقرح ، إذ أصيبوا في أرواحهم وأبدانهم بأذى كثير ، قتل منهم سبعون صحابياً ، وكُسِرت رباعية الرسول – صلى الله عليه وسلم – وشج وجهه ، وأرهقه المشركون ، وأُثْخِنَ أصحابه بالجراح .. فأحدث ذلك كله هزّة عظيمة في النفوس ، إذ لم يتوقعوا الهزيمة في أحد ، بعد النصر العجيب في بدر ، ولكنها سنن الله جارية في عباده ، فالأيام دول بين النّاس ، يوم لهذا ويوم لذاك ، والحصيف من وعى حكمة هذا التداول ، وأخذ بأسباب النصر وعوامله الحقيقية التي بيّنها الله لعباده ، فكانت غزوة أُحد ابتلاء لتمحيص السرائر ، وامتحان قوة الصبر على الشدائد ، واستحقاق النصر للصابرين ، والمحق للكافرين المكذبين ، وتأتي المواساة في مُصاب المسلمين ، فالقرح لم يصبهم وحدهم ، إنما أصاب أعداءهم كذلك ، في بدر ، والمعيار السليم في الرفعة والعلو والنصر هو العقيدة والمنهج ، فأنى للكافرين بذلك ، فالمسلمون هم الأعلون عقيدة

[١] راجع : أحمد البراء الأميري : إبراهيم – عليه السلام ، ص ١١٩– ١٢٩ .

ومنهجاً ، ومن ثم ، فلا مجال للأسى والضعف والعجز ، وليستفيدوا من دروس أحد خاصة في مجال الطاعة التامة لله ولرسوله ، فمن أبرز أسباب هزيمتهم فيها مخالفة الرماة لأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بإلتزام أماكنهم ، فنزلوا طلبا لتحصيل الغنائم بعد فرار المشركين ، فانكشف مكانهم ، وبُغِت المسلمون بالمشركين من جهته وحدث ما حدث من مصيبة ألَمّت بالمسلمين ، وأودت بحياة كثير منهم ناهيك عن الإصابات وإشاعة مقتله – صلى الله عليه وسلم – فكانت بلاء عظيماً هزّ المسلمين [1] ، ولكنّه في الوقت ذاته كان حدثاً بارزاً في الإعداد التربوي والنفسي للمسلمين خاصة في نواحي الصبر والثقة بنصر الله ، فكانت التربية التي علّمت المسلمين أموراً كثيرة بالتجربة الواقعية والامتحان العملي ، فتعرّفوا عن كثب على عوامل النصر والهزيمة ، وعلى حقيقة سنّة التداول بين الناس ، وعلى قيمة الشهادة في سبيل الله ، والتضحية بالنفس والنفيس والصبر على ذلك ، ووجوب طاعة الله ورسوله طاعة تامة ، وغيرها من الأمور ، فالله – عز وجل – كان قادراً أن يكفي المسلمين عناء الغزوة ومشاقّها وآلامها وثُلَمِها ، ويحقق لهم النصر من البداية ، ولكنّ المسألة ليست هي النصر .. إنما هي تربية الجماعة المسلمة ، التي تعدّ لتتسلم زمام قيادة البشرية ، قيادة راشدة ، صلبة ، ثابتة على الحق ، صابرة على المعاناة ، مدركة لمواطن الضعف ومواطن القوة في النفس البشرية ، خبيرة بمواطن الزلل والخور والضعف .[2]

---

[1] انظر تفصيلات غزوة أحد : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٧٨ – ٣٩٧ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٥١ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ١ ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ١ ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ – ٤٨٤ .

وهكذا تناولت أحداث القصص القرآني الفرد والجماعة بالتربية والإعداد لتكون معين الدعاة إلى الله – عز وجل – في كل زمان ومكان ، يستخلصون منها العبر والحكم والفوائد العقدية والتربوية والدعوية وغيرها ، سواء على نطاق الفرد أو الجماعة ، فكليهما مما شملته القصص القرآني .

جـ- كما قد شملت نوعي الإنسان ، والمقصود بهما الرجل والمرأة ، فبالرغم من التركيز على عنصر الرجل في القصص القرآني ، والمتمثل في شخصية النبي ، إذ الأنبياء – عليهم السلام – قد اختارهم الله -عز وجل -من الرجال [1] قال تعالى : << وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم ... >> [الأنبياء : ٧] ، وهو العنصر الرئيس في القصة ، فهو المبلّغ لدين الله ودعوته إلى التوحيد ، فبالرغم من ذلك إلا أنّ هذه القصص لم تغفل ذكر المرأة ، فقد تحدّثت عن نساء منهن مؤمنات ومنهن كافرات ، قال تعالى : << ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالِحَيْن فخانتاهما فلم يُغْنِيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الداخلِين >> [التحريم : ١٠] والمقصود بخانتاهما أي : « أبطنت كل منهما الكفر وساعدت خصوم زوجها » [2] أي كانت خيانة في الدعوة ، وليست خيانة الفاحشة ، وتبرز الآية مبدأ التبعة الفردية ، فامرأة نوح وامرأة لوط لم يشفع لهما زواجهما من أنبياء عند الله ، فذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً ، فلا كرامة ولا شفاعة في

---

[1] انظر : عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات ، ص ٨٤ .

[2] محمد حسن الحمصي : قرآن كريم تفسير وبيان ، ص ٥٦١ .

أمر الكفر والإيمان ، وأمر الخيانة في العقيدة حاصل حتى لأزواج الأنبياء ، فهم بشر ، يعتريهم ما يعتري البشر من عوارض ومجريات حياة [1] ، كما تحدثت القصص القرآني كذلك عن نساء مؤمنات كإمرأة إبراهيم ، وأم موسى وأخته ، وابنتي شُعيب ، وإمرأة فرعون ، وإمرأة عمران ، ومريم أم عيسى – عليهما السلام – ، قال تعالى : << وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنّة ونجّني من فرعون وعمله ونجْني من القومِ الظالمين . ومريم ابنة عمران التي أحصَنَتْ فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتُبِه وكانت من القانتين >> [التحريم: ١١-١٢] ، وذكر المرأة في القصص القرآني كان متعدّداً متنوعاً ، « فإمرأة فرعون كانت نموذجاً للمرأة المؤمنة في وسط كفّار ، الوسط الذي لم يصرفها عن الإيمان بالله وتوحيده ، بل واجهت فرعون بإيمانها ، داعية ربّها النجاة والتبرؤ من فرعون وعمله ، طالبة من ربها بيتاً في الجنّة ، فكان دعاؤها وموقفها مثلاً للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة فرعون ، أعظم ملوك الأرض يومئذ ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي .. ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ، ولم تعرض عن هذا العرض فحسب ، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه ، وتتفلت من عقابيله ، وتطلب النجاة منه ! وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية .. وهذا فضل آخر عظيم .. فالبرغم من ضعف المرأة المعهود ، وحساسيتها المرهفة ، إلاّ أنها واجهت ضغوط الكفر مجتمعة من ملِك وحاشية وقصر ، رافعة رأسها لله تطلب النجاة ، وهي نموذج عالٍ في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، و كل هذه المعوّقات ، ومن ثم ، استحقت هذه الإشارة في

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٤٣- ٣٤٤ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٨ ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ / سيد قطب : في ظلال القرآن، جـ٦ ، ص ٣٦٢١ .

كتاب الله الخالد »[١] ، لتظل نموذجاً فذاً للمرأة المؤمنة في البيت الكافر ، ولتكون مثالاً نسوياً يُحتذى حذوه بكل يقين وثقة أنّ الله ينصر عباده المتقين ، ويُجزل لهم العطاء ، ويلهمهم الطاعة والدعاء ، لدرجة أنّ الله قرن ذكرها في القرآن بمريم ابنة عمران ، وفي ذلك دلالة على علوّ منزلتها ، وأما مريم ابنة عمران فقد كانت مثالاً للتجرد لله منذ نشأتها ، فهي الطاهرة الصدِّيقة العفيفة القانتة [٢] ، وهكذا يلفّ جوّ العفاف والستر والطهارة والإيمان ، وطاعة الله وطلب مرضاته ذكر النساء المؤمنات في القصص القرآني ، فالعقيدة الإسلامية تخاطب الرجل والمرأة على السواء ، وكلاهما له تبعات وتكاليف دعوية إيمانية سواء تجاه نفسه أو غيره ، خاصة الأهل والولد ، فكانت موضوعات القصص القرآني العقدية شاملة للرجل والمرأة على السواء .

ثامناً : الصلاحية الدائمة :

إذ تستمد موضوعات القصص القرآني صلاحيتها لكل زمان ومكان ، من سِمَة الربانيّة في المصدر والهدف ، فموضوعاتها هي موضوعات هذا الدين الذي تكفّل الله بحفظه ، والذي كانت القصص القرآني إحدى براهينه على إمكانية تطبيق هذا الدين في الواقع البشري وبيان آثاره العظيمة في رقيّ المجتمعات واستقامة نهجها ، وتحقّق سعادة الدارين ، الدنيا والآخرة ، وتظلّ القصص القرآني بذلك معيناً لا ينضب لموضوعات دينية كثيرة سواء في المجال العقدي أو الاجتماعي أو الأخلاقي أو السياسي ... إلخ .

---

[١] سيد قطب : في ظلال القرآن، جـ٦ ، ص ٣٦٢٢ (بتصرف) / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٤٤ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٨ ، ص ٢٠٣ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٨ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ / سيد قطب : في ظلال القرآن، جـ٦ ، ص ٣٦٢٢ .

تاسعاً : الوحدة الموضوعية :

فالموضوعات الواردة في القصص القرآني ذات أصول عقدية واحدة ، رغم تنوّعها كماً وكيفاً ، حسب البيئة التي أرسل إليها النبي ، مع ملاحظة أنّ موضوع الإيمان بالله واليوم الآخر كان تقريباً ، أبرز المواضيع التي جاءت في هذه القصص ، خاصة توحيد الألوهية ، وما حواه من أعمال قلبية سبق بيانها في التمهيد ، لدرجة أنّ بعض هذه الأصول العقدية جاء موحداً مبنىً ومعنىً ، كعبادة الله وحده لا شريك له ، وتقواه وطاعته ، قال تعالى : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » [المؤمنون : ٢٣] و « وإبراهيمَ إذ قال لقومه اعبُدوا اللهَ واتَّقُوه ... » [العنكبوت : ١٦] ، « ... وقال المسيحُ يا بني إسرائيل اعبُدوا الله ربّي وربّكم ...» [المائدة : ٧٢] فالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له واحدة بين الأنبياء جميعاً ، ولا غرو أنّ كُرّرت الألفاظ نفسها في قصص الأنبياء ، لتضيف مزيد دلالة على وحدة ما جاء به الرسل .

وهذه الوحدة الموضوعية نجدها متناسقة كذلك مع سياق السورة العام الذي ترد فيه القصة القرآنية ، بحيث تكوّن معه تكاملا موضوعيا ، فهي ترد متجانسة مع موضوع السورة العام ، فمثلا نجد في سورة العنكبوت بعض قصص أولي العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى – عليهم السلام – ، فالسورة « تتناول حقيقة الإيمان ، وسنّة الله في الابتلاء والفتنة ، وتتحدث عن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف عن معدنه في النفوس ، فليس الإيمان كلمة تقال

باللسان ، إنما هو الصبرعلى المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف ، يقول تعالى في مبدأ السورة :<< أحسِبَ النّاس أن يُتركَوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنون . ولقد فتَنّا الذين من قبلهم فلَيَعْلَمنَّ اللهُ الذين صدَقوا ولَيَعْلَمَنّ الكاذبين >>[العنكبوت : ٢-٣] ، وفي معرض هذا التناول تستعرض السورة قصص نوح وإبراهيم ولوط وشعيب ، وقصص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ،استعراضاً يصوّر ألواناً من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان ، على امتداد الأجيال ، فمثلا في قصة نوح - عليه السلام - بالبرغم من طول مدة الدعوة -فقد لبث في قومه ألف سنّة إلاّ خمسين عاماً - إلاّ أنه لم يؤمن له إلاّ القليل فقد كانوا عتاة متكبرين على الحق ، لَقى منهم - عليه السلام -مشقة وابتلاءات كثيرة في سبيل دعوتهم إلى الحق << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون .فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين >>[العنكبوت : ١٥] ، ثم يأتي التعقيب على هذه القصص ، وما تكشف فيه من قوى مرصودة في وجه الحق والهدى ، بالتصغير من قيمة هذه القوى والتهوين من شأنها ، وقد أخذهـا الله جميعاً << فكلاًّ أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون >> [العنكبوت : ٤٠] ، ويضرب لهذه القوى كلها مثلاً مصوّراً يُجَسّم وهنها وتفاهتها : << مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهنَ البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون>> [العنكبوت : ٤١] ويمضي السياق في تناول بقية معاني السورة من ربط بين الحق الذي في الدعوات ، وأنها جميعها من عند الله وغيرها من المعاني،ليختم السورة بتمجيد المجاهدين في الله وطمأنتهم على الهدى وتثبيتهم :<<والذين جاهدوا فينا لنهديَنّهم سُبُلَنا وإنّ الله لمع

المحسنين >> [العنكبوت : ٦٩] »[1] ، وهذا التجانس والترابط الملحوظ بين آيات القصة القرآنية وبقية آيات السورة التي وردت فيها القصة ، يوّحد النظرة الموضوعية لمضامين القصة ، بل ولا يفصلها عن باقي آيات السورة التي وردت فيها ، ولا غرو في ذلك ؛ فوحدة المصدر الربّاني تقتضي هذه الوحدة الموضوعية .

عاشراً : التنوّع :

فالقصص القرآني حوت مواضيع متنوّعة منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها كما سبق ذكره [2]، مع ملاحظة أنّ القاعدة العامة لجميع هذه الموضوعات المتنوعة هي القاعدة العقدية ذات الموضوعات العقدية ، والتي تمثّل الأركان والقواعد الأساسية التي توجّه جميع هذه الموضوعات وتربطها برباط رباني إيماني أصيل ، وهذا التنوّع العام كذلك شمل ، تنوعاً خاصا في داخل هذه المواضيع نفسها ، فنجد أنّ كل موضوع منها منوّع في داخله فالمواضيع الاجتماعية منها ما يتعلّق بالمجتمع وتقسيماته كما ذكر آنفا ، ومنها ما يتعلّق بالأسرة وغيرها من التقسيمات ، والموضوعات العقدية منها ما يتعلّق بالإيمان بالله ، ومنها ما يتعلّق بالإيمان بالرسل ، و هكذا سائر التقسيمات الداخلية ، والتي تبرز دقّة هذا التنوّع ، والذي أبعد عن القصص القرآني جوّ الرتابة والإملال ؛ ولا غرو في ذلك ، فهي جزء من هذا القرآن الذي لا يخلق ولا يبلى على كثرة الرد .

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٧١٨ – ٢٧١٩ ، ٢٧٢٧ (بتصرف) .

[2] في المبحث الأول في هذا الباب ، ص ١٧٦– ١٩٢ .

الفصـــل الثالث

خصائص الوسائل

- توطئـــــة .

- بيان خصائص وسيلة القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة .

توطئـــة

تُعدُّ القصة القرآنية وسيلةً دعوية ، لها مكانتها وأهميتها في المناهج الدعوية ؛ فهي أداة من أدوات توصيل الأهداف الدعوية في شتى مناحيها من تربية وعقيدة وأخلاق ومعاملات وغيرها .

وبالبرغم من عدّها وسيلة ، إلا أنها كذلك تعدّ مصدراً زاخراً لوسائل أو أساليب [1] دعوية عديدة ، فهي وسيلة جامعة ، بحكم تكوّنها من عناصر بارزة تمثّل أركانها من أشخاص وأحداث وزمان وغيرها ، وهذه تكوّن بمجموعها نموذجاً لمنهج دعوي قائم بذاته ، في كل قصة على حِدة ، و يحمل هذا المنهج النبيُّ وهو العنصرُ البارز في القصة ، ليبلّغ به دينَ الله ، فيواجه قومه ، سالكاً معهم طرائق شتى في الدعوة ، من مجادلة ، وحوار ، ومحاجّة ، وترغيب وترهيب ، سالكاً التحدي تارة ، واللين والرفق تارة أخرى ، منوّعاً بين الجهر والإسرار ، متخيّراً الأماكن والأزمنة المناسبة للدعوة ، وغيرها من الطرائق كثير، والتي يمكننا تسميتها بالأساليب الدعوية التي سلكها أنبياء الله في دعوتهم لأقوامهم ، على سبيل تمييزها عن الإطار العام الذي حواها ، وهو إطار وسيلة القصة القرآنية ، والذي بُحث هنا ضمن منهج الدعوة إلى العقيدة فقط ؛ لأنّ محلّ البحث في هذه الرسالة هو المجال العقدي ، الذي كانت له آثار واضحة بارزة في طبع

---

[1] ويُقصد بالأسلوب : الطريقُ والوجهُ والمَذْهب والفَنُّ ، أما الوسيلة فهي ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغير . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص ٢٠٥٨ ، جـ٦ ، ٤٨٣٧ .

هذه الوسيلة بطابع خاص تميّزت به عن سائر وسائل الدعوة الأخَر ، أكسبها خصائص عديدة أخرجت القصص القرآني من كونها وسيلة فنية أو تاريخية بحتة ، إلى مجال أرحب وأوسع ذا امتداد وشمول ، لتصبح وسيلة حضارية عالمية في الدعوة إلى الله ، وسيتضح هذا الأمر من خلال ما سيعرض في هذا الفصل من خصائص وسيلة القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة ، وبيانها في التالي :

بيان خصائص وسيلة القصص القرآني

في منهج الدعوة إلى العقيدة

أولاً : كونها قصصاً قرآنياً :

إنّ أول سِمَة أو خصيصة اختصّت بها هذه الوسيلة أنها قرآنية في مضمونها وشكلها ، فآياتها منسابة انسيابٌ طبيعي في ثنايا القرآن الكريم ، وموضوعاتها لا تخرج عن موضوعات القرآن الكريم ، وأسلوب عرضها انطبع بطابع الإعجاز القرآني ، سواء في معناه بما حوته هذه القصص من موضوعات ، قد تمّ تفصيل ذكرها في الفصول السابقة ، أو في مبناه الذي اتسم بدقّةٍ في التصوير وبلاغة في اللفظ وغيرها من صنوف اللغة ، ومن شواهد ذلك قوله تعالى في قصة موسى – عليه السلام – : << **فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير**>> [القصص: ٢٤] ، فهذه الآية تعرض مشهداً يصوّر موسى – عليه السلام – وهو يأوي إلى الظل ، مناجياً ربّه وهو خالياً لا يراه أحد إلاّ الله ، الذي وصف توليه ومناجاته التي كانت سراً

بينه وبين نفسه ، قال موسى مناجيا ربه : << ربِّ إنّي لما أنزلت إليَّ من خير فقير >> ، يُثني عل ربّه ابتداءً في أدبٍ نبوي رفيع « بأنه معطي الخير ، والخير : ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق به فمنه خير الدنيا ومنه خير الآخرة الذي قد يُرى في صورة مشقّة فإنّ العبرة بالعواقب ، وقد أراد موسى النوعين كما يرمز إلى ذلك التعبير عن إيتائه الخير بفعل « أنزلتَ » المُشعِر برفعة المُعطي ، ومن الخير الذي أنعم الله به على موسى الحكمة والعلم ، وإنجاؤه من القتل ، وتربيته في بيت فرعون دون أن يمسه ضرر في نفسه أو دينه »[1] وغيرها من النعم التي لا تُحصى ولا تُعدّ ، ولكنّه موسى الإنسان ، الذي حزن قلبه ، ورقّ فؤاده ، لما تولّى إلى الظل ، فلمس من نفسه الوحدة والغربة والضعف فدعا ربّه مناجياً هامساً ، إنيّ فقير يا ربّ رغم ما أنعمتَ به علي من خير ، ولم يزد على ذلك في مناجاته ، لأنه يعلم أنّ الله مطلّع على ما تتمناه نفسه من الأمن والمأوى والسكَن والأنس .. فربما أثار ما رآه من اجتماع الناس حول الماء للسقي ، وعفاف المرأتين اللتين سقى لهما من مزاحمة الرعاء ، وورود هذا المكان بعد عناء الفرار من بطش فرعون بعد مقتل القبطي [2]، مكامن نفسه التي تتوق للأمن والاستقرار والسكن والأنس مثل أي نفسٍ بشرية ، فطرها الله على ذلك ، فكان منه هذا الدعاء ، الذي عجّل السياق القرآني مشهد الفرج فيه ، معقباً في التعبير بالفاء ، إذ قد جاءته إحدى ابنتي شعيب تدعوه للقاء أبيها ، قال تعالى : << فجاءته إحداهما تمشي على

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ١٠٢ (بتصرف يسير) .

[2] انظر قوله تعالى في سورة القصص الآيات : ٢١- ٢٣ : << فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجنّي من القوم الظالمين . ولما توجّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديَني سواءَ السبيل . ولما ورد ماء مديَن وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخ كبير >> .

استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا فلمّا جاءَه وقصَّ عليه القصص قال لا تخَفْ نجوتَ من القوم الظالمين >> [القصص: ٢٥] « فتؤذن الفاء بأنّ الله استجاب لموسى ، فقيضّ شعيباً وهو والد المرأتين أن يرسل وراء ه ليضيفه ويزوجه بنته ، فذلك يضمن له أنساً في دار غربة ومأوىً وعشيراً صالحاً ، كما تؤذن الفاء أيضاً بأنّ شعيباً لم يتريّث في الإرسال وراءه ، فقد جاءته إحدى بنات شعيب وهو لم يزل عن مكانه في الظل » [1] ، فكان من مظاهر الإبداع تصوير مشهد المناجاة والدعاء ، ومشهد الاستجابة الفورية للدعاء ، ووجود عبارات بليغة بديعة ، ومعاني إيمانية رفيعة ، أضفت جواً تصويرياً دقيقاً جعلنا نتفاعل مع المشهد وكأنه أمام عيوننا ومسامعنا، وكأنّ موسى عندما ناجى ربّه لم يكن وحده ، بل كنّا معه بحواسّنا ووجداننا ، إنّه أسلوب القرآن الكريم ، المُبدع في بيانه ، مبنىً ومعنىً .

كما أنّ أحداث القصص أخذت الأسلوب القرآني في طريقة عرضها ، بمعنى التركيز في ذكر جزئيات الحدث التي تعين على تحقيق الهدف ، دون الالتفات إلى غيرها من الجزئيات الكثيرة التي تركّز عليها القصة بشكل عام ، كالزمان والمكان ، وذكر أسماء الأشخاص ووصف هيئاتهم كألوانهم وأجسامهم وغيرها من المواصفات الشكلية التي تَرِد عادة في القصص ، وإن كان هناك التفات إلى بعض هذه الجزئيات ، فإنّه يكون ضمنَ حيّز الغرض المطلوب منه .

ومن ذلك قوله تعالى في قصة موسى – عليه السلام –: << ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب >> [غافر : ٢٣-٢٤] إذ عيّن القرآن أسماء أشخاص وهم فرعون وهامان

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ١٠٣ (بتصرف يسير) .

وقارون ، وجاء في تعليل اختصاصهم بالذكر أنهم كانوا رؤساء المكذبين بموسى – عليه السلام – [1] ، ولا يخفى دورهم الكبير في فتنة النّاس عن دين الله ، سواء بطغيانهم أو تجبّرهم ، واغترارهم بما أنعم الله عليهم من سلطان وأموال ، فكان ذلك مدعاة لتعيين أسمائهم ، فهم يمثّلون تكرار نموذج صناديد الكفر في كلّ زمان ومكان ، فقد ضُربوا مثلاً لمن يتعاظم بسلطانه كفرعون الطاغية ، ومن يتعاظم بأمواله كقارون [2] .

وفي قوله تعالى لموسى – عليه السلام –: << إنّي أنا ربّك فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى >> [طه : ١٢] تعيينٌ لاسم الوادي (طوى) كما ورد في بعض أقوال المفسرين [3] .

وقد ورد في تعيين الزمان ، مشهد تحدي فرعون بسحرته لموسى – عليه السلام – وطلبه تحديد موعد للقاء والمواجهة بين موسى والسحرة ، قال تعالى : << قال أجئتنا لِتُخرِجَنا من أرضنا بسحرِك يا موسى . فلَنأتينّك بسحرٍ مثلِه فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلِفُهُ نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضُحَى >> [طه : ٥٧-٥٨] ، فالموقف في السياق اقتضى تحديد وتعيين الزمان ، فكان أن اختير يوم الزينة تعييناً للوقت ، وهو كان يوم عيد عظيم عند القبط ، وقيّد مطلق الوقت ، بقوله (ضُحى) ، وورد في تعليل اختيار هذا الوقت بالذات ؛ أنّ موسى – عليه السلام – كان على يقين أنّ النصر والغلبة ستكون للحق ، كما وعده ربّه فأحبّ أن يكون ذلك في وقت أكثرَ

---

[1] انظر :الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ٤٨٨ .

[2] انظر : في قصة قارون سورة القصص ، الآيات من ٧٦– ٨٤ .

[3] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٢٦ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١١، ص ١٧٥ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٣٥٨ .

مشاهِداً وأوضح رؤيةً ؛ بُغية هداية أكبر جمع من النّاس [١] .

أما الشواهد على عدم الالتفات لمثل هذه الجزئيات من أسماء الشخوص والأماكن والأزمنة فمنها ما ورد في قصة موسى – عليه السلام – والعبد الصالح في سورة الكهف ، إذ لم يُذكَر اسم الرجل الذي قصده موسى ليتعلّم من علمه الذي آتاه الله إياه ، وعُرِّف في القصة بوصفه (عبدا من عباد الله) قال تعالى : << فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً >> [الكهف : ٦٥] وإنما ذُكِر بأنّ اسمه الخَضِر في الحديث النبوي [٢] ، كما لم يُذكر اسم الفتى الذي رافق موسى – عليه السلام – في رحلته هذه ، قال تعالى : << وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلُغَ مجمَعَ البحرين أو أمضيَ حقُباً >> [الكهف :٦٠] والفتى المقصود به : الذَكَر الشاب ، وفتى موسى أي خادمه وتابعه [٣] ، إذ يتحقّق المقصود من إيراد القصة دون تحديد أسماء الأشخاص ، أو الأماكن ، إذ لم يذكر كذلك اسم المكان في القصة ذاتها ، بل اكتفى النص القرآني بوصف المكان أنه عند مجمع البحرين أى موضع التقائهما [٤]، إذ « ليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين » [٥] .

وفي قوله تعالى : << فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ... إلى آخر الآية >> [القصص : ٢٩] « لم يذكر القرآن أي الأجلين قضى موسى ثماني سنوات أو

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤١١ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٤٦–٢٤٧ .

[٢] انظر : البخاري : صحيح البخاري ، جـ٤ ، ص ١٧٥٢ – ١٧٥٣ ، كتاب التفسير (٦٨) ، باب (٢١٥) ، ح ٤٤٤٨ .

[٣] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٧ ، جـ١٥ ، ص ٣٥٩ .

[٤] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٣٨٩ .

[٥] الرازي : التفسير الكبير ، مج ١١ ، جـ٢١ ، ص ١٢٤ .

عشر ؛ إذ لا يتعلّق بتعيينه غرض في سياق القصة » [١] ، وهكذا سائر آيات القصص القرآني ، لا تلتفت إلى تعيين مثل هذه العناصر إلا بما يفي بتحقيق المقاصد والأهداف ، وإلا فإنها تُعرِض عنها دونما إخلال بالسياق سواء في مبناه أو معناه ، لتسِم طريقة عرض القصص بالطابع القرآني المحض .

ثانياً : الربّانيـــة :

فقد اختصّت بربانية المصدر والهدف والموضوع ، فهي من وَحْي ربّ العالمين الذي أنزله في كتابه الكريم ، قال تعالى : « نحن نقصُّ عليك أحْسَن القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرآنَ وإنْ كنتَ من قَبْله لمن الغافِلين » [يوسف : ٣] ، أي أنّ الله – عز وجل – قصّ هذه القصص على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بإيحائه إليه هذا القرآن الذي وردت فيه القصص القرآني [٢] ، فهي قصص ربانية المصدر ، ربانية المنهج .

ثالثاً : الشمولية :

فهي تخاطب جانبي الإنسان ، العقلي والوجداني ، فتورد من الأساليب ما تخاطب به العقل والوجدان منفردين أو مجتمعين ، كحوار الأنبياء مع أقوامهم

---

[١] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ١١١ (بتصرف يسير) .

[٢] انظر : الرازي : التفسير الكبير ، مج ٩ ، جـ١٨ ، ص ٦٩ / وهبة الزحيلي : التفسير الوجيز ، ص ٢٣٦ .

سواء حوار مجادلة أو حوار توجيه وإرشاد .[١]

قال تعالى في قصة إبراهيم - عليه السلام - :

<< واتلُ عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومهِ ما تعبُدون . قالوا نَعْبُدُ أصناماً فَنَظَلُّ لها عاكِفِين . قال هل يسمعونكم إذ تَدْعُون . أو يَنْفَعُونَكم أو يَضُرُّون . قالوا بلْ وَجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتُم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقْدَمون . فإنَّهم عدوٌّ لي إلاّ ربَّ العالَمِين . الذي خلَقَني فهو يهدين . والذي هو يُطْعِمُني وَيَسْقِينِ . وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِ . والذي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيِين . والذي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لي خطيئتي يومَ الدين >> [الشعراء : ٦٩-٨١] .

ففي قول إبراهيم - عليه السلام - : << هل يسمعونكم إذ تَدْعُون . أو يَنْفَعُونَكم أو يَضُرُّون >> استفهام لتقرير الحجة العقلية عليهم ؛ أي إذا لم ينفعوكم ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها ؟ ! ، « فأقل ما يتوفر لإله يعبد أن يكون له سمع كعابده الذي يتوجه إليه بالعبادة والابتهال ! وهذه الأصنام لا تسمع عبادها وهم يتوجهون إليها بالعبادة ، ويدعونها للنفع والضر . فإن كانت صماء لا تسمع فهل تملك النفع والضر ، لا هذا ولا ذاك يمكن أن يدّعوه ! »[٢]، فكان جوابهم خاليا من الحجة والدليل ؛ إذ << قالوا بلْ وَجدنا آباءنا كذلك يفعلون >> فأرجعوا عبادتهم لهذه الأصنام إلى التقليد والتبعية العمياء[٣] ، ولكنها العقيدة متى زاغت لم يفطن أصحابها إلى ما تنحط إليه عبادتهم

---

(١) راجع : مأمون فريز جرار : خصائص القصة الإسلامية ، ٢٢٥ / محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٨-١٩ / عبدالربّ آل نوّاب : الدعوة إلى الله ، ص ١٤٠، ١٦٢ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٦٠٢ .

(٣) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٩٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٣، ص ١٠٩ .

ومعتقداتهم ومقولاتهم .

ومثال آخر يشمل حواراً يمزج بين العقل والعاطفة ، فيخاطب الفكر تارة ، ويخاطب الوجدان تارة ، وتارة أخرى يجمع بينهما ، إنّه مؤمن آل فرعون الذي صدع بالحق في قصة موسى – عليه السلام – ، وسأعرض لمقطع من حواره مع قومه وفيهم فرعون ، قال تعالى :

<< وقال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانَهُ أتقتُلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يكُ كاذباً فعليه كَذِبهُ وإن يكُن صادقاً يُصبْكُم بعض الذي يعدكم إنّ الله لا يهدي من هو مُسرِفٌ كذّاب . يا قومِ لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرُنا من بأس الله إن جاءنا ... >> [غافر : ٢٨- ٢٩]

يفتح الرجل المؤمن باب المجادلة لتشكيك فرعون في تكذيبه بموسى ؛ بُغية حفظ موسى من القتل ، فبدأ حواره مخاطباً عقولهم باستفهام إنكار في قوله « أتقتلون رجلاً أن يقول ربيّ الله » ، وهذا القول يوحي بتقبيح قتل نفسٍ لمجرد أنها تقول : « ربي الله » ، ثم ارتقى في الحِجاج إلى التصريح بتصديق موسى ؛ بعلة أنه جاء بالبيّنات ، أي الحجج الواضحة بصدقه ، مُصرّحاً بكونها « من ربكم » ، ربطاً بينها وبين قوله : « أتقتلون رجلاً أن يقول ربيّ الله » ليسوقهم بلطف إلى الإيمان برب موسى ، ثم أوهمهم بقوله « إن يك كاذباً فعليه كذبه ... » بتقديمه احتمال كذب موسى على احتمال صدقه ؛ ليُبعدهم عن الظن بإيمانه بموسى ، أو الانتصار له ، وحتى لا يثير نفورهم ، فيصدون عن سماع الأدلة على صدق موسى التي ربما أثّرت فيهم ، فكأنه يوجههم للنظر العقلي في أدلة موسى وآياته التي تحدّاهم بها ، ليتبيّنوا صدقها من كذبها ، فإن ظهر كذبه فيها ، فلن يضرهم ذلك شيئاً ، بل إن كذبه سيكون عليه بأن يوسم

بالكاذب ، أمّا إن كان صادقاً فهنا المعضلة والمصيبة ، إذ الوعيد سينزل بهم سواء مما توعدهم بوقوعه في الدنيا ، أو في الآخرة ، ثم هو يقول عبارة ذات دلالتين في نفس الوقت فهي تنطبق على رغبته في إظهار حجية صدق موسى ؛ بإنه لو كان كاذباً لما وُفّق للبيّنات ولا ظهرت على يديه المعجزات ، فالله لا يوفق للحق من هو عاصٍ متجاوز للحد مفترٍ ، كما تنطبق في الوقت ذاته ، على كل من يتجاوز الحد في معصية الله بالكفر به وتكذيب دعوته فكأنّه يُعرّض بأن من أسباب الإعراض عن هداية الله ، الإسراف والتكذيب ؛ كي تلين قلوبهم للحق وتقبل النصح ، ثم يستميل قلوبهم لترق وتصغى إليه بندائهم بـ : يا قومِ ، ليعظهم بعد أن توسّم انكسار قلوبهم لحججه ، خاصة أنه قد كتم إيمانه عنهم ، فظنّوه كافراً مثلهم ؛ مما يسّر أمر تقبلهم الحوار معه ، فذكّرهم بنعمة الله عليهم بما حباهم به من ملك وسلطان ، وبما أظهرهم الله به على الناس من غلبة واستعلاء بقوله : << يا قومِ لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض >> ، ثم بعد ذلك خوّفهم زوال الملك في حالة غضب الله عليهم بقوله : << فمن ينصرُنا من بأس الله إن جاءنا >> مستنكراً أن ينصرهم شيء من بأس الله ، « مُدمجاً نفسه مع قومه في قوله « ينصرنا » و « جاءنا »، ليريهم أنه يأبى لقومه ما يأباه لنفسه ، وأنّ المصيبة إذا حلّت لا تصيب بعضهم دون بعض » [1] ، وقد جعل المُلك في العبارة لقومه تجنّباً لمواجهة فرعون بزوال الملك ؛ بُغية استمرارية الحوار دون معكّرات أو معوّقات تحول دون ذلك . [2]

حينئذ تصدى فرعون للحوار مع الرجل المؤمن :

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤ ، ص ١٣٢ (بتصرف يسير) .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤ ، ص ١٢٨ – ١٣١ / وهبة الزحيلي : التفسير الوجيز ، ص ٤٧١ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٦٢١ .

فقد « تفطّن إلى أنّه هو المعرَّض به في خطاب الرجل المؤمن قومَه فقاطعه كلامَه ، وبيّن سبب عزمه علي قتل موسى – عليه السلام –» [1] بأنّه الصواب الذي يشير به عليهم ويرتأيه لهم :

<< ... قال فرعون ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد >> [غافر : ٢٩] كأنّ فرعون يُعرِّض بأنّ كلام الرجل المؤمن سفاهة رأي ، وأنّ الرشاد والصواب هو ما رآه فرعون ، وأشار به ، وهو قتل موسى – عليه السلام – . [2]

هنا استرسل الرجل المؤمن في الحوار ، ولم يُراجع مقالة فرعون ، فهو يريد ضمان استمرارية الحوار ، فعاد لندائهم بـ : يا قومِ ، تلطفاً معهم واستمالة لقلوبهم ، فأخذ يسوق لهم أمثلة عملية واقعية على ما حلّ في الأمم قبلهم من هلاك وتدمير ، جرّاء تكذيبهم لأنبياء الله وتحزّبهم في صدّهم ، وذكر مسمياتهم كقوم نوح وعاد وثمود ؛ على سبيل تدعيم تخويفه لهم بالشواهد الواقعية التي سمعوا عنها وربما رأى بعضهم أطلالها :

<< وقال الذي آمن يا قومِ إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . مثل دأبِ قوم نوحٍ وعاد وثمودَ والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد >> [غافر : ٣٠– ٣١]

فهؤلاء قد جازاهم الله لقاء أعمالهم ودأبهم في الإشراك بالله ، « فالله تعالى لا يحب صدور ظلم من عباده ولا يشاء أن يظلِم عبادَه » [3]، كما أنّ الله بعدله لا يترك عقاب أهل الشرك ، وفي هذا التصريح من الله بالوعيد لمن يُشرك بالله

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤ ، ص ١٣٣ .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤ ، ص ١٣٣ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ٧١ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤ ، ص ١٣٥ .

ويصد عن دعوة الحق على لسان الرجل المؤمن ، سبب في حثّ الناس على الإقلاع عن الشرك والظلم ، فتستقيم الحياة ويعم العدل بين العباد بعضهم بعضاً .[١]

وهكذا يستمر السياق القرآني في عرض الآيات الخاصة بحوار الرجل المؤمن مع قومه ، فيحذّرهم من يوم التناد وهو يوم القيامة حيث ينادي الكفار بعضهم بعضا للاستغاثة والنجدة من أهوال ذلك اليوم ، ممثّلاً لهم بعض مشاهده بأسلوب مؤثر يستجيش وجدانهم خوفاً ورهبة من ذلك اليوم ، ثم يذكّرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم السلبي من يوسف -عليه السلام - وما جاء به من البيّنات ؛ إذ قد كانوا في شك في رسالته ، قادهم إلى تكذيبه وتكذيب من يأتي بعده ، وذمّ لهم الجدل دون برهان واضح أوحجّة بيّنة ، ثم زهّدهم في الدنيا وبيّن لهم حقيقتها الفانية ، وأنّ الآخرة هي دار القرار والإقامة الدائمة ، وأنّ المرء لن ينفعه إلاّ عمله الصالح ، فكلٌّ مجازى بما قدّمه من عمل ، وأنّ الجنّة جزاء الإيمان الذي يمثل طريق النجاة والفوز في الآخرة .[٢]

رابعاً : تربوية الوِجهة :

فالقصص القرآني وسيلة دعوية تربوية ، فهي تُسهم في بناء الإنسان تصوراً وسلوكاً ، فأما من ناحية الفكر فهي تمدّ ه بزخم من التصورات العقدية ، سبق الإشارة إليها .

---

[١] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٤، ص ١٣٥ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ٧٢ .

[٢] انظر : باقي الآيات من سورة غافر من الآية : ٣٢- ٤٥ / وانظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٣٠٦٧ / وهبة الزحيلي : التفسير الوجيز ، ص ٤٧١ - ٤٧٣ .

وأما من ناحية السلوك ، فهي تمدّه بنموذج بشري واقعي لتطبيق هذه التصورات في الحياة الدنيا ، وتربيه الإيمان بالله والاستقامة على نهجه في أسمى صُوَرِه البشرية المُمثّلة في النبي ومن اتّبعه من المؤمنين ، حتى أصبحوا بفضل تطبيقهم لهذا الدين في حياتهم قدوة ومثلاً يُحتذى ، قال تعالى فيهم : << أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقْتَدِه ...>>[الأنعام : ٩٠] ، وقال تعالى في إبراهيم – عليه السلام – : << إنّ إبراهيم كان أمـّة قانتا لله حنيفاً ولم يكُ من المُشركين >> [النحل : ١٢٠] ، ومعنى أمّة : أي « مُعَلِّماً للخير ، إماماً قدوةً جامعاً لخصال الخير ، أو قائماً مقام جماعةٍ في عبادة الله » [1] ، وعندما يدعو الله الباريء – عزّ وجل – للاقتداء بفئة معيّنة ففي ذلك دلالة على رفعة هذه الفئة وعظم شأنها عند الله ، أن وصلت إلى هذه الدرجة التي يدعو الله الناس إلى اتخاذهم قدوة ومثلاً ، فهم من شملتهم المعية الربانية بالعناية والرعاية ، وساروا على منهج الله فكراً وممارسة ، فكانوا أمثلة حيّة فاعلة ترجمت هذا المنهج إلى واقع عملي ، فكانت سِيَرُهم المثلة في القصص القرآني نموذجاً تربوياً رفيعاً ، وهذه القصص ثرية بما يفيد هذه الوجهة في البحث من الشواهد والأمثلة ، خاصة في جانب الأدب مع الله ، الذي نال حيّزاً كبيراً في حياة أنبياء الله .

فمن ذلك أدب إبراهيم – عليه السلام – في بيانه لصفات الله عزوجل أثناء حواره مع قومه بشأن دعوتهم إلي التوحيد ، وإقناعهم بأنّ آلهتهم المدّعاة لا تملك لهم شيئاً مما نسبوه إليها ، فهي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر، فقد جاء قول إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء :<< الذي خلَقَني فهو يهدين . والذي هو يُطْعِمُني وَيَسْقِين .وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِين . والذي يُميتُني ثُمَّ يُحْيين .

---

[1] محمد حسن الحمصي : قرآن كريم تفسير وبيان ، ص ٢٨١ / وانظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٥١٠ .

والذي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لي خطيئتي يومَ الدين >> [الشعراء : ٧٨- ٨٢] فهنا يصف إبراهيم - عليه السلام - ربَّه بما يستحق توحيد العبادة لأجله ، فالله هو الخالق الهادي إلى سواء السبيل ، الرازق ، دافع ضرَّ المرض ، وجالب نفع الشفاء ، الذي بيده الإماتة والإحياء ، فعدّد - عليه السلام - هذه الصفات جميعها مُسنِداً إياها إلى الله - عز وجل - ، ما عدا فعل المرض الذي أسنده إلى نفسه فقال : << وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِ >> [الشعراء : ٨٠] ، تأدباً مع الله عزّ وجل ، فهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح ، ولكنّه يذكر ربّه في مقام الإنعام والإفضال إذ هو الخالق الهادي ، الذي يطعمه ويسقيه ، ويشفيه ، ولا يذكره في مقام الابتلاء حين يبتليه ، « مراعياً في لفظه الإسناد إلى الأسباب الظاهرة في مقام الأدب ، فأسند إحداث المرض إلى ذاته ولأنه المتسبب فيه ، كما أنّه أطلق على رجاء المغفرة لفظ الطمع ؛ تواضعاً لله تعالى ، ومباعدة لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة وإنما طمع في ذلك لوعد الله بذلك »[1] ، فهو يرجو رحمة ربّه خشية أن تكون له خطيئة [2]، إنّه شعور التقوى من إبراهيم - عليه السلام -، وشعور الأدب ، وشعور الخشية والإنابة والإخبات [3] . [4]

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ١٩، ص ١٤٣ .

[2] وهذا لا ينافي عصمة الأنبياء ؛ إذ العصمة في تحمّل الرسالة والتبليغ عن الله ثابتة باتفاق المسلمين أما العصمة عن الخطأ والمعصية ، فقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أنّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر . انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٠ ، جـ ٤، ص ٣١٩ / عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات ، ص ٩٧ ، ١٠٧ - ١٠٨ .

[3] الإخبات : التواضع ، انظر : الراغب الأصفهاني : المفردات ، ص ١٤١ .

[4] راجع : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٦٠٣ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٨٤- ٤٨٥ .

خامساً : الواقعيـــة :

وتبرز هذه السِمَة في جانبين :

١-واقعية الحدث ، فالقصص القرآني تمثّل واقعاً معيشاً بكل ما يحمله هذا الواقع من مجريات الحياة الدنيا الاعتيادية .[1]

فمثلاً في قصّة موسى – عليه السلام – جاء ذكر ابنتي شعيب ، وقضية الماء والمرعى وسقيه لهما ثم مقابلته لأبيهما ثم زواجه من إحداهما ، وهذه كلها أحداث واقعة ، قال تعالى : << ولما توجّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديَني سواءَ السبيل . ولما ورد ماء مديَن وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليَّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا فلمّا جاءَه وقصَّ عليه القصص قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين . قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين . قال إنّي أريد أن أنكِحَك إحدى ابنتَي هاتين على أن تأجُرَني ثمانيَ حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشقّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيّما الأجلين قضيتُ فلا عدوان عليَّ والله على ما نقول وكيل >> [القصص : ٢٢-٢٨] ، فهنا صور القصص القرآني هذه الأحداث في واقعية طبيعية دون تكلّف أو تزييف ، ولكنه جاء بها في قالب قصصي موجّه ليحقّق أهدافاً دينية دعوية من عرضها بهذه الصورة ، فهي تحمل معاني كثيرة من الأمانة

---

[1] راجع : صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، جـ١ ، ص ١٥ .

والقوّة ، ودوام الصلة بالله والتضرّع إليه ، والحياء ، والعفّة والطهر ، والشرَف وغيرها من المعاني التي ضمتها أحداث واقعية معيشة لا تَكَلُّف فيها ولا تَصَنُّع ، وإنما تمثل مجريات عادية من أحداث الحياة الدنيا .

٢- واقعية الشخصية ، وهي واضحة في شخصية النبي ، الذي يمثّل أداة التأثير البارزة في القصّة ، فعلى الرّغم من أنّ الأنبياء نماذج مثالية في عصمتها ، رفيعة في بشريتها ، إلاّ أنّ وسيلة القصص القرآني كانت واقعية في عرضها لهذه النماذج ، بمعنى دقّة تصويرها لجانبي شخصية النبي [١] وهما :

١-الجانب النبوي المتمثّل في عصمة الله له ، وتأييد ه بالمعجزات .

٢- والجانب البشري المتمثّل في مجال التميّز والرفعة في تطبيق هذا الدين في واقع حياة النبي ، والمجال الاعتيادي فيما يعتري الإنسان من عواطف وانفعالات .

فمن النماذج القرآنية الجامعة لكلا الجانبين قوله تعالى في موقف تكليف موسى – عليه السلام – بدعوة فرعون إلى الهدى وتخليص بني إسرائيل : << وإذ نادى ربك موسى أن ائتِ القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال ربِّ إني أخافُ أن يكذّبون . ويضيق صدري ولا ينطلِقُ لساني فأرسِل إلى هارون . ولهم عليَّ ذنبٌ فأخاف أن يَقتلُون . قال كلا فاذهبا بآياتنا إنّا معكم مستَمعون . فأتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ ربّ العالمين . أنْ أرسِل معنا بني إسرائيل >> [الشعراء: ١٢-١٧] ، ففي هذه الآيات بيان ما اعترى موسي – عليه السلام – من نوازع البشر المتمثل في الخوف من ظلم فرعون وجبروته

---

[١] راجع : مصطفى عليان : بناء الشخصية في القصة القرآنية ، ص ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠-٤١ ، ٨٨ .

وعتوّه ، وتكذيبه وقد يقتله لقاء القبطي الذي قتله قبل أن يفرّ منهم إلى مدين ، ومن ثم ، فهو يُظهِر ما به من ضعف وقصور لا ليتنصّل أو يعتذر من التكليف ، ولكن ليطلب العون والمساعدة في هذا التكليف العسير ، إذ قد يتبع هذا الخوف ضيق في الصدر وحبسة في اللسان قد تعجزه من حسن تبليغ الدعوة وبيانها ، فسارع إلى طلب العون بأخيه هارون ، حتى إذا أدركت موسى حبسة أو ضيق نهض هارون بالجدل والمحاجة والبيان ، فطمأنه ربّ العزّة إلى أنّهما في معيّة الله ، فهو يسمعهم ويراهم ، وأرشده إلى القول الذي يتوجه به إلى فرعون .[1]

وقد بُيّن في آيات أُخَر المعجزة التي أيّد الله عز وجل بها موسى – عليه السلام – وهي العصا في مقابل سحرهم وتخييلهم للناس بالحبال والعصي على أنها حيّات وثعابين تسعى ، إذ قد ورد في بعض التفاسير [2] أنّ هذه العصا قد صارت تنيناً عظيماً ، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبقِ منه شيئاً إلاّ تلقفته ، قال تعالى : << قال بل ألقُوا فإذا حبالُهم وعصيّهم يُخيَّلُ إليه من سحرِهم أنّها تسعى . فأوجس في نفسه خيفةً موسى . قلنا لا تخف إنّك أنت الأعلى . وألقِ ما في يمينك تلقفْ ما صنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحرٍ ولا يُفلِح الساحر حيث أتى >> طه [٦٦- ٦٩] .

وأما من شواهد ما اعترى الأنبياء من أمور بشرية اعتيادية تخص عواطفهم وطبيعتهم البشرية ، فهو موقف نوح – عليه السلام – من ابنه الكافر ، وعاطفته

---

(١) انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٥٨٩- ٢٥٩٠ . / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٢٨٥ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٩٥ .

(٢) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ ١٦ ، ص ٢٥٨ / : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .

نحوه ، فنوح – عليه السلام – كان رحيماً ، مُشفقاً على قومه ، يرجو هدايتهم حريص على إجابتهم دعوته ، ومن باب أولى أن يحرص على هداية أقرب النّاس إليه ، خاصة ابنه ، الذي حمله عطف الأبوة أن يدعوه من السفينة أثناء الطوفان أن يركب معه ، ولكنّه أبى ، وحال بينهما الطوفان ، قال تعالى : << وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ونادى نوحٌ ابنه وكان في معزلٍ يا بنيٍّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء قال لا عاصم اليومَ من أمر الله إلاّ من رَحِمَ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين >> [هود : ٤٢- ٤٣] ، وبعد أن انتهى الطوفان وأنجى الله نوحا ومن معه ، يعود نوح – عليه السلام – مرّة أخرى حانياً على ابنه ، راجياً له النجاة في من وعده الله بنجاتهم ، قال تعالى : << ونادى نوحٌ ربّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وعدك الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوحُ إنّه ليس من أهلك إنَّ عَمَلٌ غيرُ صالح فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين >> [هود : ٤٥ – ٤٦] فجاءه الوعظ من الله – عز وجل – أن يكون من الجاهلين في طلبه هذا ، وجاء في تفسير الجهل في الآية بأنّه الجهل بحقيقة الروابط بين الناس ، وأنّ القرابة الحقيقية هي قرابة الدين ، لا قرابة النسب ، وأنّ الأهل في الدين هم أهل الإيمان والتوحيد ، فالابن الكافر لنوح ليس من أهله في الحقيقة التي يدعو إليها أنبياء الله ، ويعلنونها للناس ، فالولاء والبراء في الدين قائم على الإيمان بالله وتوحيده ، وذلك هو الفاصل بين قرابة الدين وقرابة النسب ، وسواء كانت هذه الموعظة عتابا لنوح من أن يقع في مثل هذا الذنب ، أو أنها توجيه وإرشاد له بألا يقع الذنب في الاستقبال ، فإن نوحا – عليه السلام – امتثل أمر ربه ، وتوجه إليه مباشرة بطلب الإعاذة من الجهل ، راجياً مغفرة الله ورحمته [1] : << قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس

[1] انظر : مصطفى عليان : بناء الشخصية في القصة القرآنية ، ٥١ /محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٩٠-٢٩١ .

لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين >> [هود : ٤٧ ٤٨] ، فتقبّل الله منه دعاءه ، وأنعم عليه بالسلامة والأمن والبركة [١] : << قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممَّن معك ... >> [هود : ٤٨] .

فالأنبياء بشر ، ويعتريهم ما يعتري الإنسان في الجانب الاعتيادي من حالات القوة والضعف ، خاصة فيما يتعلّق بالانفعالات والعواطف ، ومن ثم ، كان عرض القرآن لمثل هذه الأمور واقعياً كما رأينا من خلال المثالين السابقين ، فأسلوب القصة في القرآن « لا يجعل لحظة الضعف بطولة تستحق الإعجاب ، ولكنه يعرضها عرضا واقعيا خالصا فلا يقف عندها طويلا وإنما يسرع ليسلط الأنوار على لحظة الإفاقة ، لحظة التغلب على الضعف البشري ، لأنها هي الجديرة فعلا بتسليط الأنوار عليها وهي في حقيقتها الإنسان الذي كرمه الله وفضله » [٢] ، ومع ذلك فمثل هذه المواقف التي تُنبي عن طبيعة الأنبياء البشرية وما يعتريهم من مشاعر « ذات فاعلية في بنية الحدث القصصي وحركته ، من حيث اتصالها بالمفاجأة وتغير مجرى الحدث ، بما يمنحه من نماء وابتعاد عن السرد الرتيب ، فضلا عن أن ذلك يهب الشخصية كياناً أقوم وأوقع في تصوير قوتها وضعفها ، ويمنحها ذاتية متفردة واضحة بمجاوزة النمطية والتماثل والتشابه » [٣] .

وكما أنّ الحالات الاعتيادية من عواطف وانفعالات بشرية والتي تمثّل أحيانا حالات ضعف ونقص ، واقعٌ في القصص القرآني ، فكذلك حالات الرفعة والسمو

---

[١] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص٢٩١ .

[٢] محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٩ / وانظر : مصطفى عليان : بناء الشخصية في القصة القرآنية ص ٥٤ .

[٣] مصطفى عليان : بناء الشخصية في القصة القرآنية ، ص ٥٣-٥٤ .

تعدّ واقعاً في القصص القرآني ، بل أنّها تمثل جانباً كبيراً في هذه القصص ، كما رأينا في الشواهد الواردة في ثنايا التمهيد ، فلا تكاد تخلو قصة من قصص الأنبياء من مواقف رفعة وسموّ سواء في الجوانب الخاصة بالنبي في ذاته أو في علاقاته بالآخرين .[١]

و يجدر التنويه هنا إلى أنّ تفاوت شخصيات الأنبياء في المواقف ، كان له أثره البارز في تقرير الواقعية ، التي ظهرت خاصة في أساليب الدعوة وطريقة التكيف مع الموقف ، بحيث برز كل نبي من الأنبياء الوارد ذكرهم في القصص القرآني بجانب عقدي تربوي كان له ثقله في منهج دعوته إلى الله ، كصفات الحلم والأناة ، واللين والرفق ، والقوّة والبأس ، والعلم والحكمة ، فقد كانت متفاوتة بين الأنبياء ؛ بحيث لا تُسَوِّغ مراكمة الأوصاف الشخصية في كل موقف من المواقف ، فتُخْرَج القصة القرآنية من نطاق الواقعية ، ويُغيِّب البناء الحقيقي للشخصية ، والذي يُمثّل قاعدة الارتكاز لعنصر رئيس في القصة وهو النبي .[٢]

سادساً : الوضوح :

إنّ القصص القرآني وسيلة واضحة غير معقّدة أو غامضة ، فهي واضحة في أهدافها ، سواء ما صرّحت به آيات القرآن ، أو ما استنبط من آيات القصص نفسها ، وقد فصّل ذكره في الفصل الأول من هذا الباب ، وهي واضحة في موضوعاتها ، خاصة العقدية منها ، لأنّها تمثل الأصول والقواعد لهذا الدّين ، فلا

---

[١] انظر : محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص ٥٦ .

[٢] راجع : مصطفى عليان : بناء الشخصية في القصة القرآنية . ٨٥-٨٨ .

يعتريها غموض أو لبس ، وآياتها مبثوثة في القصص القرآني ، بصورة إنسيابية طبيعية ، لا تكلّف فيها ، فالوضوح كان سمة بارزة سواء في الأهداف أو الموضوع أو طريقة العرض وغيرها من متعلّقات القصة ، والتي تم إيراد شواهد منها في الفصول السابقة .

سابعاً : تعدّد مواطن ورود بعض القصص :

ويُقصد به ذكر بعض القصص في أكثر من سورة في القرآن الكريم ، فمن ذلك مثلاً قصة موسى ، وقصة إبراهيم - عليهما السلام - فهما من أكثر القصص ورودا في القرآن [1] ، فقصّة موسى -عليه السلام - جاءت في قرابة الثلاثة وعشرين سورة من القرآن ، نالت سورة طه وسورة الأعراف وسورة الشعراء وسورة القصص نصيباً وافراً منها [2] ، وأما قصة إبراهيم - عليه السلام - فقد جاءت في قرابة السبعة عشر سورة من القرآن ، نالت سورةالصافات وسورةالأنبياء وسورةالشعراء وسورةالأنعام [3] حيزاً كبيراً منها [4] ، ويلاحظ مما عُرض في الفصول السابقة أنّ قصص هذين النبييّن خاصة ، من أغنى القصص بالموضوعات العقدية ، مما يبرز مدى أثر العقيدة في تعدّد مواطن ذكر القصة .

وفي الحقيقة هذا التعدّد ، لم يشمل جميع حلقات القصة ، بل كان هناك انتقاءٌ لمشاهد معيّنة تعدّد ذكرها في سور مختلفة ، لُمِس فيها تعدّد المقاصد

---

[1] انظر : التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، ص ١١٧ / ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٢٥٢ .

[2] انظر : سورة طه : الآيات ٩ - ٩٨ / سورة الأعراف : الآيات ١٠٣ - ١٧١ / سورة الشعراء : الآيات ١٠-٦٨ / سورة القصص : الآيات ١- ٣٢ .

[3] انظر : سورة الصافات : الآيات ٨٣ - ١١٣ / سورةالأنبياء : الآيات ٥١- ٧٣ / وسورة الشعراء : الآيات ٦٩- ٨٩ / سورةالأنعام : الآيات ٧٤- ٩٠ .

[4] انظر : فضل عباس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ١٢٩ ، ٢٢٢-٢٢٣ ،

والعبر المُستقاة منها في كل موطن على حِدة ، فكان التعدّد ظاهراً في تعدّد العبر أكثر منه في تعدّد الصور ، خاصة أن هذا التعدّد صاحبه تنوّع في الأسلوب ، فمن الشواهد البارزة في ذلك ، حلقة مواجهة موسى – عليه السلام – لفرعون وما حوته من حوار وتحدّي وغيرها مما جاء في القصة ، فقد عُدَّت من أكثر الحلقات مساحة وحوادث في قصص القرآن [1] ، فهي تقريبا قد وردت في سبعة عشر سورة على اختلاف بينها في عدد آيات الحلقة الواردة فيها ، تصدرتها في الكم كل من سورتي الأعراف وطه [2] ، ومن أبرز المشاهد التي تعدّد ذكرها فيها مشهد موقف السحرة من موسى – عليه السلام – سواء في بداية المواجهة حين تحدّوه أو في ختام المواجهة حين آمنوا به وخرّوا لله سجداً ، فقد وردت مشاهد هذا الموقف في أربع سور من القرآن وهي الأعراف ، وطه ، والشعراء ، ويونس [3]، نالت الثلاثة الأوّل منها النصيب الوافر في عرض هذه المشاهد بتفصيلاتها .

---

[1] انظر : فضل عباس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ٢٧٢ .

[2] انظر : سورة الأعراف : الآيات ١٠٣ – ١٣٦ / سورة طه : الآيات ٢٤– ٧٩ .

[3] انظر : سورة الأعراف : الآيات ١١٣– ١٢٦ / سورة طه : الآيات ٦٥– ٧٦ / سورة الشعراء : الآيات ٤١ – ٥١ / سورة يونس : الآيات ٨٠ – ٨٢ .

الباب الثاني

ضوابط استخدام منهج القصص في الدعوة إلى العقيدة

الفصل الأول : ضوابط الأهداف .

الفصل الثاني : ضوابط الموضوعات .

الفصل الثالث : ضوابط الوسائل .

توطئة

تبيّن لنا مما سبق بحثه في الأبواب السابقة المكانة الدعوية الفاعلة للقصة القرآنية في منهج الدعوة إلى العقيدة ، من خلال ذكر موضوعاتها العقدية والخصائص التي تميّزت بها في هذا المنهج ، الذي اعتُمِدت فيه القصة القرآنية وسيلةً في الدعوة إلى العقيدة ، فالقرآن الكريم قد قرّر مشروعية الاعتماد على القصة القرآنية في الدعوة من خلال آيات القصص القرآني نفسها أو إشارات القرآن الكريم إليها ، كقوله تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...>> [يوسف : ١١١] ، وقوله تعالى مخاطباً النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – : << ... فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون >> [الأعراف : ١٧٦] ، وبالرغم من عدّ هذه المشروعية منطلقاً للبحث في وسيلة القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة ، إلاّ أنّ هذا البحث يظلّ في حاجة للضبط ؛ بُغية ضمانة سلامة المسار ، و ضمانة تحقيق الهدف ، ومن ثم ، سيكون مجال البحث في هذا الباب ، موضوع ضوابط التعامل مع القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة .

الفصل الأول

ضوابط الأهداف

لا يخلو منهج من أهداف تحكم وجهته ، وترسم مساره ، وتكون بمثابة المقاصد أو الأغراض التي تدور حولها باقي مشتملات المنهج من موضوعات ووسائل وضوابط وغيرها ، بحيث تصبّ جميعها في بوتقة تحقيق هذه الأهداف في الواقع ، فضمان الاستمرارية للمنهج كامنٌ في مدى تحقّقه وفاعلية أهدافه ، ومن ثم ، كان للأهداف أهمية بارزة في حفظه وضمان ديمومته ، بالإضافة إلى أثر رفعتها وسموها في الرقي بالمنهج ، فهي تمثل القواعد والأركان في تصوراته التي انبثق منها ، ومن هذا المنطلق يكون تقييم **المناهج المعاصرة** سواء المذهبية الدينية أو التربوية أو السياسية أو الاقتصادية ...إلخ ، والتي أثبتت في عالم الواقع قصوراً وعجزاً عن تحقيق نفع البشرية وصلاحها ، فعالمنا المعاصر مثلاً يشهد بسقوط الشيوعية ، وينذر بتدهور الرأسمالية ، وهما المنهجان الفكريان اللذان سادا في القرن الأخير ، وما هذا السقوط في حقيقته إلاّ لتدخل العقل الإنساني القاصر في تسيير حياة البشرية على مناهج انحرفت عن الدين الحق ، واتّبعت هواها الذي جرّها إلى الباطل والفساد الذي تئن من عواقبه الأمم ، مما حدا بها إلى التيه والتخبط تروي ضمأها في المجون

والفساد والإباحية ، غافلة عن حقيقة الغاية من وجودها ، فكان التخبّط في تصوراتها ممثلاً في أهدافها ، وتبعاً لذلك كان التخبط والانحراف في ممارساتها ، وهكذا كلما انحرفت البشرية في منهج حياتها عن الحق واتّبعت الباطل كان مصيرها الفشل والتيه وإن تعدّدت صوره وأشكاله ، **وإن هذا الواقع المزري خير شاهد على أهمية الأهداف في مناهج حياة الأمم ، فبها وعليها قوام حياتها وضمان استمرارية كرامتها ، ومن هنا تبرز أهمية المنهج الإسلامي للحياة ، وأهمية أهدافه** ؛ لكونه منهجاً ربانياً ، فالله عزّ وجل أنزله في كتابه الكريم ، لتصلح به حياة البشر ، فكان رباني الوجهة ، رباني الصياغة ، ذا أهداف ربانية تسمو بالبشرية إلى تحقيق كرامتها الإنسانية وتحقيق الغاية الحقيقية من وجودها ، وهي العبودية الخالصة لله عز وجل ، والتي بها صلاح دينها ودنياها ، وما التاريخ الإسلامي إلاّ شاهد على مدى فاعلية هذا المنهج يوم أن طبّق في واقع الحياة ، خاصة القرون الثلاثة الأولى والتي حازت مقام الخيرية بين القرون [1] لما وصلت فيه من تطبيق فاعل لهذا المنهج في حياتها ، فعمّ بفضل ذلك الخير و العدل والكرامة والحرية [2] ، فالمنهج الإسلامي للحياة يجمع بين الأصالة والواقع ، فهو أصيل بمنابعه الربانية ، واقعيٌّ بصلاحيته الدائمة ، وإنّ الهدف الرئيس الذي يقوم عليه هو تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل ، قال تعالى : << وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون >> [الذاريات : ٥٦] ، ومن ثم ، فهو يمثل المحور الذي تدور حوله غايات ومقاصد هذا المنهج ، بما شمله من تنوّع في موضوعاته سواء العقدية ، أو الدعوية ،

---

[1] قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « خيرُ النّاس قَرْني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونهم » (صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٢٣٦٢ ، كتاب الرقاق ، باب (٧) ، ح ٦٠٦٥ / صحيح مسلم ، مج ٤ ، ص ١٩٦٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥٢) ، ح ٢١٠) .

[2] راجع : أكرم العمري : الإسلام والوعي الحضاري ، ص ١٤٩– ١٧٩ .

أو التربوية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية ...إلخ ، فكل موضوع اختص بأهداف ميّزته بالمجال الذي اختص به ، لتكوّن جميعها منظومة منهجية ، لا يصلح زمان ولا مكان إلاّ بها ، وما نراه من غثائية [1] العالم الإسلامي في واقعنا المعاصر ، وسوء ممارسات بنيه لهذا المنهج ، له أسباب عديدة من أبرزها الغفلة عن حقيقة هذه الأهداف وواقعية تطبيقها ، فما مرّ بأمّة المسلمين من نكبات ومصائب حالت بينها وبين الفهم الصحيح لهذا المنهج ، وكرّست فيها الأمية والجهل لهذا الدين ، وكانت كفيلة بتعتيم حياتها لولا رحمة الله في وعده بحفظ هذا الدين قال تعالى :<< إنّا نحن نزلنا الذِّكْر وإنّا له لحافظون >> [الحِجْر : ٩] ، فكان هناك دائماً بصيص نورٍ يسترشد به الظاهرون على الحق [2] ، ليحملوا هذا الدين من جديد ، متمثّلين أهدافه واقعاً فاعلاً في حياتهم ، فإذن المنهج الإسلامي للحياة وحده الذي امتاز بسلامة التصوّرات والتي تترتّب عليها سلامة الممارسات ؛ ولا غرو في ذلك لأنه من لدن حكيم خبير << ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير >> [الملك : ١٤] ، وتبعاً لذلك ، يشتدّ الحرص على ضمانة سلامة التصورات ، خاصة موضوع الأهداف فيها ، فهي المعوّل عليه في تحديد الوجهة ، وضبط المسار ، في تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل ، **ولأنّ اعتماد تحديد هذه الأهداف على اجتهاد البشر في فهم الدين ، فكان لا بد من وضع ضوابط** لتحديدها ، ذات أصول شرعية قوامها الرئيس كتاب الله عز وجل وسنة

---

[1] قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يوشِكُ الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلةُ إلى قصْعتِها » فقال قائلٌ : ومن قلّة نحن يومئذٍ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل ، ولَينزعنّ اللهُ من صدور عدوكم المهابة منكم ، ولَيقذفن في قلوبكم الوَهن » فقال قائل :يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : « حبُّ الدنيا وكراهية الموت » (سنن أبي داود ، جـ٤ ، ص ٤٨٣–٤٨٤= = كتاب الملاحم (٣١) ، باب (٥) ، ح ٤٢٩٧ / مسند أحمد ، مج ٥ ، ص ٢٧٨) .

[2] قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرّهم من خذَلَهم ، حتى يأتي أمرُ الله وهم كذلك » (صحيح مسلم ، جـ٣ ، ص ١٥٢٣ ، كتاب الإمارة ، باب ٥٣ ، ح ١٩٢١) .

رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وتكون تابعة للمجال الذي تختص به من عقيدة ودعوة وتربية وسياسة واقتصاد ...إلخ ، ولكون موضوع الرسالة قد اختص بمنهج الدعوة إلى العقيدة ، وقد سبقت الإشارة [١] إلى أهدافه من اعتماد القصص القرآني وسيلة للدعوة إلى العقيدة ، فإنّ هذا الفصل من الرسالة سيكون مدار البحث فيه حول **ضوابط تحديد هذه الأهداف** ؛ بُغية رسم المعالم المنهجية الشرعية لموضوع تحديد أهداف منهج الدعوة باستخدامه أو اعتماده للقصة القرآنية وسيلة للدعوة إلى العقيدة .

وسيتم تقسيم هذه الضوابط إلى قسمين :

أولاً : ضوابط مصدر تحديد الأهداف :

يتناول موضوع هذه الرسالة الأهداف من خلال القصص القرآني فقط ، ووفقا لذلك يكون المصدر الرئيس المُعتمد في تحديد هذه الأهداف هو القرآن الكريم ، وهذا لا يمنع من الاستعانة إذا لزم الأمر بمصادر التشريع الإسلامي الأخرى مثل السنة النبوية ، وأقوال الصحابة واجتهادات العلماء خاصة المفسرين منهم ، ومن ثم تنضبط مصادر تحديد هذه الأهداف بمصادر التشريع الإسلامي ، وفي مقدمتها الكتاب والسنة .

---

[١] ص ١٤٤ – ١٦٤ من الرسالة .

ثانياً: ضوابط تحديد الأهداف :

١- عدم تجاوز حدود السياق القرآني الخاص بالقصة :

وذلك بمراعاة الالتزام بالسياق الذي وردت فيه آيات القصة القرآنية ، بمعنى تحديد الأهداف بتقديم النوع على الكم ، بحيث لا تُثقل النصوص بالأهداف ، ولا يكون هناك تجاوز للحد في تحديد الهدف ، فيُكتفى حينئذٍ بذكر الهدف بما يفيد موطنه الذي حدّد منه ، فالسياق القرآني الذي وردت فيه القصة له دور كبير في ضبط تحديد الأهداف ، فمثلاً ورد في قصة عيسى -عليه السلام- قوله تعالى : << قال الله هذا يومُ يَنفَعُ الصادقينَ صِدقُهُم لَهُم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضيَ الله عنهم ورضُوا عنه ذلك الفوز العظيم >> [المائدة : ١١٩] ، فهذا السياق في القصة ورد بعد مخاطبة الله عزّ وجل لعيسى - عليه السلام -في يوم القيامة بحضور من اتخذه وأمه إلهين وهم النصارى [(١)] قال تعالى : << وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلتَ للناس اتّخذوني وأميَ إلَهَيْنِ من دون اللهِ قال سُبْحانَك ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليس لي بحقٍّ إن كنتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَهُ تَعلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك إنّك أنت علاّمُ الغيوب . ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أنِ اعبدوا الله ربّي وربَّكم وكُنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم فلمّا تَوَفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيد . إنْ تُعذِّبْهُم فإنّهُم عبادُك وإنْ تغفر لهم فإنّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ >> [المائدة : ١١٦-١١٨] فكان هذا القول تهديداً للنصارى وتوبيخاً وتقريعاً لهم على رؤوس الأشهاد [(٢)] ، فلو نظرنا لأهداف قصة عيسى عليه السلام من خلال

---

(١) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ١٠٥ .

(٢) انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ١٠٥ .

هذه الآيات مثلاً فسنجد ما يلي :

١- تقرير بطلان ادعاء النصارى ألوهية عيسى وأمه في مشهد العرض يوم الحساب ، ليكون أبلغ في تهديدهم وردعهم عن الاستمرار في هذا الادّعاء سواء في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أو ما بعده .

٢- بيان أدب النبوّة في الخطاب مع الله – عز وجل – :

فقد نزّه عيسى – عليه السلام – اللهَ – تعالى – ابتداءً فقال : << سبحانك >> ، ثم أثنى عليه بذكر أنهَ – عزّ وجل – علاّم الغيوب << إن كنتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَهُ تَعلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك إنّك أنت علاّمُ الغيوب >> [المائدة : ١١٦] ، ثم أظهر خضوعه وطاعته لله عز وجل في تبليغ دينه << ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أنِ اعبدوا الله ربّي وربّكم وكُنتُ عليهِم شهيداً ما دُمتُ فيهِم فلمّا تَوَفّيْتَني كنتَ أنتَ الرّقيبَ عليهِم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيد >> [المائدة : ١١٧] ، ثم ردّ المشيئة لله عز وجل << إنْ تُعذِّبْهُم فإنّهُم عبادُك وإنْ تغفِرِ لهم فإنّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ >> [المائدة : ١١٨] ، فإنه الفعال لما يريد دحضاً لمن جعل لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً [1].

٣- التذكير بأهمية الصدق في تقرير العقيدة ، و عظم أجره عند الله << قال الله هذا يومُ يَنفَعُ الصادقينَ صِدقُهُم لَهُم جنّاتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضيَ الله عنهم ورضُوا عنه ذلك الفوز العظيم >> [المائدة : ١١٩] .

فهذه ثلاثة أهداف رئيسة تضمنها هذا السياق من قصة عيسى – عليه

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ١٠٦ .

السلام - ، والمجال مفتوح للاجتهاد في تحديد الأهداف ، ولكنه في حدود النص المحكوم بالسياق الذي ورد فيه ، فمثلاً لا ينبغي التوسع في الهدف ، كأن أتحدث عن الصدق في الأخلاقيات ، وأهميته وعظم أجره ، فمواطن هذا الهدف غير هذه القصة في هذا السياق ، لأنّ الصدق المذكور في هذه القصّة كان متمحورا حول تقرير العقيدة الصحيحة في عيسى -عليه السلام - ، دحضاً لافتراءات من ادعى ألوهيته وأمّه ، فالمؤمن لا يكذب ومن باب أولى لا يكذب في العقيدة ، لأنها إذا اختلّت اختلّ معها كيان الأمّة وزاغت عن سواء السبيل ، كما حدث للنصارى واليهود وما زال ، جرّاء كذبهم في العقيدة ، وسيستمر ذلك ما دامت عقيدتهم مكذوبة باطلة مفتراة .

٢- توخّي كمال العبرة في الهدف الذي سيقت القصة من أجله :

إنّ الأهداف قد تتعدد في القصة الواحدة ، ولكن يبقى بينها من هو أكمل وأبلغ من غيره في بيان الهدف الذي سيقت القصة من أجله ، فمثلاً قصة حرق إبراهيم - عليه السلام- بالنار ، قد وردت في ثلاثة مواضع في القرآن ، قال تعالى في سورة الصافات : << قالوا ابنوا له بنياناً فألقوهُ في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين >> [الصافات : ٩٧-٩٨] ففي هذه الآيات اكتفى النص القرآني بالتعبير عن الحرق بهيئة الإلقاء في النار فقط ، أما في الموضعين الآخرين فقد عبّر السياق عن الحرق بالنار بصيغة المبالغة (حرّقوه) أي « المبالغة في الحرق ، أي حرقاً متلفاً »[1] ، قال تعالى : << قالوا حرّقوهُ وانصرُوا آلِهَتَكُم إنْ

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٠٥ .

كنت فاعلين . قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجلناهم الأخسَرين » [الأنبياء : ٦٨- ٧٠] ، وفي سورة العنكبوت : « فما كان جوابَ قومِه إلاّ أنْ قالوا اقتُلُوهُ أو حرِّقوه فأنجاهُ اللـهُ من النـار إنّ فـي ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنـون » [العنكبوت : ٢٤] ، ويُلاحظ أنّ المواضع الثلاثة تشترك في بيان أنّ النهاية كانت في نجاة إبراهيم - عليه السلام - من النّار بأن جعلها الله - عزّ وجل - برداً وسلاماً ، فخرج منها - عليه السلام - سالماً ، فحملت الآيات دلالات على عظيم قدرة الله عز وجل في إظهار المُعجزة لنبيّه إبراهيم - عليه السلام - في عدم مساسه بسوء من النّار ، لأنّ الله عز وجل بقدرته قد سلبها خاصية الإحراق ، فكان أن خرج منها سالماً ، ليظهره الله عز وجل على الكافرين ، ولتكون آية له بين قومه ، وللعالمين مـن بعده ، فهدف بيان قـدرة الله - عز وجل - ظاهر بيّن مـن خـلال آيـات قصـة حـرق إبراهيـم - عليه السلام - ، ولكن هل هذا الهدف يحقق المثالية في تحديد الهدف من هذه القصة ؟ بمعنى هل كمال العبرة يكمن في هذا الهدف ؟ فبيان معاني قدرة الله عزّ وجل شملتها معظم آيات القرآن الكريم ، وربما كان مجالها أوسع في مواضع أخر تُعدّ أكثر بروزاً وظهوراً وديمومة من غيرها للنّاس جميعاً ، كبديع خلقه تعالى في هذا الكون ، وفي الإنسان نفسه ، قال تعالى : « وسنُريهـم آياتنا في الآفـاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحق ... » [فُصّلت : ٥٣] ، فإذن هناك هدف آخر جاءت هذه القصة لتبرزه دون غيره من الأهداف ، فقصـةّ حـرق إبراهيم -عليه السلام - وردت في السور الثلاث في سياق بيان الابتلاءات التي مرّ بها أنبياء الله في مواجهتهم للمكذّبيـن من أقوامهـم ، ففي سـورة الصافـات قبل ذكر قصـة إبراهيـم - عليه السلام - ورد قولـه تعالـى : « ولقـد ضـلّ قبلهـم أكثـر الأوّليـن

الأولين . ولقد أرسلنا فيهم مُنْذِرين . فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين . إلا عباد الله المخلَصين >> [الصافات : ٧١-٧٤] بمعنى أن الأمم الماضية كان أكثرهم ضالين ، يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وقد تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك الله المكذبين ونجى المؤمنين ونصرهم [١]، وقد ورد بعد هذه الآيات ذكر قصة نوح – عليه السلام – ، ثم ذكر قصة إبراهيم – عليه السلام – حول محاورته لقومه في توحيد الله ، وبعدها جاءت حلقة حرقه بالنار ثم حلقة رؤيا الذبح ، وفي قصة الإحراق بالنّار كما ذكرنا اكتفى السياق هنا ، ببيان نجاة إبراهيم – عليه السلام – ، وعرض « العاقبة التي تحقق وعد الله لعباده المخلصين ووعيده لأعدائهم المكذبين << فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين >> أي المغلوبين » [٢] فكان هذا الابتلاء الأول له في نفسه فأنجاه الله منه ، وقد أثبت صبراً وجلداً كما ورد في تفسير المواضع الأخرى ، وأما الابتلاء الثاني فقد كان في ولده وهذا ليس مقام تفصيله ، إذ الشاهد من الكلام هو ورود هذه القصة في مقام بيان الابتلاءات وما أعدّه الله لعباده المُبتلين من نصرة وأجر وثواب ، أما الموضع الثاني وهو في سورة الأنبياء ، فقد استعرض السياق العام للسورة قصص عديد من الأنبياء لتتجلى فيها معاني التوحيد في « صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات ، بعد ما تجلّت في صورة قواعد عامة ونواميس » [٣] ، فمن يصبر على أن يُلقى في النّار ولا يكترث لبشاعة الموت الذي سيلقاه جرّاء هذا التحريق ، إلاّ ذو حظ عظيم من الإيمان بالله وتوحيده والثقة بوعده ، إنّه إبراهيم – عليه السلام – خليل الله الإمام القدوة ، وأمّا سورة العنكبوت فتحمل من مبدئها معاني

---

[١] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ١٣ .

[٢] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩٣ / وانظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١، جـ ٢٣ ، ص ١٤٦ .

[٣] سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦٥ .

الابتلاء والفتنة في هذا الدين ، والصبر على المكاره والتكاليف في سبيل الدعوة إلى التوحيد وإعلاء دين الله [1] قال تعالى : << أفحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون . ولقد فتنّا الذين من قبلهم فلَيعلمنّ الله الذين صدقوا ولَيعلمنّ الكاذبين >> [العنكبوت : ٢-٣] ، « وتُختَم بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبل الله » [2] قال تعالى : << والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين >> [العنكبوت : ٦٩] ، وبين البداية والختام يستعرض السياق العام للسورة قصص الأنبياء مبيّنا الابتلاءات والفتن التي تعرضوا لها في سبيل الدعوة إلى توحيد الله ، ومنهم إبراهيم – عليه السلام – وقصة ابتلائه بالتحريق في النّار ، فإذن موضوع الابتلاء له بروز كبير في هذه الحلقة من قصّة إبراهيم – عليه السلام – لا ينبغي الغفلة عنه أو تجاوزه ، فهدف تقرير البلاء كصفة دعوية للأنبياء واضح بارز هنا ، بالإضافة إلى تقرير شدّة البلاء من إيراد السياق في بيان الحرق بالنّار لفظ التحريق وهو المبالغة في الحرق ، ليدل على شناعة الموقف وشدته ، لا سيّما أنّ إبراهيم – عليه السلام – اشتهر بالرحمة واللين والرأفة ، ولكنّه عليه السلام أثبت صبراً وجلداً ولم يتراجع ، وكان من الممكن أن تكون النجاة قبل الإلقاء في النّار ، ولكن لتكون دلالة شدة الابتلاء أقوى كان الإلقاء ، ثم إذا بالنّار في ظاهرها جحيم أي شديدة الوقود [3] ، وفي باطنها برداً وسلاماً بقدرة الله و إرادته في نصرة إبراهيم – عليه السلام – وتنجيته وإظهاره على المكذّبين من قومه ، فقد صبر على ذلك واحتسب عاقبته عند الله في سبيل ثباته على دعوة الحق ، كما ورد عن ابن عبّاس قوله : « حسبي الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم – عليه

(١) انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٧١٨ – ٢٧١٩ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٧١٩ .

(٣) ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٣ ، ص ١٤٦ .

السلام – حين أُلقي في النّار ، وقالها محمّد – صلى الله عليه وسلم – حين قالوا : << إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل >> [آل عمران : ١٧٣] » [1] ، فالمؤمن ساعة الابتلاء يوطّن نفسه على إحدى الحُسنيين إمّا الشهادة في سبيل الله ، أو النصر ، ومن ثم قد تكون هناك معجزة للنبي في موطن الابتلاء وقد لا تكون ، فتكون حينئذ الشهادة كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « قد كان مَن قبلَكم ، يُؤخذ الرجل فيُحفَر له في الأرض ، فيُجعلُ فيها ، فيُجاء بالمنشار ، فيوضَع على رأسِهِ فيُجعل نصفين ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمِهِ وعظمِهِ ، فما يصدّه ذلك عن دينه ... » [2] ، فإذن كمال العبرة في هذه الحلقة من قصة إبراهيم – عليه السلام في الهدف الذي سيقت من أجله وهو تقرير البلاء كصفة دعوية موجودة للأنبياء ، بالإضافة إلى تقرير شدّة البلاء ليضفي مزيد دلالة على تميّز البلاء بالشدة والكرب ، وربما أمكننا بذلك مراعاة كمال العبرة في الهدف الذي سيقت القصة من أجله في تحديد الهدف .

٣- الدقّة في التحديد والوضوح في الصياغة :

ينبغي مراعاة الدقّة في تحديد الهدف المطلوب ، والوضوح في صياغته بعبارات يسيرة وبيان معبّر عن المطلوب منه ؛ بُغية تسهيل فهمه ، وتيسير إدراكه ، ومن ثم ، يكون توخّي عدم التكلّف في انتقاء الألفاظ والتعابير ، فعندما أمر الله عزّ وجل موسى بالتوجه إلى فرعون ، كان الهدف من الإرسال واضحاً جلياً من خلال الآيات القرآنية ، إذ قال تعالى : << اذهب إلى فرعون إنّه

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٤ ، ص ١٦٦٢ ، كتاب التفسير (٦٨) ، باب ٧١ ، ح ٤٢٨٧ .

[2] البخاري : صحيح البخاري ، جـ ٦ ، ص ٢٥٤٦ ، كتاب الإكراه (٩٣) ، باب (١) ، ح ٦٥٤٤ .

طغى >> [طه : ٢٤] ، فكان الهدف من الإرسال هو الحد من طغيان فرعون أي كفره وتجاوزه للحد خاصة في معاملة بني إسرائيل فقد سامهم سوء العذاب والهوان [١]، وكان التعبير القرآني عن الهدف من الإرسال واضحاً يسير الفهم ، وفي نفس السورة ورد كذلك قوله تعالى : << اذهبا إلى فرعون إنّه طغى . فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّرُ أو يخشى >> [طه : ٤٣- ٤٤] ، ليضيف أهدافاً أخرى ، مثل تبليغ الدين الحق لفرعون ، بُغية بيان الحق أمامه ، وإقامة الحجة عليه ، فلعله يتذكّر ويُمعن النظر فيما بُلّغ به فيتعظ ويؤمن [٢] ، أو تدخل قلبه الخشية مما دُعيَ إليه من التوحيد وبيان عذاب الله في الآخرة لمن كفر وطغى فيخاف عقاب الله فيؤمن .

إنّ أهداف القصص القرآني واضحة جليّة سواء في المعنى أو الأسلوب الذي ترِد فيه ، فمن باب أولى أن تؤخذ في الاعتبار كل من الدقة والوضوح في تحديد الهدف ، لكي لا نُحرَم التيسير في توصيل الأهداف المطلوبة .

٤- عدم تجاوز قدسية الشخصية النبوية :

تحديد الهدف من القصة القرآنية ينبغي أن يتناسب مع قدسية الشخصية النبوية ، بمعنى عدم تجاوز هذه القدسية في تحديد الهدف ، فالقدسية المقصودة هنا ليست للشخصية الذاتية ، وإنما للشخصية النبوية المعصومة ، فمن الأمثلة على ذلك ما ورد في قصة نوح - عليه السلام - حول ابنه الكافر و سؤاله - عليه السلام - النجاة لابنه ، ونهي الله - عز وجل - له أن يسأل مثل ذلك ، كما ورد في

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٢٧ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٠٨ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص١٣٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٠٩ .

سورة هود : << ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وعدك الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين .قال يا نوحُ إنَّه ليس من أهلك إنَّه عَمَلٌ غيرُ صالح فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين >> [هود : ٤٥-٤٦] فالسياق وردت فيه أهداف كثيرة أبرزها تقرير أنّ القرابة هي قرابة الدين والعقيدة وليست قرابة النسب ، فالأهل في ميزان الله هم الأهل في العقيدة والإيمان بالله وتوحيده ، ومن ثم ، خرج ابن نوح الكافر من هذا الميزان ، فناله الغرق ولم يحظَ بالنجاة لأنّ الكفر أخرجه من دائرة الأهل التي وعد الله نوحاً - عليه السلام - بنجاتهم من الطوفان [1]. فالموقف هنا يحمل دلالات اجتهاد نوح - عليه السلام - في سؤاله ذلك من الله ، ولكنّ قدسية شخصية النبي تُلزم التحرّز في تحديد الهدف من إيراد هذا الموقف النبوي دون الإشارة إلى توبة نوح - عليه السلام - وأوبته إلى ربه من سؤاله ذلك ، وعزوه الجهل به إلى عدم علمه بحقيقة المراد بالأهل الذين وعدهم الله بالنجاة معه ، ومسارعته بطلب المغفرة والرحمة لئلا يكون من الخاسرين قال تعالى : << قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين >> [هود : ٤٧] ، فالأنبياء وإن أخطأوا في الاجتهاد وفي الفهم ، ولكنهم لم يُتركوا دون تنبيه ، فتبقى نهاية الموقف بعد تصويب الوحي مقدّسة ، فسؤال نوح - عليه السلام - يفيد تقرير هدف الاتعاظ والاعتبار من أن يسأل المرء مثل ذلك ، أو أن يفهم مثل هذا الفهم في الصلة الحقيقية التي تربط بين الناس ، ومن ثم ، تتقرّر حقيقة الروابط بين الناس بصورة آكد مما لوكانت في صيغة تنظيرية بحتة ، فهنا كانت التربية بالحدث للمرء وليست بالتنظير ، لأنها أبلغ في تقرير الهدف ، ومن ثم ، يوم يُستند إلى هذا الموقف في تحديد الهدف من القصة ، تُراعى القدسية في معالجة

---

[1] انظر :القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ٩ ، ص ٤٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٢ ، ص ٥٠٢ .

الموقف النبوي ، خاصة أنّ القرآن الكريم قد حمل دلالات هذه القدسية في ختامه لهذا الموقف النبوي ، فقد كانت النتيجة النهائية في القصة استجابة الله طلب نوح من ربه المغفرة والرحمة ، قال تعالى : « قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك وأمَمٌ سنُمتّعُهُم ثمّ يَمَسّهُم منّا عذاب أليم » [هود : ٤٨] ، فمنهج القرآن ، راعى هذه القدسية من خلال السياق نفسه ، فكان الختام متناسباً مع عصمة الأنبياء ، واصطفائهم .

ومثال آخر في ذلك قوله تعالى في قصّة إبراهيم – عليه السلام – حول طلبه أن يريه الله كيف يحيي الموتى : « وإذ قال إبراهيمُ ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمنْ قال بلى ولكنْ ليَطْمَئِنَّ قلبي قال فخُذْ أربعةً منَ الطيرِ فَصُرْهُنَّ إليك ثم اجعلْ على كلِّ جبَلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادعُهُنَّ يأتينكَ سعياً واعْلَمْ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم » [البقرة : ٢٦٠] ، فهنا جاءت القصة لتقرير تحقّق يقين المشاهدة لإبراهيم – عليه السلام – ، ليطمئنّ قلبه ويزداد يقيناً بحصول الفرق بين المعلوم برهاناً والمعلوم عياناً في دليل البعث ، فطمأنينة القلب هي سكون فكره في الشيء المعتقد ، فقد استجاب الله – عز جل – لطلب إبراهيم – عليه السلام – ، فالله غالب لا يعجزه شيء ، وهو على كل شيء قدير [1]، فتحديد الهدف هنا راعى مكانة الأنبياء عند الله وأنهم المصطفون الأخيار ، ومن ثم ، لم يتطرق إلى موضوع الشك ، لأنه لا يليق بالأنبياء ، خاصة إبراهيم – عليه السلام – الذي عرف عنه عظم إيمانه ويقينه بالله عز وجل ، وفي هذا مراعاة لقدسية النص القرآني ، المنزّه عن ذكر الأنبياء بسوء ، ويمكن الاستعانة في تأكيد ذلك بالسياق نفسه في سؤال الله عز وجل لإبراهيم بقوله عز وجل : « أوَ لم تؤمنْ » ، فالله

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٣ ، ص ٢٩٧– ٣٠١ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٢ ، جـ٣ ، ص٣٨ –٤٠ .

عز وجل يعلم أنّ إبراهيم – عليه السلام – مؤمن ، ولكنّه جلّ وعلا أثبتهفي السياق تقريراً لنفي الشك عن إبراهيم – عليه السلام – فكان الجواب : << بلى ولكن ليطمئن قلبي >> ، وكذلك بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « نحن أحقُّ بالشّكّ من إبراهيم »[1] فمعناه : أنّه لو كان شاكاً لكنّا نحن أحقّ به ونحن لا نشكّ فإبراهيم عليه السلام أحرى ألاّ يشك ؛ فالحديث مبني على نفي الشّك عن إبراهيم »[2] ، ومن ثم ، ينبغي التحرّز في معالجة مواقف الأنبياء وتحديد أهدافها مراعاة لقدسية شخصيتهم النبوية .

٥- التدرج في ترتيب الأهداف :

ويُقصد به مراعاة ترتيب الأهداف فيما بينها ، إذ إنّها قد تتشعب وتتعدّد ، ومن ثم ، يستلزم المقام حينئذٍ ضبطها بحيث تتدرج وفق معيار ثابت ، يضبط هذا التشعب ، كأن يُراعى تسلسلها :

أ- ضمن السياق الذي وردت فيه ، وينقسم هذا السياق إلى :

١- السياق العام : كتشعب أهداف القصة الواحدة في السور المختلفة :

فمثلاً قصة نوح – عليه السلام – جاءت في قرابة الثماني سور في القرآن الكريم ، وفي كل موضع كان لها أهداف تتعلّق بالموضوع الذي تناوله الحدث الذي ذُكِر منها ، فمثلاً في سورة القمر[3] كانت أبرز الأهداف :

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٢٣٤ ، كتاب (٦٤) الأنبياء ، باب (١٣) ، ح ٣١٩٢ .

[2] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٣ ، ص ٢٩٨ .

[3] انظر الآيات من : ٩ – ١٧ .

- تقرير أنّ كفار قريش ليسوا بدْعاً في تكذيب ورمي الرسل بالجنون ، فهناك من سبقهم في ذلك مثل قوم نوح .

- بيان أنّ الله ينصر رسله .

وفي سورة هود [1] : وهي تمتاز بكثرة الأهداف الواردة فيها والتي كان أبرزها :

- بيان الغاية من إرسال نوح - عليه السلام - وهي الدعوة إلى توحيد الله .

- تقرير أسلوب الحوار مع المدعويين .

- تنزيه الأنبياءمن طلب الأجر على دعوتهم من الناس ، فأجرهم على الله .

- التأكيد على أهمية الأخذ بالأسباب في هذه الحياة ، فالله عز وجل قادر على أن ينزل سفينة من عنده ، ولكنه جعل نوحاً - عليه السلام - يصنعها بنفسه .

- تقرير أنّ الرابطة الحقيقية هي رابطة العقيدة .

وفي سورة العنكبوت والتي امتازت بذكر أوجز إشارة إلى قصة نوح - عليه السلام - بالرغم من إيجازها إلا أنها تحمل أهدافاً ذات قيمة دعوية عظيمة ، إذ ورد فيها قوله تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمِين >> [العنكبوت : ١٤- ١٥] ، فمن أبرز الأهداف التي تضمنها السياق :

---

[1] انظر الآيات من : ٢٥- ٤٨ .

- تقرير صبر نوح - عليه السلام - في دعوة قومه .

- التخويف من عاقبة الظلم .

- تقرير أنّ النجاة للموحدّين بالله .

- بيان أنّ هذه القصص وما حدث فيها من عاقبة ، إنما هي آية وعبرة للعالمين .[1]

وهكذا يكون تدرج ذكر الأهداف تابعاً ترتيبها في السور المختلفة والتي رُتّبت هنا وفق ترتيبها في النزول [2]، ويمكن ترتيبها كذلك حسب ورودها في المصحف فتكون أولهن أهداف قصة نوح - عليه السلام - في سورة هود ، ثم في سورة العنكبوت ، ثم في سورة القمر .

٢ - السياق الخاص : وهو ينقسم إلى قسمين :

أ- تدرج الأهداف ضمن سياق القصة في السورة الواحدة تبعاً لترتيب أحداثها في السورة ، فمثلاً قصة موسى - عليه السلام - بلغت مواضع ذكرها في سورة طه أربع مواضع ، فقد تناولت الآيات من (٣٧- ٤٢) أحداث مولده ونشأته ، والآيات من (٩- ٢٣) تناولت أحداث مبدأ رسالته ، وتناولت الآيات من (٢٤- ٧٩) أحداث مواجهته لفرعون ، وكان ختامها أحداث قصة موسى - عليه

---

[1] فقد ورد في تفسير قوله تعالى : << آية للعالمين >> بأن المقصود بها السفينة ، فقد كانت باقية على الجودي مدة طويلة ، وقيل إنما هي الواقعة ، أو العاقبة بالنجاة للمؤمنين والغرق للكافرين ، فكانت عبرة وعظة للعالمين . (انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤، ص ١٩٦)

[2] استعنت في هذا الترتيب بكتاب القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته : فضل عبّاس ، ص ٦٥ ، لأنه قد اعتمد في ترتيبه لسور القصص القرآني الواردة في كتابه على ترتيب النزول ، والذي اعتمد على ما رجّحه كثير من العلماء وما اختاره صاحب الاتقان ، كما أشار إلى ذلك في ص ٤٤ .

السلام - مع بني إسرائيل - بعد نجاتهم من فرعون من الآيات (٨٠- ٩٨) ، وبالطبع فكل حدث من هذه الأحداث له أهداف متعلقة به ، يُراعى في تدرج سردها أو ذكرها موضعها في السورة ، فلو أخذنا مثالاً من أبرز هذه الأهداف من كل حدث فيكون ترتيبها على النحو التالي :

١- بيان حال البيئة التي وُلد فيها موسى - عليه السلام - .

٢- تقرير معيّة الله لموسى - عليه السلام - .

٣- بيان أنّ الغاية من إرسال موسى - عليه السلام - هي الحد من طغيان فرعون .

٤- تقرير أهمية طلب العون في الدعوة .

٥- بيان أنّ الإيمان كفيل بتغيير المعايير ، كما حدث لسحرة فرعون .

٦- بيان منن الله على بني إسرائيل ، وكيف يجب مقابلتها.

٧ - تقرير معاناة موسى - عليه السلام - من بني إسرائيل .

وهكذا يكون ترتيب باقي الأهداف المحددة من قصة موسى -عليه السلام - في سورة طه ، مراعياً تدرجها حسب مواطن ورودها في السورة .

ب- تدرج الأهداف ضمن الحدث الواحد في سياق السورة :

إن بعض أحداث القصص القرآني ، تتشعب فيها الأهداف ، مما يلزم حينئذ ضبطها بالتدرج الذي وردت فيه ضمن الحدث نفسه ، فحدث إرسال موسى - عليه

السلام - لمواجهة فرعون في سورة طه في قوله تعالى : << اذهب إلى فرعون إنّه طغى . قال ربِّ اشرح لي صدري . ويسِّر لي أمري . واحلُل عقدةً من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشْدُدْ به أزري . وأشْرِكْهُ في أمري . كي نُسَبِّحَك كثيراً . ونذْكُرَك كثيراً . إنك كنت بنا بصيرا >> [طه : ٢٥-٣٦] ، حوى أهدافاً متشعبة ، فهناك هدف رئيس وهو :

- المواجهة بين الحق والباطل ، بإرسال موسى لفرعون ، فموسى يمثل الحق بالرسالة التي يحملها ، وفرعون يمثل الباطل بطغيانه .

ثم يأتي ذكر أهداف تندرج تحت هذا الهدف ، بُغية التدرج في تحقيقه ، فموسى - عليه السلام - كي يحقق هذا الهدف ، سعى إلى تحقيق أهداف أخرى طلب مقدماتها أو أسبابها من الله عز وجل بدعائه :

<< قال ربِّ اشرح لي صدري . ويسِّر لي أمري . واحلُل عقدةً من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . اشْدُدْ به أزري . وأشْرِكْهُ في أمري . كي نُسَبِّحَك كثيراً . ونذْكُرَك كثيراً . إنك كنت بنا بصيرا >> [طه : ٢٦-٣٦]

فهذا الدعاء حمل أهدافاً فرعية لتحقيق الهدف الرئيس وهو المواجهة بين الحق والباطل ، وتمثلت أبرز هذه الأهداف في :

١- الصبر على المواجهة ، بطلب انشراح الصدر .

٢- التفاؤل بيسر الموقف ، بطلب التيسير في الأمر .

٣- سلامة الحوار والمجادلة ، بطلب طلاقة اللسان .

٤- تهوين أمر المواجهة وتسهيلها ، بطلب السند والعون بإشراك أخيه معه .

٥- تعزيز الإيمانيات قبل المواجهة ، بالتخلية بكثرة التسبيح ، والتحلية بكثرة الذِّكر ، وتقرير الرقابة الإيمانية في النفس بصدق الاعتقاد في كون الله عز وجل بصيراً لا تخفى عليه خافية .

٦- التأدب مع الله – عز وجل – ، بأدب نبوي رفيع ، بردّ جميع هذه الأهداف والمطالب ، إلى غاية واحدة وهي تحقيق تنزيه الله – عز وجل – ، وعبادته بديمومة ذكره ، والاستحضار الدائم لرقابته ، والتي تمثّل منطلق دعوة موسى – عليه السلام – إلى توحيد الله .

وهكذا يكون التدرج في الأهداف تبعاً لتدرجها في الحدث الواحد .

ب – الموقف الدعوي الذي يراد الاستشهاد بالقصة فيه :

يُراعى حينئذ قرب الهدف المحدد من هذا الموقف الدعوي ، ومن ثم يكون الترتيب تبعاً لقوة الصلة بمعالجة الموقف ، فلو كان الموقف المراد الاستشهاد فيه يتطلب الحديث عن آداب الصحبة في طلب العلم ، وما شابه ذلك ، فيمكن حينئذ الاستعانة بقصة موسى والخضر – عليهما السلام – التي وردت في سورة الكهف في الآيات (٦٠- ٨٢) ، فقد حوت أهدافاً عديدة تشمل المجال المذكور آنفاً وغيره من المجالات ، فمن أبرز أهدافها بشكل عام :

١- بيان أهمية الصبر في طلب العلم .

٢- تقرير أنّ العباد متفاوتون في العلم فيما بينهم ، كل حسب ما منّ الله به عليه .

٣- بيان أنّ القدر غيبٌ ، فإن تحقق أصبح مشهوداً ، ولكن تبقى الحكمة منه غيباً قد يُطلع الله عباده عليها وقد يخفيها ، حسب مشيئته عز وجل .

٤- التأدب مع الله عز وجل ، في نسبة الإرادة حسب الحالة التي يُتحدث عنها ، فقد نسب الخضر الإرادة إلى نفسه في خرق السفينة ، لأنها تخريب في ظاهرها وعيب ، فأضافها إلى نفسه بقوله << فأردت أن أعيبها >> [الكهف : ٧٩] ، رعاية للأدب مع الله [١].

٥- التلطف مع العالم في السؤال ، كما تلطف موسى في سؤال الخضر مرافقته بقوله (<< هل اتّبعك >>) دون أن يلزمه أو يجبره بهذا السؤال وإنما جاء بطلبه لرفقة الخضر بالاستفهام فقط [٢].

٦- بيان أنّ المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب [٣]، فمعلوم أنّ موسى - عليه السلام - من أولي العزم من الرسل .

٧- بيان أنّ الأبناء ينتفعون بصلاح الآباء .

٨- تقرير أنّ القضاء الذي يحل بالمرء لا يؤخذ على ظاهره بالكلية ، فعسى أن يكره المرء شيئاً وهو خيرٌ له ، وعسى أن يحبّ شيئاً وهو شرّ له ، ومن ثم ، فليلزم

---

[١] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١١ ، ص ١٧ / صلاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن (١) ، ص ٢٣٤ .

[٢] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٨٥ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١١ ، ص ١٧ .

[٣] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١١ ، ص ١٧ .

التوكل على الله في جميع أموره .

هذه تقريبا ثمانية أهداف تناولت جوانب شتى ، وما دام الموقف الدعوي الذي ضربنا به المثال مجاله موضوع آداب الصحبة في طلب العلم ، فإنه يتعيّن تخصيصه بأهداف تناسبه ، مثل الأهداف رقم (١-٢-٥-٦) ، ولكنها تحتاج لترتيب تتدرج فيه حسب قربها من الموضوع ، فيكون ترتيبها (٢- ٦- ١- ٥) ، فيكون ترتيب الهدف الخاص بأن الناس متفاوتون في العلم أولاً ، ثم يليه ، بيان أنّ المتعلم تبع للعالم ، ثم تقرير الصبر كصفة يحرص عليها طالب العلم ، ثم يكون التلطف في السؤال ، وهكذا انضبطت الأهداف هنا بتدرجها وفقاً لقربها من الموضوع الذي قد تفيد فيه .

٦- مراعاة فقه النص في تحقيق مرونة الهدف :

الأهداف المنبثقة من النص القرآني للقصة القرآنية ، ثابتة بثبات مصدرها وديمومته ، وهذا الثبات لا يمنعها من التفاعل مع مستجدّات الواقع المعاصر بمرونة ويسر ، إذ مرونة الهدف في التكيّف مع الموقف الدعوي تكون منضبطة بإطار فقه النص القرآني ، فلا تتعدّى حدوده ، ومن ثم ، تبقى ثابتة الأصول ، متجدّدة العطاء ما دامت تتحرك في حدود النص ، وهذه المرونة ليست إخلالاً بثبات الهدف ، وإنما هي مصدر فاعليته واستمراره ، فهي موجودة لأجله ، وليست استثناءً منه ، فهي كامنة في أصل المنهج ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، خاصة في مجال تحديد الأهداف الدعوية الخاصة بالأسلوب ، فأغلب آيات القصص القرآني شملت حواراً بين النبي وقومه ، ومن ثم ، يمكن تحديد الهدف هنا في :

تقرير طريقة الحوار في مخاطبة المدعويين ، فهذا الهدف ثابت ، ولكنه مرن بما يحمله من حريّة في أسلوب تحقيقه ، فالحوار يشمل مخاطبة العقل والوجدان ، مجتمعين أو كل على حدة ، ويشمل الشدّة واللين والرفق ، والتهديد ، والجدال العنيف والهادىء ... إلخ .

وكذلك من الأمثلة الواضحة في ذلك ، حلقة دعوة نوح -عليه السلام – لقومه في سورة نوح ، قال تعالى : << قال ربِّ إنّي دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً . وإنّي كلما دعوتُهُم لِتغفِرَ لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً . ثمَّ إنّي دعوتهم جهاراً . ثمَّ إنّي أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً . فقلتُ استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً . يُرسِلَ السماء عليكم مدراراً . ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً . ما لكم لا ترجون لله وقاراً . وقد خلقكم أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً . وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً . والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يُعيدكم فيها ويُخرجُكُم إخراجاً . والله جعل لكم الأرض بساطاً . لتسلكوا منها سبلاً فِجاجاً >> [نوح : ٥– ٢٠] ، فمن أبرز الأهداف التي يمكن تحديدها في هذه الحلقة :

تقرير أسلوب التنوّع في الدعوة ، فنوح – عليه السلام – قد سلك مع قومه طرائق شتى في دعوتهم ، بمراعاة الأوقات من ليل ونهار ، والحالات من سر وعلن ، و النفوس في ميلها إلى الترغيب وخوفها من الترهيب ، ومراعاة مطالب الحياة الدنيوية والأخروية ، ومظاهر الكون بما يحمله من دلالات قدرة الخالق وبديع صنعه ، فهذه الطرائق حقّقت التنوّع في الأسلوب ، ومن ثم ، فالهدف ثابت بتقرير أسلوب التنوّع في الدعوة ،

ولكنـه مرن في تحقيقه بأي صورة من صور التنوّع المنشودة في الدعوة ، سـواء التي ذكرها نوح – عليه السلام – في دعوته ، أو غيرها ، والتي لا تخرج عن إطار الشرع .

٧- مراعاة فقه الواقع في تحقيق فاعلية الهدف :

إنّ الإفادة الفاعلة في الواقع المعاصر من الهدف ، تستلزم مراعاة فقه الواقع بجانب فقه النص ، في تحديد الهدف ، فالأنبياء – عليهم السلام – لما حملوا أهداف الرسالة في دعوة الناس إلى التوحيد ، كانوا أقدر الناس وأفعلهم في تحقيق هذه الأهداف في عالم الواقع ، وقمّة الفاعلية تحقّقت في سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – ، الذي أثنى عليه ربه – عز وجل – بقوله : << وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم >> [القلم : ٤] ، وعندما سُئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن خُلُقه – صلى الله عليه وسلم – قالت : « فإنّ خُلُقَ نبيّ الله – صلى الله عليه وسلم – كان القرآن » [١] ، ومعنى هذا أنه – عليه الصلاة والسلام – صار امتثال القرآن بما فيه من أوامر ونواهي سجية له وطبعاً [٢] ، « فجماع الخلُق العظيم التدين ، وهذا ما أفاده حرف الاستعلاء في (لَعلى) في الآية ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – متمكن منه الخلق العظيم في نفسه ، ومتمكنٌ منه في دعوته إلى الدين الحق » [٣] ، ومن ثم ، يكون فهم ضابط الفاعلية في تحديد الهدف من خلال فاعلية الأنبياء في تحقيق هذا

[١] مسلم : صحيح مسلم ، جـ١ ، ص ٥١٣ ، كتاب صلاة المسافرين (٦) ، باب ١٨ ، ح ١٣٩ / وانظر : الإمام أحمد : مسند أحمد ، جـ٦ ، ص ١٦٣ .

[٢] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ٦ ، ص ٣٥٢ .

[٣] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٤ ، جـ٢٩ ، ص ٦٤ (بتصرف يسير) .

الدين في حياتهم وفي منهجهم في الدعوة إلى الله ، والتي برزت من خلال القصص القرآني ، بالإضافة للسيرة النبوية بالنسبة للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ومن الشواهد في ذلك ما ورد في قصة موسى – عليه السلام – من مشهد نكوص بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة والقتال في سبيل الله ، إذ ورد قول موسى في سورة المائدة : << يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون . قال ربّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرقْ بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين >> [المائدة : ٢١ – ٢٦] ، فمن أبرز الأهداف التي يمكن تحديدها وتفيدنا شاهداً في هذا المقام ، تقرير عاقبة نكوص وتخاذل بني إسرائيل عن الجهاد في سبيل الله ، فقد عاقبهم الله بالتيه في الأرض أي يتحيّرون فيها ، على غير هدى مدة أربعين سنة [1] ، وقد ورد موقف في واقع السيرة النبوية يتعلّق بهذا الهدف يعضد هذا التوجه في ضبط تحديد الهدف بالفاعلية ، والذي يُفصح عن مدى عمق فهم نصوص القصة القرآنية وفاعليتها في حياة الصحابة ، فعن ابن مسعود قال : « قال المقدادُ يومَ بدرٍ : يا رسول الله ، إنّا لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : << فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون >> ، ولكن امضِ ونحن معك ، فكأنه سُرِّيَ عن رسول الله – صلى الله عليه

---

[1] انظر تفسير هذه الآيات : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٥– ٣٨ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ١٤٠–١٤١ .

وسلم - » (١) .

فالمثال السابق ، مثال واقعي من السيرة النبوية موثّق تاريخياً في أهمية الفاعلية في تحديد الهدف ، وأنّ الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا بين فهم النص القرآني في القصة القرآنية وبين فقه الواقع ومتطلباته ، فكان لهذا الهدف فاعلية في حياتهم الواقعية برزت من خلال هذا الموقف الذي أشرنا إليه آنفاً، والذي يعدّ مقياساً ، لفهم هذا الضابط ، والذي يرمي إلى ربط أهداف القصة القرآنية بالواقع ، بمعنى مراعاة فاعليتها في الواقع عند تحديدها ، فعملية رسم الأهداف عندما تتجاوز حدود الواقع سواء بالزيادة أو النقصان ، بأن تكون أقرب إلى الخيال والوهم أو إلى الانهزامية والخذلان ، فإنها تظل جامدة هامدة ، لا روح فيها توقد جذوة الواقع ، ومن ثم ، يفقُد الهدف معطيات فاعليته ، فتخبو شعلته التي لم يُراعَ فيها ، معين استمرارية بقائها ، وهو تجانس أهداف القصة القرآنية مع أصلها المستمَد منه وهو القرآن الكريم ، « الذي تلقّاه الجيل الأوّل من هذه الأمّة وهم جيل الصحابة - رضوان الله عليهم - لينفذّوه واقعاً فاعلاً في حياتهم ، فلم يكن تلقيّهم لهذا القرآن على سبيل الثقافة والاطلاع ، أو التذوق والمتاع ، أو العادات والتقاليد وغيرها من أعراض الحياة الدنيا الفانية ، وإنما كانوا يتلقونه ليعملوا به فور سماعه »(٢)، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : « كان الرّجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ »(٣) ، وهذا التوجه في التعامل مع القرآن الكريم ، كان يفتح لهم من القرآن آفاقاً رحبة في فقه النص وفقه العمل به ، فكانت مقاصد القرآن وأهدافه تتحقق في حياتهم

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ، جـ٤ ، ص ١٦٨٤، كتاب (٦٨) التفسير ، باب (١١١) ، ح ٤٣٣٣ .

(٢) سيد قطب : معالم في الطريق ، ص ١٧-١٨ (بتصرف) .

(٣) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٦ ، (مقدمة تفسيره) .

بصورة طبيعية ميسرة لا تكلّف فيها ولا تصنّع ، فقد تفاعلوا مع النص القرآني ، وتمثلوه في حياتهم فكراً ومنهجاً ، وهذا ما نرنوا إليه من ربط أهداف القصص القرآني بمقاصد القرآن نفسه ، بُغية مراعاة ضابط الفاعلية في تحديد أهداف القصة القرآنية ، بمعنى تمثّل هذه الأهداف واقعاً فاعلاً أثناء رسم الهدف ، لتُحقق البعد الواقعي المطلوب منها ، ومن ثم ، تتحقق فاعليتها ، والتي فيها ضمان استمرارية العطاء والتأثير في الواقع المعاصر ، فمراعاة هذا الضابط يكون من خلال ربط القصة القرآنية بالواقع المعاصر عبر تحديد أهدافها ، فطبيعة الأهداف والمقاصد التي جاءت في القصص القرآني لا تخلو من فاعلية وتأثير ، وعظات وعبر ، لها ثقلها في أي زمان ومكان ، ولها منابع عطاء لا ينضب ، << وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين >> [هود : ١٢٠] ، ومن ثم ، يكون تحديد الأهداف في ضوء ضابط الفاعلية المطلوبة منها في الواقع ، وإن تعدّدت صور تحقيق هذه الأهداف ، فهذا الضابط ، يعطي مساحة واسعة للتحرك في ضوء فقه النص ، ليتناسب مع سعة الواقع ، خاصة أنّ ما ورد من تنوّع في تحقيق بعض الأهداف المُشتركة بين مناهج دعوة الأنبياء إلى الله ، يسوّغ تعدّد صور تحقيق الهدف في الواقع ، من باب إعطاء أوسع مساحة لتحرك الهدف بفاعلية ، فمثلاً هدف :

تقرير أسلوب اللين في الدعوة ، بُغية التذكرة وتحقيق الخشية لله في نفس المدعو .

يكاد يكون هدفاً عاماً في جميع قصص الأنبياء ، ولكنّ تطبيقاته في مناهج دعوة الأنبياء إلى الله كانت متنوّعة ، مع كونها جميعاً فاعلة في الواقع الذي طبّقت فيه ، وقبل الشروع في سرد الأمثلة ، يلزم المقام بيان المقصود

باللين [1] في الدعوة ، وهو : مرونة الخطاب بالتي هي أحسن مع المدعو ، بحيث تتحقّق مصلحة الدين بأكبر قدر ممكن من استمالة المدعو للحق ، مع سعة دائرة المرونة بحيث تكون أحياناً للشدة أقرب منها للرفق ، أو بالعكس ، فالموقف في القصّة القرآنية هو الذي يحدّد مدى اللين المتحقق ، خاصة أنّ الأنبياء أولو عصمة وحكمة في الدعوة ، ومن ثم ، يكون استقاء ضوابط اللين من خلال مواقفهم ، والتي أعطى تعددها مساحة واسعة لفهم معنى اللين في الدعوة ، والذي به يتحقق فقه النص ، وفي ضوء مواقفهم ينضبط فقه الواقع ، لذا سنأخذ مشاهد من مواقف اللين في قصص بعض الأنبياء :

فمن أبرز مظاهراللين في قصة نوح – عليه السلام – ، تعامله مع قومه على أنهم أخوة له قال تعالى : << إذ قال لهم أخوهم نوحٌ ألا تتّقون >> [الشعراء : ١٠٦] ، ونداؤه الدائم لهم بـ : « يا قومِ » مثل قوله الوارد في سورة الأعراف [2]: << ... يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنّا لنراك في ضلال مبين . قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنّي رسولٌ من رب العالمين >> [الأعراف : ٥٩- ٦١] ، كما تمثّل لينه معهم في حرصه على استغلال جوانب عديدة في الدعوة مثل الوقت : << قال ربِّ إني دعوت قومي ليلا ونهاراً >> [نوح : ٥] ، والسر والعلن << ثمَّ إنّي دعوتهم جهاراً . ثمَّ إنّي أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً >> [نوح : ٨-٩] ، والترغيب والترهيب << فقلتُ استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً . يُرسِلَ السماء عليكم مدراراً . ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً . ما لكم لا ترجون لله وقاراً >> [نوح : ١٠- ١٣] ، فلينُه في الدعوة

---

[1] اللين في اللغة : ضدّ الخشونة ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، جـ٥، ص ٤١١٧ / راجع : فضل إلهي : من صفات الداعية اللين والرفق ، ص ٧-٨ .

[2] وانظر كذلك : سورة هود : الآيات ٢٨— ٣٠ / سورة نوح : الآية ٢ / المؤمنون : الاية ٢٣ .

كان من أبرز معطيات تعدّد هذه الجوانب في الدعوة ، أما إبراهيم – عليه السلام – فتقريباً كان تطبيقه للين في الدعوة مقارباً لنوح – عليه السلام – فقد ترفق مع أبيه في الدعوة ، الذي كان يناديه بـ : « يا أبتِ » كما ورد في سورة مريم [1] ،و ترفق مع قومه في الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ، فكان يسوق لهم الأدلة الكثيرة على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة الأصنام التي أضلتهم عن الإله الحق ، ويجاريهم في النقاش ليوصلهم للحق ، وكان لينه أقرب إلى الشدة في بعض المواقف ، مثل موقفه حين كسّر أصنامهم [2] ، وما كان منه ذلك ، إلاّ بُغية إثارة عقولهم تجاه سفاهة عبادة هذه الأصنام استمالة لهم إلى الحق بالأسلوب العملي ، أما موسى – عليه السلام – فقد أُمِر وهارون باللين في مخاطبة فرعون قال تعالى : << اذهبا إلى فرعون إنّه طغى . فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّرُ أو يخشى >> [طه : ٤٣– ٤٤] ، ونوّع موسى – عليه السلام – في خطابه لفرعون في أسلوب اللين فتارة كان للرفق أميل كقوله : << ... والسلام على من اتّبع الهدى >> [طه : ٤٧] ، وحواره مع فرعون في بيان توحيد الله وطلبه إخراج بني إسرائيل من حكم فرعون وطغيانه فيهم ، وقبوله مواجهة تحدي فرعون له بالسحرة [3]، وتارة كان للشدة أميل ، عندما ذكّره فرعون بأنه قد تربى في بيته وأنه لم يأمر بقتله فيمن قُتل من الأطفال ، مُستنكراً نبوّة موسى – عليه السلام – ، متمنناً على موسى بذلك ، ومحتقراً له ، معدّداً لأمور أخرى يتهم فيها موسى بجحود الفضل والمنّة التي يراها فرعون عليه كقتله للقبطي [4] ، << قال ألم نربِّك فينا وليداً

---

[1] انظر الآيات : ٤٢– ٤٥ .

[2] انظر : سورة الأنبياء : الآيات ٥٧– ٦٧ .

[3] انظر في ذلك : سورة الأعراف : الآيات ١٠٤ –١١٨ / طه : الآيات ٤٧– ٥٣ / الشعراء : الآيات ٢٣– ٤٨ .

[4] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٨٥ .

ولَبِثت فينا من عُمُرِك سنين . وفعلتَ فعلَتَك التي فعلتَ وأنت من الكافرين >> [الشعراء : ١٨-١٩] فحينئذٍ كان ردّ موسى – عليه السلام – أقرب للعنف منه للرفق فبادر بالإقرار بقتل القبطي إظهاراً لعدم خشيته من فرعون ، ولكنه نفى – عليه السلام – عن نفسه الكفر أي الجحود ، وعزا ذلك إلى الجهل ، الذي كان سابقا لنبوته والعلمِ الذي آتاه الله إياه [1] ، << قال فعلتُها إذاً وأنا من الضالّين . ففررْتُ منكم لمّا خِفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المُرسَلين >> [الشعراء : ٢٠ – ٢١] ، والضالين هنا بمعنى الجاهلين [2] ثم زاد في التعنيف بنقض امتنان فرعون بقلب النعمة نقمة بتذكيره أن نعمة تربيته ما كانت إلا بسبب بلائه وإيذائه لبني إسرائيل ، فالإحسان إليه مع الإساءة إلي قومه لا يكون إحساناً ولا منّة ، وصاغ موسى – عليه السلام – هذا النقض باستفهام إنكار فقال : << وتلك نِعمةٌ تمنُّها عليَّ أن عبّدتَ بني إسرائيل >> [الشعراء : ٢٢] ، وفي هذا دلالة على قوّة مواجهته لفرعون وميله إلى الشدة في هذا الموقف الذي هدف فيه فرعون إلى كفّ موسى عن الدعوة ؛ لأنه ظنّ من قوله ذاك « إفحام موسى وجرّه إلى التلعثم خشية أن يقتله فرعون لقاء القبطي فيكون معذوراً أمام الناس إذ أظهر موسى بمظهر من كفر نعمة ولاية التربية ، واقترف جرم الجناية على الأنفس » [3] .

ومن خلال الشواهد السابقة يظهر لنا أنّ لتحقيق هذا الهدف في قصص الأنبياء صوراً متنوّعة ومتعددة ، تضفي جانب السعة سواء في فقه النص من خلال سعة مفهوم اللين في مناهج الدعوة عند الأنبياء ، أو في فقه الواقع من خلال هذا

---

[1] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٢٨٥– ٢٨٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٩٦ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ ١٩ ، ص ١١٤ .

[2] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٩٦ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ ١٩ ، ص ١١٤ .

[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩ ، جـ ١٩ ، ص ١١٠ (بتصرف يسير) .

التنوّع الذي يعطي مساحة كافية للتحرك حسب مقتضيات الموقف من تدرجات اللين في الدعوة ، ومن ثم ، يكون تحديد هذا الهدف قد راعى ضابط الفاعلية المرجوة منه في الواقع ، جامعاً بين فقه النص وفقه الواقع .

الفصل الثاني

ضوابط الموضوعات

تكمن أهمية موضوع القصة القرآنية في كونه المحور الذي في ضوئه تتحدّد الأهداف ، وتتضح معالم البحث ، وينضبط مسار الدراسة ، إذ جميع ذلك ومتعلقاته يكون موجّهاً لخدمة الموضوع الذي تتناوله القصة القرآنية ، و لاحتواء القصة القرآنية في مضامينها على موضوعات عديدة ومتنوّعة ، فاستخلاص موضوع بذاته من بين هذه المواضيع ، يقتضي عوامل مساعدة تضمن سلامته ، وصحة مساره ، وتحقيق أهدافه ، لذا كان مدار البحث في هذا الفصل حول ضوابط استخلاص موضوعات القصة القرآنية ، وبيانها في التالي :

أولاً : تحديد وجهة البحث :

ويُقصد به رسم معالم الموضوع المُراد استخلاصه من القصة القرآنية ، ففي ضوء وجهة البحث والدراسة يكون تعيين الموضوع ، فمثلاً لو كانت الوجهة المُبتغاة في البحث عقدية ، فإنّ دراسة جميع الآيات الواردة في القصة ستكون في ضوء العقيدة لأنها حكمت وجهة التناول ، وهكذا لو كانت الوجهة اجتماعية ففي ضوئها ينضبط مسار البحث والدراسة ليفيد في هذا المجال ، وكذلك الحال في أي وجهة مُختارة دعوية أو سياسية أو اقتصادية ... إلخ ، فمثلاً قوله تعالى في قصة إبراهيم – عليه السلام – : « واذكر في الكتاب إبراهيمَ إنّه كان صديقاً نبيّا . إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبُدُ ما لا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغني عنك شيئاً . يا أبتِ إنّي قد جاءني منَ العلمِ ما لم يأتِكَ فاتّبعني أهدِكَ صراطاً سوياً . يا أبتِ لا تعبُدِ الشيطانَ إنَّ الشيطانَ كانَ للرّحمن عَصِياً . يا أبتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسَّكَ عذابٌ مِنَ الرّحمن فتكونَ للشيطانِ ولياً . قال أراغب أنتَ عن آلهتي يا إبراهيمُ لَئِنْ لم تَنْتَهِ لأرْجُمَنَّكَ واهجُرني ملياً . قال سلامٌ عليك سأستغفِرُ لكَ ربي إنّه كانَ بي حَفِياً . وأعْتَزِلُكُم وما تدعونَ من دون اللهِ وأدعوا ربي عسى ألاّ أكونَ بدعاءِ ربي شَقِياً . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً » [مريم: ٤١- ٥٠] فهذه الآيات إن كانت وجهة الدراسة والبحث فيها عقدية ، فإنّ النظر إليها سيكون منصباً حول المفاهيم العقدية الواردة فيها مثل الحديث عن نبوة إبراهيم – عليه السلام –

وصديقيّته والعلم الذي آتاه إياه الله ، وحواره في بيان الصفات التي ينبغي أن تكون للإله المعبود كالسمع والبصر ، وتحذيره من الشيطان وإغوائه للبشر ، وتحذيره من عذاب الله لمن يتبع الشيطان ويتخذه ولياً ، ولجوء إبراهيم – عليه السلام – إلى الدعاء ورحمة الله به واستجابته لدعوته وغيرها من المعاني التي قد تفيد في الجانب العقدي ، أما لو كانت وجهة البحث دعوية ، فسيكون محور الدراسة حول أسلوب الدعوة الذي سلكه إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه من رفق ، واستدلال بالحجج والأدلة على بطلان ما يعبدون من دون الله ، مع إظهاره لرأفته وخوفه على قومه من الضلال في اتباع الشيطان وغيرها مما قد يفيد في المجال الدعوي ، أما إن كانت الوجهة اجتماعية فتأخذ الدراسة الجانب الأسري المتعلّق بموقف إبراهيم – عليه السلام – من أبيه ، وبرّه به ، من خلال دعوته إلى الدين الحق ، والحرص على هداه بمخاطبته باللين والرفق ، والدعاء والاستغفار له وهذا قبل أن يموت أبوه على الكفر فحينئذ ترك الدعاء له [1] ، وهذا الشاهد أفاد في تحديد الوجهة بالنسبة للحلقة الواحدة من القصة القرآنية والتي في ضوئها يتحدّد الموضوع ، وبتنوّعها تتنوّع الموضوعات كما رأينا .

ويُمكن تطبيق معالجة النص القرآني في ضوء الوجهة

---

[1] راجع في موضوع استغفار إبراهيم لأبيه : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ٨ ، ص ٢٧٤ .

المُرادة على جميع آيات القصص القرآني ، فبالرغم من بروز بعض الموضوعات في قصة أكثر من غيرها إلاّ أنّ هذا لا يعني خلوها من موضوعات أخر ، فالوجهة بعد البحث والدراسة هي التي تُنْبِيءُ بإمكانية تعدّد الموضوعات في القصة الواحدة أو عدم تعددها ، فمثلاً قصة موسى – عليه السلام – برزت فيها الموضوعات السياسية أكثر من غيرها من القصص ، ومن ثم يمكن دراسة قصة موسى – عليه السلام – في ضوء الوجهة السياسية لاستخلاص الموضوعات السياسية الواردة فيها ، فكان من أبرز أهداف إرساله – عليه السلام – بعد الدعوة إلى التوحيد هو الحد من طغيان فرعون قال تعالى : << اذهب إلى فرعون إنّه طغى >> [طه : ٢٤] ، فقد كان مستبداً ظالماً ، قال تعالى : << إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم يذبّح أبناءهم ويستحي نساءهم إنّه كان من المفسدين >> [القصص : ٤] ، ثم تتوالى في القصة الآيات الدالّة علي الجوانب السياسية سواء في حكم فرعون لقومه أو لبني إسرائيل الذين كانوا تحت سيطرته ، أو في مواجهته لدعوة موسى – عليه السلام – وما دار من حوار وجدال بينهما ، وبجانب هذا البروز للموضوع السياسي كانت هناك موضوعات أُخر كابتلاءاته – عليه السلام – مع بني إسرائيل والتي تدخل في الجانب العقدي الدعوي مثل عبادتهم للعجل في غيابه [1]، ونكوصهم عن القتال لتحرير الأرض المقدسة [2] وغيرها من المواقف التي عانى منها

---

[1] انظر : سورة الأعراف : الآيات : ١٤٨ – ١٥٣ .

[2] انظر : سورة المائدة : الآيات : ٢١– ٢٦ .

موسى - عليه السلام - الشدة والكرب ، والتي تدخل ضمن الوجهة العقدية الدعوية في دراسة قصة موسى - عليه السلام - ، كما هناك الموضوعات الأسرية في قصة موسى - عليه السلام - مثل الأحداث الخاصة بأم موسى [١] والأحداث المتعلّقة بمساعدته لابنتي شعيب [٢] عند ماء مدين ، ثم تزويج شعيب إحدى ابنتيه لموسى - عليه السلام - [٣] ، فهنا الوجهة الأسرية في دراسة قصة موسى - عليه السلام - يمكن أن يكون لها بروزٌ واضحٌ لتوفّر الأرضية المناسبة لها من خلال الأحداث الخاصة بالموضوعات الأسرية التي ذُكرت أنفاً ، وهكذا يمكن معالجة نصوص القصة القرآنية في ضوء أكثر من وجهة يتحدّد في ضوئها الموضوع المراد استخلاصه من القصة القرآنية . [٤]

---

[١] انظر : سورة القصص : الآيات : ٧- ١٣ . / طه : الآيات : ٣٨- ٤٠ .

[٢] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ١٦٨ / ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٣٣٠ .

[٣] انظر : سورة القصص : الآيات : ٢٢ - ٢٨ .

[٤] لمزيد أمثلة في الدلالة على كون الوجهة ضابط في استخلاص الموضوع المراد ، راجع المبحث الأول (موضوعات القصص القرآني) ضمن الفصل الثاني في الباب الأول / وراجع بعض المؤلفات في دراسة القصة القرآنية والتي يغلب على تصنيفها وِجهة بذاتها مثل :

- دراسات تفيد الوجهة القرآنية :

القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته : فضل عبّاس / مع قصص السابقين في القرآن : صلاح الخالدي

- دراسات تفيد الوجهة التاريخية :

قصص الأنبياء : ابن كثير / قصص القرآن : محمد جاد المولى .

- دراسات تفيد الوجهة الدعوية :

معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم : عبد الوهاب الديلمي .

- دراسات تفيد الوجهة الإعلامية :

الآفاق الفنية في القصة القرآنية : محمد ناجي مشرح .

- دراسات تفيد الوجهة الأدبية :

خصائص القصة الإسلامية : مأمون فريز جرار .

ثانيـاً : مراعاة معطيات فهم موضوع القصة :

ينبغـي للباحـث أن يتحرّز في معالجة موضوعات القصة القرآنية ، بما يتناسب مع قدسيتها ، لأنّ استخلاص الموضوعات يعتمد على فهم الباحث للآيات القرآنية الواردة فيها القصة ، ومن ثم ، يتطلب ذلك مراعاة توفّر أكبر قدر ممكن من معطيات فهم موضوعاتها بالإضافة إلى فقه دراسة آيات القصة القرآنية ، ومن أبرز هذه المعطيات :

١- اعتماد تخصص الباحث العلمي :

إنّ الباحث في القصـة القرآنيـة ينبغي له أن يكـون على درجـة من الفهـم للتخصـص الـذي يبحـث مجالـه فـي القصـة القرآنيـة ، فمثـلاً الـدارس للموضوعـات الاقتصاديـة في القصـة القرآنيـة ، ينبغـي أن يكـون علـى درجـة مـن الإلمـام والفهـم للمواضيـع الاقتصاديـة التـي يريـد البحـث فيهـا من خـلال القصـة القرآنيـة ، والـدارس للموضوعـات التربويـة ، لا بـد أن يكـون علـى قدر من الإلمـام بالموضوعـات التربويـة التـي يريـد البحـث فيهـا مـن خـلال القصـة القرآنيـة ، وهكـذا بالنسبـة لأي موضـوع يُـراد بحثـه من خـلال القصـة القرآنيـة ، وذلك بُغيـة ضبـط مسـار الدراسـة ، في سبيل تحقيق سـلامـة المعلومـات أو الموضوعات المُستخلصـة .

٢- اعتماد فقه النص القرآني :

بمراعاة فهم تفسير النصوص ، وذلك من خلال فهم اللغة ودلالات الألفاظ فهي أدعى لفهم النص ، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، قال الله عز وجل قبل الآيات التي ذكر فيها أنه تعالى قصّ على محمد - صلى الله عليه وسلم - أحسن القصص بما أوحى إليه هذا القرآن : << الر تلك آيات الكتاب المبين . إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون >> [يوسف:١-٢] أي أنّ هذا القرآن نزل بلسان العرب وكلامهم أي لغتهم ، ليعقلوه ، ويفقهوا منه ، ويعلموا معانيه ، ويفهموا ما فيه ، ليكونوا على رجاءٍ من تدبّره [1] ، ففهم لغة النص عامل رئيس في فهم دلالات الألفاظ ، ومن ثم ، فهم المعاني التي جاءت بها القصة القرآنية والموضوعات التي وردت فيها ، بالإضافة للاعتماد الأولّي على مصادر التفسير ومراعاة التدرج في ترتيبها حسب أهميتها ، فيؤخذ في الاعتبار تفسير القرآن بالقرآن أولا ، ثم تفسير القرآن بالسنة ، ثم تفسير الصحابة ثم من يليهم من علماء السلف ... إلخ ، وهكذا يكون التسلسل في اعتماد التدرج الشرعي في ترتيب مصادر

---

[1] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ ٤ ، ص ٣٢٩ / القرطبي : تفسير القرطبي : جـ ٩ ، ص ١١٩ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٢ .

التفسير ، مع التحرز من الخوض في الإسرائيليات [١] ، ومراعاة دلالات السياق الواردة فيه القصة سواء كان السياق العام للسورة ، أو السياق الخاص لآيات الحلقة الواحدة من القصة . [٢]

ثالثاً : مراعاة اتّفاق عنوان الموضوع مع متضمناته في العرض :

بمعنى انسجام العنوان مع محتوى الموضوع ، وذلك بُغية ضبط قلم الباحث في عرضه للموضوع ، فمثلاً لو كان العنوان في قصة موسى والخضر[٣] – عليهما السلام – آداب العالِم والمُتعلّم ، فإنّ الموضوع ينبغي أن يشمل كل ما يختص بذلك مثل الرحلة في طلب العلم ، وتحمل مشاقها ، والتأدب مع العالم في سؤاله وطلب مرافقته ، وكذلك رفق العالِم بالمتعلم وصبره عليه ... إلخ ، بحيث لا تخرج هذه المشتملات عن هذا العنوان كأن تبحث في مسائل القضاء والقدر وعالم الغيب وغيرها مما قد يرد من موضوعات في هذه القصة ، بمعنى لو كان العنوان تربوياً فإنّ الباحث يلتزم بأن يكون الموضوع المندرج

---

(١) راجع : محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ٣٩ – ٤٤ .

(٢) راجع في أهمية مراعاة قدسية نصوص القصة القرآنية وعدم التعدّي في تفسيرها على ما ورد فيها من دلالات الألفاظ وتفسيرات المصادر المُعتمدة الأصيلة وفي مقدمتها القرآن والسنة ، فضل عبّاس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ٤٣٢ – ٤٤٢ .

(٣) انظر: سورة الكهف : الآيات : ٦٠ – ٨٢ .

تحت العنوان تربوياً ، ولو كان العنوان اقتصادياً فإنّه ينبغي أن يكون الموضوع اقتصادياً ، وهكذا في بقية الموضوعات ، بحيث يُراعى أن تتفق مشتملات الموضوع مع العنوان الذي تندرج تحته .

رابعاً : الابتعاد عن التجاوزات في العرض :

وهذه التجاوزات تنقسم إلى قسمين :

أ- التقصير في العرض ، بأن يكون هزيلاً ، مُبخساً لقيمة القصة القرآنية مبنىً ومعنىً ، مفقِداً أهدافها الحقيقية التي جاءت من أجلها ، وربما كان من أبرز أسباب هذا التقصير تردّي فقه الواقع لدى الباحث ، الذي ينزل بمستوى عرض القصة منزلاً لا يليق بها ، بغية إفهام العامة ، كأن يلجأ مثلاً إلى استخدام اللهجة العامية في عرض القصة ، وهذا مما يحطّ من أسلوب العرض ، ويتنافى مع قدسية النص القرآني الذي نزلت به القصة القرآنية ، مما يوجب التحرز والابتعاد عن مثل هذا التقصير .

ب - التكلّف في العرض ، بتحميل القصة القرآنية من المعاني و الوجّهات ما لا تطيقه ، فإدخال الخيال والوهم أو محاولة تطبيق معايير القصص الأدبي على القصة القرآنية ومحاولة البحث عن الإثارة الفنية وغيرها من الجزئيات الفنية في القصة فيمزج الحقيقة فيها بالخيال [١] ، تعتبر محاولات زائدة عن القدر المطلوب في دراسة القصة القرآنية ، بل تُعدّ من التجاوزات في قدسية القصة القرآنية ، والتي تكمن عوامل نهوضها وإبداعها في ذاتها ، فهي ليست بحاجة لمثل هذا التكلّف في الدراسة والعرض ، مثل ما حدث من أحد الكتّاب [٢] في رسالته الدكتوراه (الفن القصصي في القرآن) « التي استنكر الأزهر بشدة ما جاء فيها من انحرافات ومنزلقات خطيرة لم تراعِ قدسية القصة القرآنية مما حدا به إلى زعم أنّ القصص القرآني نمط من الخيال الخصب والفن المدبع وأنها إنما أساطير وحكاوى وغيرها من الادعاءات الباطلة والمفتراة » [٣] ، فقد حاول صياغة أحداث القصةالقرآنية في إطار الخيال ، وعرضها

---

[١] راجع : عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ١١ .

[٢] هو الكاتب محمد أحمد خلف الله . راجع : فضل عبّاس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ٤٢٧ .

[٣] فضل عبّاس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص ٤٢٧ – ٤٣١ (بتصرف) .

في صورة أساطير وخرافات ، متجاوزاً لحدود القدسية التي ينبغي أن يقف عندها الباحث في معالجة نصوص القصة القرآنية ، ومن ثم ، حاد عن الصواب في التعامل مع القصة القرآنية بما لا يتناسب مع قدسية موضوعاتها .

خامساً : مراعاة الفاعلية والتأثيرفي العرض :

وهذا يعتمد على التخصص العلمي للباحث وذوقه في انتقاء الأسلوب المناسب في عرض القصة القرآنية بما يتوافق مع قدسيتها ، وأهدافها ، والوجهة التي تمّت دراسة القصة من خلالها ، مع الحرص على الوضوح والدقة في الصياغة ، وتلمّس مواطن إفادة القصة القرآنية في الواقع ، بُغية تحقيق فاعليتها ، فمثلاً معالجة موضوع حقيقة الروابط بين النّاس ، وأثرها التربوي في ضبط العلاقات بينهم ، والتي تمثّل جانباً اجتماعياً بارزاً في واقعنا المعاصر ، الذي ينبغي أن تسود فيه رابطة العقيدة على أي رابطة أخرى من نسب أو عرق أو جنس ... إلخ ، فمحاولة دراسة هذا الموضوع أو معالجته في ضوء القصص القرآني ، من شأنه أي ينحى بالباحث إلى تلمّس مواطن في القصص القرآني تفيد في هذا الجانب ، فإذا وجد بُغيته ، فإنه سيضفي على دراسته للقصة القرآنية

بعداً واقعياً يُبرِز مدى الإفادة الفاعلة للقصة القرآنية و أثرها في الواقع ، ومن الشواهد البارزة في ذلك ، ما ورد في قصة نوح - عليه السلام - ، حول طلبه النجاة لابنه من الغرق في الطوفان ؛ بسبب وعد الله له بنجاة أهله ، قال تعالى : « ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وعدك الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين » [هود: ٤٥] ، فردَّ الله على ندائه بقوله عز وجل : « قال يا نوحُ إنَّه ليس من أهلك إنَّه عَمَلٌ غيرُ صالح فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين » [هود: ٤٦] فكان هذا الموقف كفيلا بتصحيح مفهوم الرابطة الحقيقية بين النّاس وأنها إنما تقوم على أساس الدين فقط ، لذلك لم تشمل النجاة لابن نوح لأنه كان كافراً فخرج عن دائرة الأهل ، لأنهم في معيار الدين هم أهل العقيدة [1] ، فهذا الموقف كان كفيلاً ببيان هذه الحقيقة ، والتي وعظ الله تعالى فيها نبيه نوحاً - عليه السلام - أن يكون من الجاهلين بها ، فبادر نوح - عليه السلام - بالإنابة إلى ربّه طالباً المغفرة والرحمة من أن يسأل الله ما ليس له به علم ، فاستجاب الله دعاءه وشمله برحمته وأنزله منزلاً مباركاً ، قال تعالى : « قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من

---

[1] انظر :القرطبي : تفسير القرطبي : جـ٩ ، ص٤٦ / الشوكاني : تفسير الشوكاني ، جـ٢ ، ص٥٠٢ .

الخاسرين . قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك وأمَمٌ سنُمتّعُهُم ثمّ يَمَسّهُم منّا عذاب أليم » [هود: ٤٧-٤٨] ، فمن خلال هذا الشاهد برزت مدى إمكانية تلمّس مواطن الإفادة الفاعلة للقصة القرآنية في الواقع ، ومحاولة الربط بين فحوى موضوعات القصص القرآني و القضايا الواقعية .

سادساً : مراعاة الوحدة الموضوعية بين الهدف والنتيجة :

بمعنى ضبط مسار دراسة القصة في ضوء الوجهة المبتغاة في الموضوع المُستخلَص ، فإذا كانت الأهداف عقدية ، ينبغي أن تكون النتائج المستنبطة عقدية ، وإن كانت الأهداف دعوية ، ينبغي أن تكون النتائج المستنبطة دعوية ، وإن كانت الأهداف اجتماعية ينبغي أن تكون النتائج اجتماعية ... إلخ ، وهكذا لا بد من التوافق والانسجام بين نوعية الأهداف المحددة والنتائج المستنبطة ، أي ينبغي مراعاة الوحدة الموضوعية بين الهدف والنتيجة .

سابعاً : مراعاة سلامة الربط بين الهدف والنتيجة :

يتعيّن على الباحث أن يضبط مسار دراسته للقصة القرآنية ومعالجة موضوعاتها ، وذلك من خلال الربط بين أهداف القصة ونتائجها، سواء النتائج في داخل القصة نفسها ، أو النتائج التي يتوصّل إليها الباحث بشكل عام من خلال موضوع القصة بكل جزئياته من أهداف وممارسات وضوابط ... إلخ ، ولضمان سلامة الربط بين الهدف والنتيجة ، ينبغي مراعاة معطيات ترتّب النتيجة على الهدف ، مع التفريق في ذلك بين :

١- اشتراط تلازم الهدف مع النتيجة بالنسبة للأنبياء :

فمن المعلوم أن الأهداف في داخل القصة القرآنية متلازمة الوجود مع النتائج بالنسبة للأنبياء ، سواء كانت من خلال ممارسات النبي نفسه أو من خلال المعجزة الربانية التي يؤيد الله بها رسله ؛ وذلك للقدسية التي امتازت بها كل من الأهداف والنتائج ، مع الإشارة في هذا المقام كذلك إلى قدسية الوسيلة المحققة للهدف ، وهي ممارسات أنبياء الله ، والتي تمثّل في حقيقتها مناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله والتي نالت قدسيتها ، بسبب انضمامها إلى دائرة الوحي الربّاني مع

الأهداف والنتائج .

ومن أبرز الأمثلة في ذلك قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون ، فمن الأهداف التي وردت في القصة إزالة طغيان فرعون ، قال تعالى : « اذهب إلى فرعون إنّه طغى » [طه : ٢٤] ، فتوجّه موسى - عليه السلام - إلى فرعون بُغية إزالة طغيانه ، فسلك في ذلك سبلاً شتّى من حوار وجدال وترغيب وترهيب وغيرها [1]، ولكنّ هذه السبل لم تُجْدِ نفعاً مع فرعون ، فقد ظلّ على كِبْره وتعنته وطغيانه ، بل إنّه قد لجأ إلى استعمال القوّة والبأس فهدّد موسى بالسجن « قال لئن اتّخذتَ إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين » [الشعراء : ٢٩] ، حينئذٍ لجأ موسى إلى ما أيّده الله به من المعجزات وهي بيّنة قويّة على صدق رسالته « قال أولو جئتك بشيء مبين . قال فأتِ به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين . ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين »[الشعراء : ٣٠-٣٣] ، هنا رَمَى فرعونُ موسى بالسحر ، ثم استجاب لمشورة الملأ في الاستعانة بالسحرة ليتحدى بهم موسى [2] ، فقابل موسى - عليه السلام - تحدّيهم له بالمعجزة الربانية التي تمثّلت في العصا ، فآمن سحرة فرعون ولم يؤمن فرعون ، بل زاد في طغيانه ، وهدّد

---

[1] انظر من الآيات الواردة في ذلك : سورة الأعراف : ١٠٣ - ١٣٦ / طه : ٤٧ - ٧٩ / الشعراء : ١٠ - ٦٨ .

[2] انظر : الشعراء : ٣٤-٣٨ .

السحرة الذين آمنوا بالعذاب والقتل الشنيع [1] ، وتمادى فرعون في طغيانه وجبروته ، فنادى بقتل موسى [2] ، وهكذا لم يتأثر فرعون بدعوة نبي الله موسى – عليه السلام – ، بل قد توالت بعد ذلك مكائده وطرق مكره لإفشال دعوة موسى – عليه السلام – ، ومن ثم ، لم يتمكن موسى – عليه السلام – من إزالة طغيانه ، وهي النتيجة المطلوبة والتي لا بد من حتمية تحققها ، وحينئذٍ انتقل أمر تحقّق النتيجة من ممارسات النبي ، إلى تحقّقها بالمعجزة الإلهية ، إذ أغرق الله فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا في طرقه التي شقّها الله بوحيه لموسى أن يضرب بعصاه البحر متّبعين موسى وقومه ، فكانت هذه آية عظيمة على قدرة الله [3] ، وتأييده لأنبيائه ونصرتهم ، والتي حققت هدف إزالة طغيان فرعون ، ومن ثم ، كان وقوع المعجزة دليلاً على تلازم وجود النتيجة مع الهدف في داخل القصة القرآنية بالنسبة للأنبياء ، سواء من خلال ممارسات النبي نفسه في المنهج أو من خلال المعجزات الربانية التي يؤيد الله بها رسله في سبيل تحقيق أهداف الرسالة ، فهذا التلازم بين الهدف والنتيجة يتضمن دلالة على قدسية القصة القرآنية ، وثبات معاييرها في ضبط مسار دراسة دعوة الأنبياء إلى الله ، بمعنى توجيه وقائع القصة بما يفيد التوصّل إلى النتائج التي تتضمن دلالات تحقيق الأهداف .

---

[1] انظر : الشعراء : ٤٦ – ٥٠ .

[2] انظر : غافر : ٣٦ – ٣٧ .

[3] انظر : الشعراء : ٥٢ – ٦٨ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤ ، ص ١٠٠ – ١٠٢ .

ومعالجة المثال السابق في تتبع مسارالنتيجة ، يمكن القياس عليه في معالجة قصص باقي أنبياء الله ومواقفهم مع أقوامهم ، خاصة نبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذي بلغت ممارساته للمنهج درجةً عظيمةً في تحقيق أهداف الرسالة التي كُلّف بها ، فقد كان قرآناً يمشي على الأرض ، وبلغ مرتبَة في الأخلاق عظيمة ، أثنى الله بها عليه ، قال تعالى : << وإنّك لعلى خلُقٍ عظيم >> [القلم: ٤] ، جعلت منزلته بين أصحابه عالية لا تدانيها منزلة ، كما قال عروة بن مسعود لما بعثته قريشاً للتفاوض مع المسلمين في غزوة الحديبية ، ورأى تعظيم المسلمين للرسول - صلى الله عليه وسلم - وحبهم له وتفانيهم في طاعته [1] ، فقال لما رجع إلى قريش : « أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيتُ ملكاً قَطُّ يعظمّه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمدٍ محمداً »[2] ، ودانت له - صلى الله عليه وسلم - الأمم من حوله ، فبلغ هذا الدين من الفتوح ما بلغ ، سواء في عهده - عليه الصلاة والسلام - أو في عهد الصحابة والتابعين من بعده ، وقد كانت معجزته الكبرى في القرآن الكريم خاتم

---

[1] انظر : أكرم العمري : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص ٤٤٠ .

[2] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٢، ص ٩٧٦ . كتاب (٥٨) الشروط ، باب ١٥ ، ح ٢٥٨١ ، ٢٥٨٢ .

الكتب السماوية ، لأنه الدين الحق الذي لا تصلح حياة البشر إلاّ به ، فهو منهج الله الخالد في هداية البشرية للتي هي أقوم ، فإعجازه مُتَضَمَّنٌ في ذاته ، سواء بمبناه الذي تمثّل في إعجازه البياني ، أو في معناه الذي تضمّن منهج الحياة الأقوم لهذه البشرية ، وفيه تحقيق خيرها من خلال ممارسات البشر السليمة في تطبيقه .

٣-عدم اشتراط تلازم الهدف مع النتيجة بالنسبة لغيرالأنبياء:

وذلك بسبب افتقاد قدسية الممارسة والنتيجة بالنسبة لغير الأنبياء والتي تقتضي تلازم وجود الهدف مع النتيجة ، أما الأهداف فهي مقدسةٌ بأصلها المُسْتَنْبَطَة منه وهو القرآن الكريم ، ولا غرو في ذلك ، لأنّ غير الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ ، ومن ثم ، تتفاوت ممارساتهم للمنهج ، **والضابط في تحقّق النتيجة بالنسبة لهم ، وجوب تلازم الممارسات مع مقتضى قدسية الهدف** ، أي ينبغي أن تكون ممارساتهم على سَنَن ممارسات أنبياء الله ، الذين قال تعالى فيهم : << أولئك الذين هدى اللهُ فبهداهم اقْتَدِهِ ... >> [الأنعام: ٩٠] ، فقد امتازت ممارساتهم بالقدسية لأنها كانت وفق منهج الله ، وبعصمة من الله كما ذكرنا آنفاً .

ومن أبرز الشواهد في ذلك ، هدف نُصرة دين الله ، والذي انصبّت جميع ممارسات أنبياء الله في سبيل تحقيقه ، لما يتضمنّه من نصرة دعوة التوحيد ، وإعلاء الدين ، وتحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى ، وقد ورد هذا الهدف صريحاً في قصة عيسى - عليه السلام - إذ قال تعالى : << يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابنُ مريم للحواريّين من أنصاري إلى الله قال الحواريُّون نحنُ أنصارُ اللهِ فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين >> [الصف : ١٤] ، فلو نظرنا لمدى تحقق هذا الهدف في جانب أنبياء الله ، فسنرى بأنّهم قطعاً نصروا الله ، فهم المصطفون الأخيار من عباده الذين ذادوا عن دينه ، وبلّغوا رسالته ، وأقاموا الحجة على عباده ، فعصمهم بعصمته ، وحفظهم بحفظه حتى يبلّغوا دينه على أكمل وجه وأتمّه ، ويكونوا هداة مهتدين إلي يوم الدين قال تعالى : << وجعلناهم أئمة يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] ، فكانت النتيجة أنْ نصرَهُم الله ، مصداقاً لقوله تعالى : << ... إن تنصروا الله ينصُرْكم ... >> [محمد : ٧] « فنصر المؤمنين لله شرط في نصر الله لهم - وإن كان سبحانه قادراً على نصرهم دون ذلك - ولكنه تعالى لم يشأ ذلك ؛ لأنّ حكمته تقتضي ابتلاء المسلمين

بالبذل والتضحية ليميز الخبيث من الطيب ، والكاذب من الصادق ، ومن ثم ، كلٌّ ينال الجزاءالذي يستحقه ، قال تعالى : << ... ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يُضلّ أعمالهم . سيهديهم ويُصلح بالهم . ويدخلهم الجنّة عرّفها لهم >> [محمد : ٤-٦] »[1] وقال تعالي : << أحَسِب النّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فلَيَعلَمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين >> [العنكبوت : ٢-٣] ، أما لو نظرنا لتحقّق هذا الهدف وهو نصرة دين الله في جانب غير الأنبياء فلا يمكننا الجزم بقطعية تحقيقه ، ومن ثم ، ترتّب النتيجة المرجوة عليه وهي نصر الله ، لأنهم متفاوتون في تحقيقه من خلال ممارساتهم ، فعوامل النصر موجودة ، بيّنها الله عزّ وجلّ من خلال كتابه الكريم ، سواء في آيات قصص أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - أو غيرها من آيات القرآن الكريم ، ولكن الأخذ بها وتحقيقها واقعاً فاعلاً في حياة المؤمنين متفاوتٌ ، وكلما استكمل المؤمنون شرائط نصر الله من قوّة الإيمان والتجرّد الكامل لله تعالى وإعداد العدّة المستطاعة للجهاد في سبيله وغيرها من عوامل النصر [2] ، كلما استكملوا درجات تحقيق الهدف ، واقتربوا من النتيجة المرجوة

---

[1] عبدالله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ٢ ، ص ١٠٠ (باختصار) .

[2] انظر : عبدالله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ٢ ، ص ١٠٠ (ولمزيد تفصيل في موضوع عوامل النصر والهزيمة ، راجع نفس المرجع من ص ٩٧- ١٤٩) .

وهي نصر الله لهم الذي وعد به عباده المؤمنين قال تعالى : << إنّا لَننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد >> [غافر : ٥١] ، ومن ثم ، كان تلازم الهدف مع النتيجة بالنسبة لغير الأنبياء متفاوتاً كلٌّ حسب قربه أو بعده من المنهج الرباني .

الفصل الثالث

ضوابط الوسائل

يقتضي التعامل مع القصة القرآنية ، ضوابط منهجية ، تكفل سلامة النظرة إليها ، وصحة التعامل معها ، بما يتناسب مع قدسيتها ومكانتها الدعوية ، ومن ثم ، سيكون مدار البحث في هذا الفصل حول ضوابط اعتماد أو استخدام القصة القرآنية كوسيلة في منهج الدعوة إلى العقيدة ، مع الإشارة إلى أنّ استنباط الضوابط في هذا الفصل يركّز على ذات القصة نفسها في كونها أداة أو وسيلة دعوية ، توافقاً مع منهج البحث في هذه الرسالة في دراسته للقصة القرآنية ، ومن ثم لن يتطرق البحث إلى الأساليب الدعوية المُتضمَّنة في القصة إلاّ بما يفيد الوجهة العامة في دراسة القصة القرآنية ضمن إطار الوسائل ، وبيان هذه الضوابط في التالي :

أولاً : التزام الأسلوب القرآني في دراسة القصة القرآنية :

عُرِضت القصة في القرآن الكريم بأسلوب متميّز في طريقة عرض القصص ، كما قد بيّنا ذلك آنفاً [١] ، فما يورده القرآن من أحداث أو جزئيات في القصة إنما يكون بالقدْر الذي يفيد في تحقيق الهدف المراد ، ومن ثم ، ركّز في طريقة عرضه على أمور بعينها ، وأغفل أموراً أخرى ، لذا ينبغي للباحث في القصة القرآنية أن يركّز على ما ركّز عليه القرآن ، ويُغفِلُ ما أغفله ، فالقرآن غالباً ما يغفل ذكر الأسماء ، كأسماء زوجات الأنبياء أو أسماء بعض الشخصيات الواردة في القصة مثل مؤمن آل فرعون ، أو أسماء الأماكن والبلدان ...إلخ ، وذكر الهيئات أو الصفات الشكلية سواء للنبي أو غيره من الشخصيات ، وما شابه ذلك من جزئيات لا يعيرها القرآن الكريم ذلك التركيز الذي عادةً ما نجده في أسلوب عرض القصص ، ومن ثم ، لا ينبغي للباحث أن يُنقّب عن مثل هذه الأمور التي عادةً ما ترد في الروايات الإسرائيلية المتناثرة في كتب التفاسير .

و من أبرز الشواهد في ذلك ، والذي سنخرج في

---

[١] في الباب الأول من الرسالة ، ضمن الفصل الثالث وهو خصائص الوسائل . ص ٢١٣- ٢٣٥ .

ذكره عن قصص أولي العزم من الرسل ، قصة أصحاب الكهف [١] والتي لم يذكر الله فيها أسماء الفتية الذين أووا إلى الكهف ، أو اسم المكان الذي أووا إليه ، أو الزمان الذي كانوا فيه ، وأغفل كذلك ذكر هيئاتهم سوى وصفهم بأنهم فتية وهم الشباب ، فهذه تقريباً أبرز الأمور التي لم يركّز عليها القرآن في قصتهم ، والتي تعدّ غالباً من أبرز العناصر التي يُركَّز عليها في غير القصة القرآنية ، ومن ثم ، لا ينبغي للباحث أن يتكلّف في التنقيب عنها ، فيفصّل في أسمائهم وأشكالهم وزمانهم والمبالغة في التنقيب حتى عن اسم كلبهم ، وهذه جميعها لم يُخبرنا الله عنها لأنّ فهم القصة وتدبرها لا يعتمد عليها بتاتاً ، وكما قال ابن كثير : « ولم يخبرنا - الله - بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلّف بعض المفسّرين فذكروا فيه أقوالاً ... والله أعلم بأي البلاد هو ؛ ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه » [٢] .

---

[١] انظر : سورة الكهف : الآيات من ٩- ٢٢ .

[٢] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٦٧- ٦٨ .

ثانياً : مراعاة التوازن في معالجة المواقف النبوية :

إنّ التحرّز من التكلّف والمبالغة في معالجة أحداث القصة ، أو التهاون والتقصير فيها ، مطلب رئيس في دراسة القصص القرآني ، بُغية تحقيق الاتّزان في البحث و المعالجة ، والذي يتأكد بصورة خاصة بالنسبة لممارسات أنبياء الله ، لما لها من قدسية ينبغي أخذها بعين الاعتبار .

وربما من أبرز الشواهد التي يمكن أن يطالها التكلّف في معالجة القصص القرآني بالنسبة للمواقف النبوية ، هو موضوع الصفات الدعوية للأنبياء ، الذين امتازوا بكريم الخصال وأرفعها ، فكانوا قمّة في الأخلاق والسجايا ، ولا غرو في ذلك فهم المصطفون الأخيار من عباد الله ، الذين اصطفاهم لتبليغ دينه ، وهداية خلقه إليه ، وبالرغم من اتسام جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بمجموعة من الصفات الكريمة ، والخصال الحميدة ، والتي ظهرت جلية من خلال مواقفهم في القصص القرآني ، إلاّ أنه يظل هناك تفاوت ببروز صفة أو صفات بعينها دون غيرها ، حسب موافقتها وانسجامها مع الموقف الدعوي ، ومن ثم ، لا ينبغي للباحث أن يتكلّف أو يبالغ في معالجة المواقف النبوية ، بأن يلجأ مثلاً إلى ذكر الصفات الكثيرة التي اتسم فيها النبي في الموقف الواحد ، دون النظر إلى مناسبتها وموافقتها للموقف المعالَج ، فيغفَل عن نوع الصفة ، في غمرة حرصه على إبراز كم الصفات ، فيقع الخلل في

معالجة الموقف النبوي ، لأنّ المعيار في المعالجة ، ليس كم الصفات الواردة ، وإنما نوع الصفة ومدى تناسبها مع الموقف النبوي الذي برزت فيه دون غيرها من الصفات .

فمثلاً من الصفات التي اشتهر بها نبي الله إبراهيم – عليه السلام – : الرأفة ، والرحمة ، واللين ، والحلْم ، والقوّة والشجاعة ، وعلى الرغم من اجتماع هذه الصفات في شخصية إبراهيم – عليه السلام – ، إلاّ أنّ المعيار في بروزها أو ظهورها ليس في اجتماعها في كل موقف من مواقفه الدعوية ، وإنما المعيارفي ذلك مدى موافقتها وانسجامها للموقف الذي يمكن نسبتها إليه ، وهذه المواقف بمجموعها بعد ذلك تعطي صورة متكاملة عن الصفات التي اشتهر بها النبي وبرزت من خلال مواقفه الدعوية في القصص القرآني .

فمواقف اللين والرأفة والحلم في دعوة إبراهيم – عليه السلام – لقومه ، مثلاً تبرز من خلال مواقفه في الحوار معهم ، وما احتمله منهم من كثرة جدالٍ في توحيد الله ، ولجاجة ، وتعنّت في قبول الحقّ الذي جاء به ، وإصرار دائب منهم على عبادة الأصنام ، قال تعالى : « واتلُ عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومهِ ما تعبُدون . قالوا نَعْبُدُ أصناماً فَنَظَلُّ لها عاكِفِين . قال هل يسمعونكم إذ تَدْعُون . أو يَنْفَعُونَكم أو يَضُرُّون . قالوا بلْ وَجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتُم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقْدَمون . فإنَّهم عدوٌّ لي إلاّ ربَّ العالَمِين .

الذي خلَقَني فهو يهدين . والذي هو يُطْعِمُني وَيَسْقِين . وإذا مَرِضْتُ فهو يَشْفِين . والذي يُميتُني ثُمَّ يُحْيين . والذي أطْمَعُ أنْ يَغْفِرَ لي خطيئتي يومَ الدين >> [الشعراء : ٦٩-٨٢] فإبراهيم – عليه السلام – كان يعلم ما عليه قومه من ضلال في عبادتهم للأصنام ، ولكنّه كان يسألهم عنها من باب إلزامهم بالحجة في الجدال ، ويسمع لقولهم في الردّ على أسئلته ، وفي ثنايا ذلك يعرّفهم بما يدعوهم إليه وبصفات الله الخالق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له [1] ، قال تعالى : << وحاجّهُ قومهُ قال أتُحاجّوني في اللهِ وقد هدانِ ولا أخافُ ما تُشرِكون به إلاّ أنْ يشاءَ ربّي شيئاً وَسِعَ ربّي كلَّ شيءٍ عِلْماً أفلا تتذكّرون . وكيف أخافُ ما أشركتم ولا تخافونَ أنّكم أشركْتُم باللهِ ما لم يُنَزِّل به عليكم سلطاناً فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمْنِ إنْ كنتم تعلمون >> [سورة الأنعام : ٨٠ – ٨١] أي قد جادله قومه في توحيد الله بُغية إقناعه بصحة ما يدعون إليه من عبادة الأصنام ، فردّ عليهم حججهم وأدحضها مُستنكِراً عليهم ذلك [2] ، ولم يعنفّهم في جدالهم ومنافحتهم عن الباطل أو يضجر منهم ، بل كان حليماً رؤوفاً بهم ، ومن ثم ، تضمنت معالجة هذه المواقف من قصة إبراهيم – عليه السلام – في مجال استنباط الصفات الدعوية ، دلالة واضحة على مدى توافق إيراد صفات اللين والرحمة والرفق

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٢٩٠ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٨٤–٨٥ .

[2] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ١٣٤ .

والحْلم مع هذه المواقف ، على عكس مواقف أخرى لإبراهيم – عليه السلام – والتي برزت فيها جوانب القوة والشدة دون غيرها من صفاته ، وذلك حين قام بتحطيم أصنامهم في غفلة منهم ، مُستَغِلاً تركهم لهذه الأصنام إلى عيدٍ لهم كانوا يخرجون إليه كما ورد في بعض التفاسير[1]،<< وتالله لأكيدَنَّ أصنامَكُم بعدَ أنْ تُوَلُّوا مُدْبِرين . فَجَعَلَهُم جُذاذاً إلاّ كبيراً لهم لعلَّهم إليهِ يَرْجِعون . قالوا من فعلَ هذا بآلِهَتِنا إنَّه لمنَ الظالِمين . قالوا سَمِعْنا فتىً يذكُرُهُم يُقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعْيُنِ النّاس لعلَّهُم يَشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلِهتِنا يا إبراهيم . قال بل فعلَه كبيرُهُم هذا فسألوهم إنْ كانوا ينطِقون . فرجَعوا إلى أنْفُسِهِم فقالوا إنّكم أنتم الظالِمون . ثمَّ نُكِسُوا على رؤسِهِم لقد علمتَ ما هؤلاء ينطِقون >> [الأنبياء : ٥٧ – ٦٥] ، فقد ألحق الضرر بأصنامهم في غيابهم ، فحطّمها جميعاً ، عدا صنم كبير تركه ، بُغية أن يحاجّهم به حال عودتهم إلى مكانها ورؤيتهم لها بعد التحطيم ، وكان ذلك ، وبالطبع لم يجدوا عند هذا الصنم خبراً ، فحجّهم إبراهيم – عليه السلام – واستنكر أن يعبدوا من دون الله ما لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً ، ولكنّهم أصروا على عنادهم وصدّهم لدعوته – عليه السلام – فحينئذٍ شدّ

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٥٩ .

عليهم مرّة أخرى بأنّ عنّفهم بالقول [1] << قال أفتَعبُدون من دونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكُم شيئاً ولا يَضُرُّكُم . أفٍّ لكم ولِما تعبُدونَ من دونِ اللهِ أفلا تعقِلون >> [الأنبياء : ٦٦-٦٧] والتأفّف فيه تحقير لهم ولمعبوداتهم ، وفيه دلالة على التضجّر والاستخفاف [2] ، وبذلك نرى أنّ كلا الموقفين تضمنا صفات إبراهيم - عليه السلام - الدعوية ، إلاّ أنّ أحدهما برزت فيه جوانب اللين والحلم والرفق ، والآخر برزت فيه جوانب الشدة والقوة البأس ، ومن ثم ، فالموقف هو الذي يحدّد الصفة البارزة فيه ، مع التنويه إلى أنّ هذا البروز أو الظهور لا يمنع تواجد هذه الصفات مجتمعة في الشخصية النبوية ، ولكن كما ذُكر آنفاً أنّ المعيار في ذلك هو الموافقة والانسجام مع الموقف .

أمّا التفريط أو التهاون في معالجة المواقف النبوية ، فإنه كذلك يخلّ بالتوازن في دراسة القصة القرآنية ومعالجة أحداثها ، وهو أشد وطأة من التكلّف ، فذاك لا يتعدّى دائرة الخطأ المنهجي بالنسبة للباحث ، أما التفريط أو التهاون فقد يوقع الباحث في دائرة المحظور العقدي ، كأنْ ينحى الباحث في معالجة المواقف النبوية منحىً يسيء للشخصية النبوية ، مثل وصف النبي بصفات لا تتوافق مع

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤١٤- ٤١٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ٩٨ - ١٠٥ .

[2] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤١٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

مكانته النبوية ، والعصمة التي ميّزه الله بها ، ، مما ينبغي الابتعاد عنه و التحرّز منه ، خاصة بالابتعاد عن الروايات الإسرائيلية في ذلك [١] .

ثالثاً : مراعاة تكامل حلقات القصة القرآنية :

نوّع القرآن الكريم في طريقة عرضه لمشاهد أو حلقات القصة الواحدة ، فقد يعرضها في حلقة واحدة كقصة يوسف – عليه السلام – [٢] ، أو يعرضها متفرّقة الحلقات في السورة الواحدة ، أوفي سور مختلفة ، لذا ينبغي للباحث أن يراعي :

١- ربط الحلقة بالسياق الخاص في القرآن :

أي في السورة التي وردت فيها ، ومن الشواهد في ذلك ما جاء في سورة الصافات حول قصة نوح – عليه السلام – ، قال تعالى : << ولقد نادانا نوحٌ فلنعم المجيبون . ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم . وجعلناه وذريّته هم الباقين . وتركنا عليه في الآخِرين . سلامٌ على نوحٍ في العالَمين . إنّا

---

[١] راجع : محمد الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص ٤٠- ٤٣ .

[٢] انظر : سورة يوسف : الآيات من ٤ – ١٠١ .

كذلك نجزي المحسنين . إنّه من عبادنا المؤمنين . ثم أغرقنا الآخرين » [الصافات : ٧٥-٨٢] فأبرز ما ورد في هذه الحلقة من قصة نوح - عليه السلام - بيان العاقبة ، سواء عاقبة المؤمنين وهم نوح - عليه السلام - ومن آمن معه والتي كانت بالنجاة من الطوفان ، أو عاقبة الكافرين الذين لم يؤمنوا بما أرسِل به نوح - عليه السلام - فكانت عاقبتهم الغرق في الطوفان ، وهذا المعنى العام منسجِم تماماً مع السياق الخاص في سورة الصافات ومُتكامل مع ما جاء فيه ؛إذ تضمن بيان معيّة الله لرسله ونصرته لهم ، وأخذه للمكذبين بسوء العاقبة والعذاب المبين [1] ، قال تعالى : « ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين . ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرين . فانظر كيف كان عاقِبة المُنذَرين . إلاّ عباد الله المُخلصين » [الصافات : ٧١- ٧٤] ، لتبدأ بعد ذلك أيات تعرض حلقات من قصص الرسل ، فيها توكيد ذلك ، وكان أولهم ذكراً نوح - عليه السلام - ، الذي تكاملت معاني الحلقة المعروضة من قصته هنا مع المعاني التي تضمنها السياق الخاص الذي وردت فيه .

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ١٣-١٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ٥٩١ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥ ، ص ٢٩٨١ ، ٢٩٩١ .

٢- ربط الحلقة بالسياق العام في القرآن :

أي ربطها بمثيلاتها في السور الأخرى ، فهذا الضابط يعطي تصوراً كاملاً لأحداث القصة وتسلسلها ، بحيث تكمّل الحلقات بعضها بعضاً ، لتعطينا صورة كاملة عن تفاصيل القصة ، فمثلاً الحلقة الخاصة بموسى عليه السلام -يوم كان رضيعاً - وأمه قد وردت في موضعين من القرآن الأولى في سورة القصص ، قال تعالى : << وأوحينا إلى أم موسى أنْ أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرّةُ عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصُرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حقٌّ ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون >> [القصص:٧-١٣] ، والثانية في سورة طه ، قال تعالى : << ولقد مننّا عليك مرّةً أخرى . إذ أوحينا إلى

أمِّك ما يُوحى . أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمّ فليُلقه اليمُّ بالساحل يأخُذْهُ عدوٌّ لي وعدوٌّ له وألقيتُ عليك محبّة مني ولِتُصنَع على عيني . إذ تمشي أختك فتقولُ هل أدُلُّكم على من يكفُلُه فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها ولا تحزن ... » [طه : ٣٧ - ٤٠] ، والمتدبّر في الموضعين يلاحظ الفرق بينهما في بيان التفاصيل الخاصة بالحلقة في صورتها النهائية ، ففي سورة طه كانت المشاهد مختصرَةً غير مفصّلة كما هي في سورة القصص ، مثل وصف حالة أمّ موسى وهي تُلقي بابنها في اليمّ ، الذي أوردته سورة القصص في قوله تعالى : « ... فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني ... » [القصص : ٧] أي لا تخافي عليه من الغرق أو الضيعة [1] ، وقوله تعالى : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين » [القصص : ١٠] أي أصبح قلبها فارغاً من كل شيء إلاّ من أمر موسى ، حتى أنها كادت من شدة حزنها وخوفها عليه أن تخبر بحالها لولا أن ثبّتها الله [2] ، ولم تورِد ذلك سورة طه بل جاء مُقتضباً جداً في قوله تعالى : « أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمّ .. »[طه : ٣٩] ، و جاء

---

[1] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ .

في سورة القصص ذكر موقف امرأة فرعون عندما التقط آل فرعون التابوت الذي فيه موسى من البحر ، وحرص امرأة فرعون على الاحتفاظ بموسى وتربيته [١] << وقالت امرأة فرعون قرّةُ عينٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون >> [القصص: ٩]، إذ لم يرِد ذكر امرأة فرعون في سورة طه ، ولكن ورد ذكر ما ألقاه الله من محبّة في قلوب من يراه ، والتي كانت من أسباب تعلّق امرأة فرعون بموسى وحرصها على نجاته من بطش فرعون [٢] ، قال تعالى : << وألقيتُ عليك محبّة مني ... >> [طه: ٣٩]، ومثل ذلك كيفية ردّ الله لموسى - عليه السلام - إلى أمّه بتحريم المراضع عليه ، وعودة أمه إليه في صورة مُرضعة له ، فتتحقّق نجاته وعودته إلى أمه سالماً كي تقرّ عينها ولا تحزن ، ويتحقق وعد الله لها [٣] ، فقد ذُكِر كل ذلك مفصّلاً في سورة القصص ، قال تعالى : << وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه إلى أمّه كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حقٌّ ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون >> [القصص ١٢-١٣] ،

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ .

[٣] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٠٧.

أما في سورة طه فقد عُبِّر عن ذلك كله بلفظ الكفالة ، قال تعالى : «إذ تمشي أختك فتقولُ هل أدُلُّكم على من يكفُلُه فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها ولا تحزن ...» [طه : ٤٠] والمقصود بمن يكفله أي يربّيه [1] ، فإذن حلقة قصة نجاة موسى – عليه السلام – وهو وليد ، من بطش فرعون وتذبيحه للذكور من بني إسرائيل ، جاءت متكاملة المشاهد عبر سورتي طه والقصص ، ومن ثم ، ينبغي للباحث أن يراعي تكامل مشاهد الحلقات من خلال الربط بين مشاهد الحلقة الواحدة في السياق العام للقرآن ، أي ربطها بمثيلاتها في سور القرآن .

رابعاً : مراعاة الفاعلية الدعوية للقصة القرآنية :

ويُقصد بها فاعلية القصة باعتبارها أداة قرآنية دعوية ، فالقصة في القرآن لم ترِد لذاتها ، وإنما وردت لتكون أداة و وسيلة لأغراض ومقاصد تكون سبباً في تحقيقها ، فهي تعدّ وسيلة للرؤية العملية التطبيقية للأهداف أو المقاصد التي جاءت من أجلها ، مثل الاتعاظ والاعتبار ، والتثبيت ، والقدوة ،

(1) انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٤٠٨ .

والتسرية ...إلخ [١].

فلو أخذنا أحد هذه المقاصد كالتثبيت مثلاً ، فسنجد أنّ القصص القرآني وسيلة أو أداة فاعلة للتثبيت ، وذلك من خلال ما تعرضه من صبر أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – على الابتلاءات التي يمرون بها من خلال دعوتهم إلى توحيد الله – عز وجل – وإقامة الحجة على الناس ، وثباتهم على الحق وصمودهم في سبيله ، فالصبر له رؤية عقدية معلومة ، ولكنّ القصة القرآنية أضفت عليه رؤية عملية تطبيقية ، لتنقله من مجال التصورات إلى مجال الممارسات الواقعية ، من خلال مواقف صبر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – قال تعالى : << فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ... >> [الأحقاف : ٣٥] ، فنوح – عليه السلام – رغم طول مكثه في دعوة قومه ، إذ قال تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمِين >> [العنكبوت : ١٤- ١٥] إلاّ أنه لم يَكلّ خلالها أو يتهاون ، بل امتازت مسيرته الدعوية بالجهد المتواصل والعمل الدؤوب في سبيل هدايتهم للحق ، وأبلغ شاهد في ذلك ما ورد في سورة نوح من آيات تشير إلى طرق

[١] انظر هذه الأهداف وتفصيلها ص ١٤٤- ١٦٤ من الرسالة في مبحث أهداف القصص القرآني في باب ١/ف١.

دعوته لهم وتفانيه في استمالتهم إلى الحق وترغيبهم في الخير الذي جاء به [1]، فما آمن له إلاّ قليل ، أمّا البقية العظمى فما من مجيب منهم أو متّعظ حتى أخذهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الشرك ورفض دعوة الحق .

أما موسى - عليه السلام - ففي قصته نماذج للصبر عظيمة ، خاصة في مواقفه مع بني إسرائيل ، الذين يُفترض فيهم الوقوف معه لا ضده ، ولكنّه - عليه السلام - قد ابتُلي فيهم أشدّ البلاء ، وصبر على إيذائهم له ، فقد أبدوا سخطهم عليه وهو يحاول إنقاذهم من فرعون ، مُتعرّضاً لبطشه وطغيانه ، فأظهروا لومهم له وتبرمهم منه بقولهم : << ... أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ... >> [الأعراف : ١٢٩] ، وما كاد يُنقذَهم بقدرة الله وتأييده لأنبيائه من ذل فرعون واستبداده بهم ، بأن أغرقه الله وجنده في البحر وهم ينظرون ، حتى مالوا إلى عبادة غير الله ، قال تعالى : << وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قومٍ يعكُفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون >> [الأعراف : ١٣٨] ، وما إن ذهب موسى لميقات ربّه على الجبل ليتلقّى الألواح ، حتى

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٣٧١ - ٣٧٤ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص٣٧٠٦-٣٧١٨ .

أضلّهم السامري : << فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا : هذا إلهكم وإله موسى فنسي >> [طه : ٨٨] ، **ثم جعلوا يتسخّطون على طعامهم في الصحراء** وهو المن والسلوى ، فقالوا : << يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تُنبِت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها >> [البقرة : ٦١] ، **وفي حادثة البقرة التي كلفوا بذبحها أظهروا تعنتاً وتشدّداً ، في تعيينها لهم** ، حتى شُدِد عليهم ، فقالوا تارة : << ... ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي ... >> [البقرة : ٦٨] وتارة << ... ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما لونها ... >> [البقرة : ٦٩] وأخرى << ...ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ... >> [البقرة : ٧٠] وأخيراً قال تعالى : << ...فذبحوها وما كادوا يفعلون ...>> [البقرة : ٧١] أي أنهم بعد أن وجدوا البقرة المطابقة للوصف أوشكوا ألا يقتلوها [١] وفي هذا دلالة على عظيم ما كانوا عليه من لجاجة وسوء طبع .. ثم أمام الأرض المقدّسة التي بشّرهم الله بدخولها **وقفوا موقف الجبان المُتخاذل** : << قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون >> [المائدة : ٢٢] .. **فلما كرّر عليهم موسى - عليه السلام - التحضيض والتشجيع تبجّحوا ونكصوا عن مساندته** : << قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت

---

[١] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ١٤ .

وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون >> [المائدة : ٢٤] .. ذلك إلى إعنات موسى بالأسئلة والاقتراحات والعصيان والتمرّد وغيرها من سلسلة الإيذاء لهذا النبي الكريم [١] ، ولكنّ موسى - عليه السلام - صبر عليهم وضرب أروع الأمثلة في تحمّل الأذى ، ولا غرو في ذلك فهو من أولي العزم من الرسل ، ومن ثم ، نرى أنّ قصص الأنبياء من أعظم وسائل التثبيت وترجمة القيم التصورية إلى واقع عملي من خلال ممارسات الأنبياء ، ومن هنا تبرز قيمة القصة القرآنية وفاعليتها باعتبارها وسيلة دعوية .

خامساً : تجاوز النظرة التاريخية للقصة القرآنية :

أي تجاوز مفهوم القِدَم في القصة القرآنية ، فهي تاريخية بالزمن الذي وقعت فيه ، ولكنّها واقعية فاعلة بالعبر والعظات التي حوتها ، قال تعالى : << لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...>> [يوسف : ١١١] والعِبرَة هي الفكرة والتذكرة والعِظة ، وأولوا الألباب : أي أصحاب

---

[١] انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٦ ، ص ٣٥٥٥ - ٣٥٥٦ / أبو الحسن الندوي : روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة ، ص ٧٠- ٧٧ .

العقول [١] ، ففيها عبرة لذوي العقول في أي زمان ومكان ، وقال تعالى : « وكلاً نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين » [هود : ١٢٠] فالخطاب هنا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمّته من بعده ، وفيه بيان أنّ الله يقص من أخبار الرسل السابقين وصبرهم على أذى قومهم ، ونصرة الله لهم ، ليثبّت قلب النبي - عليه الصلاة والسلام - على أداء الرسالة ، والصبر على ما يناله والمؤمنين معه فيها من الأذى ، لأنّها قصص صدق وحق ، حَوَت عِظة وعبرة وذكرى للمؤمنين [٢] ، خاصة أنّ القصص القرآني من الوحي الذي أوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا القرآن ، قال تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » [يوسف : ٣] ، أي أنّ علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذه القصص كان بسبب إيحاء الله له هذا القرآن [٣] ، وما دامت هذه القصص من القرآن ، فلها من الصلاحية والفاعلية ما للقرآن الكريم نفسه ، ومن ثم ، لا ينبغي للباحث أن ينظر إليها نظرة تاريخية مجردة ،

---

[١] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٢٧٧ .

[٢] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ،جـ٢، ص ٤٠٢ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ١١٦ .

[٣] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٤٠٣ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

ويغفل عن فاعليتها وواقعيتها ، بما تحمله من مقاصد وأهداف ذات أصول مقدّسة لانبثاقها من القرآن الكريم ، محقّقة لغايته الرئيسة وهي تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل ، فالقصص القرآني تمثّل الترجمة الواقعية لتعاليم هذا الدين ، من خلال ممارسات أفضل البشر وهم أنبياء الله المصطفون الأخيار ، الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم ، قال تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... » [الأنعام : ٩٠] ، أي « اقتدِ واتّبع ، وإذا كان هذا أمراً للرسول – صلى الله عليه وسلم – فأمّته تبع له » [1] ، فالله عزّ وجل قد شمل أنبياءه بمعيته ورحمته وعصمته ، فكانوا هداة مهتدين ، قال تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فِعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » [الأنبياء : ٧٣] أي أنّ هؤلاء الأنبياء قد جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم ، فقد جعلهم هادين للناس بعد أن جعلهم صالحين في أنفسهم ، يدعون إلى الله بإذنه ، ويسيرون على هدى منه ووحي ، وكانوا ملازمين لطاعة الله في فعل ما أمرهم به والانتهاء عمّا نهاهم عنه [2] ، ومن ثم ، كانوا قدوة وأسوة لغيرهم ، وبذلك تكون قصصهم

---

[1] انظر : ابن كثير: تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ١٣٦ .

[2] انظر : ابن كثير: تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٦١ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ١٠٩ – ١١٠ .

قرآنيـــة فاعلــة واقعيــة .

سادساً : الاهتمام بالوسائل الضمنية للقصة القرآنية :

بالرغــم مــن كــون القصــة القرآنيــة وسيلــة دعويــة ، إلاّ أنهــا تحــوي فــي متضمناتهــا مناهـــج الأنبيــاء فــي الدعــوة إلــى اللــه ، والتــي حـوَت بدورهــا أساليبهــم في الدعــوة ، والتــي تنوّعــت وتعــدّدت بتعــدّد شخصيــات الأنبيــاء ، ممــا أثــرى المضاميــن المتعلّقــة بالأسلــوب فــي القصــة ، فنجــد أنّ القصــة القرآنيــة باعتبار منظومــتها القصصيــة تمثّــل وسيلــة دعويــة ، و باعتبار مضامينها الأسلوبيــة تمثــل وسائــل دعويــة ، وهــذه جميعهــا تصبّ فــي بوتقــة رســم المعالــم المنهجيــة للدعــوة إلــى اللــه ، بــل وتمتــاز القصــص القرآنــي بثــراء الأساليــب الدعــوية الــواردة فــي منهــج دعـــوة الأنبيــاء إلــى اللــه فيهــا ، مــن حــوار ومجادلــة ، وترغيــب وتــرهيــب ، وليــن ورفــق ، وشــدة وبــأس فــي الحــق ، وقــدوة ، وموعظــة ، وغيرهــا مــن أساليــب الدعــوة .

ومن الشواهد في ذلك ، تنوّع الأساليب الدعوية التي سلكها موسى – عليه السلام – ، فعندمــا تحــدّاه فرعــون بالسحــرة ، وطلــب منــه تحديــد

موعدٍ للقائهم « فلَنأتينّك بسحرٍ مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلِفُهُ نحن ولا أنت مكاناً سوى » [طه : ٥٨] ، فحينئذ اختار موسى - عليه السلام - موعداً تحرى فيه اجتماع النّاس ليكون أكثر مشاهِدا ً ، فكان موعده في يوم عيد عظيم عندهم ، واختار وقت الضحى ، ليضمن وضوح الرؤية للمشاهدين ، ليميّزوا بين التخييل والحقيقة « قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى » [طه : ٥٩] ، فحضر الجميع في ذلك اليوم وحدث اللقاء ، ولكنّ موسى - عليه السلام - عندما واجه سحرة فرعون لم يبتدرهم ببيان المعجزة التي أيّده الله بها ، بل فاتحهم بالموعظة « قال لهم موسى ويلَكم لا تفتروا على الله كذباً فيُسحِتَكم بعذابٍ وقد خاب من افترى » [طه : ٦١] فنهاهم عن الكذب على الله وأنذرهم عذابه ، ضارباً لهم المثل بالأمم البائدة الذين افتروا على الله فخسروا وهلكوا ، فكأنّ الموعظة قد أثرت في بعضهم ، فتنازعوا أمرهم بينهم فدعا بعضهم بعضا للتشاور سراً ، قال تعالى : « فتنازعوا أمرَهم بينهم وأسرُّوا النجوى » [طه : ٦٢] ، ولكن غلبت عليهم حميّة الكفر ونصرة صنعتهم وهي السحر ، فأصرّوا على طلب التحدّي بالسحر ، قال تعالى : « قالوا إنْ هذان لساحران يريدان أن يُخرِجاكم من أرضكم بسحرِهما ويذهبا بطريقتِكم المُثلى . فأجمعوا كيدَكم ثمّ ائتوا

صفّا وقد أفلح اليوم من استعلى . قالوا يا موسى إمّا أن تُلقيَ وإما أنْ نكون أول من ألقى >> [طه : ٦٣-٦٥] ، ثم بعد ذلك كانت المواجهة بالمعجزة والتي أذهلتهم ، وتيقنوا منها أنّ موسى - عليه السلام - كان صادقاً فآمنوا بما أُرسِل به من الدين الحق ، قال تعالى : << وألقِ ما في يمينك تلقفْ ما صنعوا إنّما صنعوا كيدُ ساحِرٍ ولا يُفلِح الساحر حيث أتى . فأُلقيَ السّحرة سُجّداً قالوا آمنّا بربِّ هارون وموسى >> [طه : ٦٩-٧٠] .

وهكذا نرى أنّه من خلال هذه المواقف في قصة موسى عليه السلام ، قد ظهرت لنا بعض الأساليب الدعوية المُتضمِّنة في القصة القرآنية سواءً في تحري موسى - عليه السلام - موعداً بعينه ؛ ليفيد به مقاصد دعوية ، أوفي افتتاحه القوم الكافرين بالموعظة التي رجى أن تؤثر فيهم ، رغم اجتماعهم لإبطال حجته واعتدادهم بمهارتهم في السحر التي تحدوه بها ، فالدّاعية الصادق إنما ينتصر للحق ، ومن ثم ، فهو رحيم رؤوف بالمدعويين ؛ بُغية هدايتهم ، فيغتنِم الفرص في استمالتهم للحق ، ثم بعد ذلك واجههم بالمعجزة التي أيده الله بها ، فأذعنوا إليه مؤمنين بما أُرسِل به ، راجين مغفرة الله ورحمته [1] .

---

[1] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٦ ، ص ٢٤٧-٢٦٧ .

وهكذا نجد أنّ القصة القرآنية تتضمن في فحواها أساليب دعوية يسلكها أنبياء الله مع المدعويين ، ينبغي للباحث أن يلتفت إليها في التعامل مع وسيلة القصص القرآني ، خاصة في مجال البحث في أساليب الدعوة .

البـــــاب الثالـــث

النتائج التربوية للدعوة إلى العقيدة في القصص القرآني

الفصل الأول : النتائج التربوية في جانب الاعتقـــاد .

الفصل الثاني : النتائج التربوية في جانب الممارسات .

توطئة

إنّ العقيدة هي أساس بناء التصوّر ، والذي يمثّل بدوره قاعدة السلوك ، فالممارسات تنشأ وفقاً للتصوّرات التي يعتقد فيها المرء ، ومن ثم ، تتوقف سلامة الممارسات على سلامة التصوّرات ، فكلما كان فهم وإدراك العقيدة سليماً ، كلما كان بناء التصوّر سليماً ، وبالتالي كانت الممارسات سليمة ، ومن هنا تبرز الأهمية التربوية للقصص القرآني ، لأنها أعطت من خلال ممارسات الأنبياء صورة حقيقية لسلامة التصوّرات وسلامة الممارسات ، ومن ثم ، **فالنظر إلى ممارسات الأنبياء في القصص القرآني تحت المظلّة التربوية ، يُمَكِّن من إيجاد القاعدة الإيمانية المتكاملة التي ينشأ منها الموقف أو السلوك** ، **والتي تعدّ بجملتها** - أي القاعدة الإيمانية والسلوك النبوي المترتب عليها- **جانباً تربوياً مهماً لضبط الممارسات ، في ضوء واقع ممارسات الأنبياء في دائرة المنهج** ، لما حظيت به ممارساتهم من قدسية ، فهم المصطفون الأخيار من عباد الله لتبليغ هذا الدين ، الذين حفِظ الله مسيرتهم الدعوية بالعصمة التي أسبغها عليهم ، ليكونوا هداة مُهتدين ، قال تعالى : << أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... >> [الأنعام : ٩٠] ، وقال تعالى : << وجعلناهم أئمة يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] ، ومن ثم ، سيكون مدار البحث في هذا الباب حول النتائج التربوية المستنبطة في الأبواب

سابقة الذكر ، بمعنى الوصول إلى أبرز المحصّلات النهائية المتعلّقة بالأبعاد التربوية لمواقف أو أحداث القصة القرآنية ، بحيث تأخذ هذه النتائج مسارين ، إحداهما في جانب الاعتقاد ، والآخر في جانب الممارسات .

سابقة الذكر ، بمعنى الوصول إلى أبرز المحصّلات النهائية المتعلّقة بالأبعاد التربوية لمواقف أو أحداث القصة القرآنية ، بحيث تأخذ هذه النتائج مسارين ، أحدهما في جانب الاعتقاد (التصوّرات) ، والآخر في جانب الممارسات (السلوك) .

الفصل الأول

النتائج التربوية في جانب الاعتقاد

إنّ مدار البحث في هذا الفصل يركزّ على جانب الاعتقاد ، ومن ثم ، فهو أقرب في عرض النتائج إلى الإطار النظري ، من الإطار العملي أو التطبيقي ، بُغية إيضاح وبيان المحصّلات النهائية المتعلقة بالأبعاد التربوية في جانبها الاعتقادي ، خاصة أنّ هذه النتائج نفسها ستُعرض في الفصل الثاني ولكنّ في جانب الممارسات ، وبذلك يكون الفصلان متكاملين في عرض النتائج التربوية وإيضاح جانبيها الاعتقادي والسلوكي .

وبيان النتائج التربوية في جانب الاعتقاد في التالي :

أولاً : كمال الاعتقاد يستلزم صحة التصوّرات :

بلغ أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – الدرجة الرفيعة في صدق تطبيق منهج الله في واقع حياتهم ، فهم خير من يمثل العقيدة الإسلامية تصوراً وممارسة ، فالعصمة الإلهية التي منّ الله بها عليهم ، كانت ضمانة حقيقية لتحقيق

سلامة الاعتقاد ، والتي بلغت بهم درجة الكمال في الاعتقاد ، لأجل كمال الأداء ، فهم مصدر تبليغ الدين ، ومناط القدوة في تحقيقه ؛ بما أوحاه الله إليهم من رسالة ، وما حباهم به من عصمة ، ومن ثم ، كان بناء التصوّرات عندهم سليماً ، قائماً على العقيدة الصحيحة ، فالله عز وجل شملهم برعايته وإرشاده الدائم في سبيل تبليغ هذا الدين على أكمل وجه وأتمّه ؛ لكي لا يكون للناس حجة بعد الرسل ، كما قال تعالى : << رُسُلاً مُبَشِّرين ومُنذِرين لئلا يكون للنّاس على الله حُجّةٌ بعد الرُسُل وكان الله عزيزاً حكيماً >> [النساء : ١٦٥] ، فالوحي لم يقتصر على مجرد تبليغ الأنبياء هذا الدين ، بل إنّه شمل الأنبياء أنفسهم إعداداً وتربية ، ليكونوا أهلاً لتحمّل أعباء الرسالة والذود عنها ، فعندما سأل نبي الله إبراهيم – عليه السلام – ربّه أن يريه كيف يحي الموتى بُغية الاطمئنان القلبي وزيادة اليقين في دليل البعث ، لم يُرِه الله حقيقة الإحياء والبعث ، ولكنه تعالى أراه القدرة على الإحياء كما قال تعالى : << وإذ قال إبراهيمُ ربِّ أرِني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمِنْ قال بلى ولكنْ ليَطْمَئِنَّ قلبي قال فخُذْ أربَعةً مِنَ الطيرِ فَصُرْهُنَّ إليك ثم اجعلْ على كلِّ جبَلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادْعُهُنَّ يأتينَكَ سعياً واعْلَمْ أنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم >> [البقرة : ٢٦٠] فقد دلّه الله – عز وجل – على طريقة يرى من خلالها قدرة الله تبارك وتعالى على إحياء الموتى فيطمئن قلبه ويزداد يقينه بعظيم قدرة الله ، وحكيم صنعه وتدبيره [١]. فالوحي الإلهي صان التصور من أن تعتريه أي شائبة أو نقص ، بل إنّ الله قد منّ على أنبيائه بإجابتهم فيما يسألونه من دلائل قدرته عز

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٣ ، ص ٢٩٧ - ٣٠١ / ابن عطية : تفسير ابن عطية ، جـ٢ ، ص ٤١٥- ٤٢٦ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣، جـ٣ ، ص ٣٨- ٤٠ .

وجل لكي يقرّ هذه العقيدة في قلوبهم ويزيدها رسوخاً وقوّة ، في سبيل بلوغ أعلى درجات الكمال في التصوّر ليحقق القاعدة الإيمانية المتينة ، والتي بدورها تمثّل ركائز تبليغ هذا الدين عند أنبياء الله ، فكانوا هداة مهتدين ، كما قال تعالى : << أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... >> [الأنعام : ٩٠] .

ثانياً : كمال القدوة في أنبياء الله :

إنّ أنبياء الله هم صفوة الله من خلقه ، اختارهم لحمل رسالاته وتبليغ دينه ، فجعلهم أئمة يُقتدى بهم ، ويُحذى حذوهم في تطبيق منهج الله واقعاً فاعلاً ، قال تعالى : << وجعلناهم أئمة يهدون بأمرِنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] ، فهم مصدر تبليغ الدين ، ومناط القدوة في تحقيقه بما أوحاه الله إليهم من رسالة ، وبما عصمهم به في تبليغها على أكمل وجه وأتمّه ، ومن ثم ، كانت ممارساتهم مقدّسة لأنّها في دائرة المنهج ، وكاملة لأنها داخلة في دائرة العصمة الإلهية ، وبالتالي تمثّل الترجمة العملية الحيّة لتعاليم رسالات الأنبياء ، لتحقيق المنهج المتكامل الذي تتلازم فيه سلامة الاعتقاد مع سلامة الممارسات .

وإنّ قاعدة الاقتداء في حياتنا تتمثّل في نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى : << لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً >> [الأحزاب : ٢١] والأسوة الحسنة

هنا تعني القدوة الصالحة [1] ، حيث أكمل الله تبارك وتعالى في سيرة نبيّه - صلى الله عليه وسلم - كل فضيلة ، وأحسن فيه كل سلوك ، وجمع له صفات الكمال التي كانت في أنبياء الله السابقين << أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ... >> [الأنعام : ٩٠] ، ومن ثم كانت شهادة الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - << وإنّك لعلى خلُق عظيم >> [القلم : ٤] [2] ، حيث أضفت قصص أنبياء الله إلى جانب سيرة سيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - طابع التنوّع في القدوات فأثرت جانب النوع فيها ، بالإضافة إلى إثراء جانب الكمّ ، بما حوته سِيَرُهم من مواقف مختلفة متنوّعة برزت فيها الممارسات في أسمى صورها ، وأرفع منازلها الاعتقادية ، فمثّلت بمجموعها كمال القدوة في أنبياء الله .

ثالثاً : تعزيز جوانب الاعتقاد وتحقيق آثارها الإيمانية يستلزم صدق الممارسات في دائرة المنهج الربّاني :

تمثّل القاعدة الإيمانية قوام التصور الاعتقادي ، فهي بمثابة المرتكز أو الأساس فيه ، لذا فإنّ تعزيز مكانتها الاعتقادية ، وتحقيق آثارها الإيمانية ، واتساع رقعتها الواقعية في حس المؤمن وشعوره ، بحيث تجعل إدراكه لها واقعاً متحققاً ، يتطلبّ صدق الممارسة في ضوء المنهج الرباني ، وهذا ما لوحظ من خلال دراسة

---

(١) انظر: ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ٤٠٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ ٧ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

القصص القرآني ، التي أبرزت جانب الممارسات في حياة الأنبياء ، ومدى الأثرالذي أضفته هذه الممارسات في تعزيز الاعتقاد وتحقيق آثاره الإيمانية .

فمثلاً اليقين في الله الذي يعني : « استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ، ولا يتغيّر في القلب » [1] ، يكون التدبر فيه ، والتطلّع إلى رؤية اثاره الإيمانية ، وإدراكه واقعاً فاعلاً أمراً يستلزم ممارسة سليمة صادقة ، تخرج به من النظرية إلى التطبيق ، وتعزّز الاعتقاد فيه ، وتُحقّق آثاره الإيمانية ، وهذا ما أظهره القصص القرآني بجلاء ووضوح في حياة الأنبياء والرسل ، ومن الأمثلة في ذلك ما ورد في موقف إبراهيم - عليه السلام - عندما رأى رؤيا بانه يذبح ابنه ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فلم يتوانَ أو يتردد في تنفيذ أمر الله له ، حتى ولو لم يكن الأمر مباشِراً ، فيقينه بأنه أمر من الله ، بثّ السكينة في قلبه ، ودفعه أن ينفذ أمر الله في طاعة وامتثال وتسليم ، قال تعالى : << فلمّا بلغ معه السعي قال يا بُنَيَّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعلْ ما تؤمَرُ ستجدني إنْ شاء اللهُ من الصابرين >> [الصافات : ١٠٢] فالأمر بقتل ابنه يمثّل ابتلاءاً شديداً على النفس لأبٍ حُرِم الذرية زمناً طويلاً ، ويوم أن رُزق بالولد ، واشتد ساعده وقوى ، يؤمر بقتله ، إنها شدّة ومِحنَة ، تتطلب ممارسة تتوافق مع المنهج ، وتكون محكّاً لبيان مدى الإيمان بالله وتحقيق طاعته واليقين في وجوب الاستسلام والخضوع التام له ، فلم يتردّد إبراهيم -عليه السلام - في تبليغ ابنه بذلك ، وقد أورد الخبر في صيغة مشاورة ، رجاء أن ينال الابن معه الأجر من الله في الخضوع والاستسلام لأمر الله بذبحه ، وتحقق رجاءُ إبراهيم في صلاح ابنه ، الذي طالما دعا الله أن يهبه من الصالحين كما ورد دعاؤه في سورة الصافات : << رب هب لي من الصالحين >> [الصافات : ١٠٠] ، فكان من

[1] عبدالمنعم العزي : تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، جـ٢ ، ص ٧٢٨ .

مظاهر صلاح الابن قبوله أمر الله والاستسلام لوحيه في تنفيذ رؤيا الذبح << ... قال يا أبتِ افعلْ ما تؤمَرُ ستجدني إنْ شاء اللهُ من الصابرين >> [الصافات : ١٠٢] ، مما قوّى من عزيمة إبراهيم – عليه السلام – في تنفيذ أمر الله ، فشرع في الذبح << فلمّا أسلَما وتلّهُ للجبين . وناديناهُ أنْ يا إبراهيم . قد صدَّقتَ الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين . إنّ هذا لهو البلاء المبين . وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عظيم . وتركنا عليه في الآخِرين . سلامٌ على إبراهيم . كذلك نجزي المُحسنين . إنّه من عبادنا المؤمنين >> [الصافات : ١٠٣ – ١١١] ، واكتمل المشهد في قصة رؤيا الذبح حتى هذا الموقف العصيب وهو موقف الشروع في الذبح ، وحينئذ جاء النداء الرباني ، الذي فدى الذبيح اسماعيل – عليه السلام – بكبش عظيم ، ورفع من قدْر إبراهيم – عليه السلام – ، وأعلى من شأنه ، فجعله من المحسنين ، لما ظهر منه من استسلام وخضوع وسَمْتْه بالعبد المؤمن [1] ، و أضفى وقوع النداء الرباني بعد الشروع في الذبح صورةً لإتمام الفعل أو الممارسة من قِبَل نبي الله إبراهيم – عليه السلام – ، فدلّ على صدق الممارسة ، وقوّة اليقين في أمر الله ، ووجوب الاستسلام لأمره ، فكان هذا الموقف ابتلاءً لإبراهيم – عليه السلام – ، وبياناً لكمال يقينه في الله ، وقوّة استسلامه لأمره والخضوع لقضائه ، مما أبرز أنموذجاً واقعياً في بيان مدى تعزيز الاعتقاد وآثاره الإيمانية من خلال الممارسات في ضوء المنهج الإلهي .

---

[1] راجع قصة رؤيا الذبح في سورة الصافات : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٤، ص ١٥–١٧ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١٥ ، ص ٩٩–١١٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١، جـ ٢٣ ، ص ١٤٩– ١٥٤ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٥٩٣ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥، ص ٢٩٩٤– ٢٩٩٦ / عماد زهير حافظ : القصص القرآني ، ص ١٠٥– ١١٥ .

رابعاً: أهمية قصص الأنبياء في الدلالة على المكانة العقدية للأعمال القلبية :

إنّ من أهم موضوعات العقيدة الإسلامية ، توحيد الألوهية ، والمتمثّل في توحيد العبادة [١] ، التي تنقسم بدورها إلى قسمين الأول يتعلق بأعمال القلب ، والآخر يتعلّق بأعمال الجوارح ، ولا تخفى أهمية توحيد الألوهية فهو أساس هذا الدين ، وعليه قامت دعوة الرسل جميعاً ، قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون » [الأنبياء : ٢٥] ، ومن ثم ، نالت أعمال القلب أهميتها من موقعها ضمن توحيد الألوهية ، فهي المعوّل عليها في تفعيل الجوانب الاعتقادية في النفس ، وفي بث الهمّة نحو تحقيق هذا الدين في واقع الحياة ، لما لها من الأثر العظيم في توجيه الممارسات في إطار الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه [٢] ، وذلك لتعدّد أنواعها وشموليتها لأهم ركائز تدعيم الإيمان في النفس وتجديده وصيانته ، مثل الصدق واليقين والثقة بالله والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء والتوكل ...إلخ ، فمنزلة القلب عظيمة في الإسلام ، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « ... ألا وإنّ في الجسد مُضغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه وإذا فَسَدت فَسَدَ الجسدُ كلُّه ألا وهي القَلْبُ » [٣] ، ففي هذا الحديث « تنبيه على تعظيم قدر القلب ، والحث على

---

[١] انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جـ٣ ، ص ١٠١ / محمد بن صالح العثيمين : مجموع فتاوى ورسائل ، جـ١ ، ص ٢٠ / عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب : فتح المجيد ، جـ١ ، ص ٨٢ / صالح الفوزان : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٩ .

[٢] ورد في حديث جبريل المشهور ،جواب الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما سُئِل عن الإحسان وهو : « أنْ تعبُد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك » (البخاري : صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٢٧ ، كتاب الإيمان (٢) ، باب ٣٦ ، ح ٥٠) .

[٣] البخاري : صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٢٩ ، كتاب الإيمان (٢) ، باب ٣٧ ، ح ٥٢ / مسلم : صحيح مسلم ، جـ٣ ، ص ١٢٢٠ ، كتاب المساقاة (٢٢) ، باب ٢٠ ، ح ١٠٧ .

صلاحه » [1] ، لذا يحرص المؤمن على سلامة قلبه وصلاحه ، وحمايته من الفساد [2] ، فالقلب محلّ الاعتداد في الأعمال ، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إنّ الله لا يَنْظُرُ إلى أجسادِكم ولا إلى صُوَرِكُم ولكن يَنْظُرُ إلى قُلوبِكم » [3] ، وفي رواية أخرى : « إنّ الله لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُم وأموالِكم ولكن يَنْظُرُ إلى قُلوبِكم وأعمالِكُم » [4] و« معنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة ، ونظر الله رؤيته المحيطة بكل شيء ومقصود الحديث أنّ الاعتبار في هذا كله بالقلب » [5] ، ومن ثم ، كان للقلب ثقله في ميزان الله ، وتبعاً لذلك ، تبرز أهمية الأعمال القلبية في حياة المسلم ؛ فالقلب ككيان يمثل القاعدة للأعمال القلبية ، ومن ثم ، إذا اختلّت هذه القاعدة ، تعطّلت فاعلية القلب ، واختلّت أعمال القلوب تبعاً لذلك ؛ لأنها تمثل مظاهر هذه الفاعلية .

و من خلال تحقّق الأعمال القلبية في واقع الحياة ، يتعرّف المؤمن على معاني أسماء الله تعالى وصفاته ، ويدرك حقيقة هذا الدين ، ومدى عمق رسوخه في النفس الإنسانية ، ويتطلّع لآثاره السلوكية في حياته ، قال تعالى : << أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور >> [الحج : ٤٦] فرغم حظ الرؤية والسمع في الاعتبار إلاّ أنّ ذلك لا يتكامل إلاّ بتدبّر القلب [6] وتفعيل أعماله

---

[1] ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

[2] انظر : النووي : شرح صحيح مسلم ، جـ١١ ، ص ٢٩ .

[3] مسلم : صحيح مسلم ، جـ٤ ، ص ١٩٨٧ ، كتاب البرّ والصلة (٤٥) ، باب ١٠ ، ح ٣٣ .

[4] مسلم : صحيح مسلم ، جـ٤ ، ص ١٩٨٨ ، كتاب البرّ والصلة (٤٥) ، باب ١٠ ، ح ٣٤ .

[5] النووي : شرح صحيح مسلم ،جـ ١٦ ، ص ١٢١ .

[6] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٩٧ / القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ١٢،=

القلبية ، ومن ثم ، ينبغي للمسلم أن يعي مدلولات هذه الأعمال أو العبادات التي مناطها القلب ، ويدرك مدى واقعية تحقيقها في الحياة ، ويؤمن بعظم آثارها سواء في جانب الاعتقاد أو السلوك ، **ومن هنا تبرز أهمية قصص الأنبياء في الدلالة على ذلك ، والتي نالت الأعمال القلبية حيزاً كبيراً فيها** ، وكما مرّ معنا في التمهيد ، ذكر قرابة اثنى عشر عملاً قلبياً من أبرز أعمال القلب التي تمّ استخلاصها من قصص أولي العزم من الرسل [1] ، مثل التصديق واليقين والثقة بالله والمحبة والخوف والرجاء ...إلخ ، فالمتدبّر لواقع أنبياء الله في ممارسة هذا الدين ، يرى أنهم كانوا أقرب الناس إلى الله عزّ وجل ، وأعرفهم به ، ويلمس مدى إيمانهم به تعالى ، وتصديقهم له ، و ثقتهم به ، وإخلاصهم و محبتهم له ، وخوفهم من عذابه ورجائهم لمغفرته ورحمته ، حملوا رسالته ، متوكلين عليه سبحانه في تبليغ الناس هذا الدين ، بُغية هدايتهم للحق المبين ، يذودون عن دين الله قدر وسعهم وطاقتهم ، بالنفس والنفيس ، همُّهم طاعة الله ونيل رضوانه ، صابرين على مشاق الدعوة ، شاكرين له توفيقه وإحسانه ، فتكللّت جهودهم بالنور المبين ، الذي كان نبراساً وهدىً لغيرهم ، فضربوا أروع الأمثلة في تَمَثُّل أعمال القلب واقعاً ملموساً في حياتهم ، والذي بلغت ممارساتهم في ظله أسمى صورها الإنسانية ، فكانت نموذجاً يُحتذى إلى يوم الدين .

= ص ٧٧ / الرازي : التفسير الكبير ، مج ١٢ ، جـ٢٣ ، ص ٤٠ .

[1] لقد ذُكِرَ جانباً كبيراً من ممارسات الأنبياء في التمهيد من خلال الشواهد ، ص ٣٢ – ١١٦ من الرسالة .

خامساً : أهمية قصص الأنبياءفي الدلالة على المكانة العقدية للذّكر والدعاء :

إنّ الأهمية العقدية للذّكر والدعاء [١] تكمن أولاً في الموقع من أنواع التوحيد ، فهو يمثّل القسم الثاني من توحيد العبادة (توحيد الألوهية) وهو العبادات التي مناطها الجوارح ، وتكمن ثانياً في مدى صلته بحياة الإنسان ، إذ إنّه متصل به في كل أحيانه وأحواله ، كما قال تعالى في معرض مدحه لعباده في دوام ذكرهم له عز وجل : << الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النـّار >> [آل عمران : ١٩١] ، و الذّكر من أبرز الأسباب في تقوية الصلة القلبية بالله عز وجل والحرص على دوامها ، كما أنه يكون سبباً في إزالة الغفلة عن قلب المسلم بما يحققه من ترابط بين المرء وما حوله من أحداث وأشياء ، وقد جاءت قصص الأنبياء لتضفي مزيد دلالة على أهمية الذكر ، وعظم مكانته العقدية ، فالمتتبع لمواطن الذكر والدعاء في حياة أنبياء الله ، سيجد شمولها لجميع مجريات حياتهم ، من سرّاء وضرّاء ، فهم بين حمد وثناء لله على نعمه وكريم اصطفائه لهم ، وبين طاعة ورجاء في رحمته ومغفرته ، ومسألة في نيل خيره وتيسيره وتوفيقهوهداه ، وغيرها من أصناف الذكر والدعاء ، التي ذُكرت فيما سبق بالتفصيل [٢] .

---

[١] الفصل هنا بين الذكر والدعاء ،على سبيل تخصيص الدعاء بالأهمية من بين سائر أنواع الذكر ، فالدعاء نوعٌ من أنواع الذكر ،. (راجع ص ٩٥ من الرسالة / و راجع : جيلان العروسي : الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، جـ١ ، ص ٧٧– ٧٨) .

[٢] انظر بيان الأذكار والأدعية الواردة في قصص أولي العزم من الرسل التمهيد ، ص ٩٧ – ١١٦ من الرسالة .

سادساً : فاعلية القصص القرآني في إرساء القيم في ضوء العقيدة الإسلامية :

إنّ قصص أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - تمثّل تطبيقاً عملياً للقيم الربانية في الواقع ، وكما هو معلوم أنّ دين الأنبياء جميعاً هو الإسلام ، ومن ثم ، فدينهم واحد وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم في معالجة أوضاع مجتمعاتهم [1] قال تعالى : << إنّ الدين عند الله الإسلام >> [آل عمران : ٣] ، وهذه الوحدة تعدّ مصدراً لثبات القيم واستمراريتها على مرّ العصور والأزمان ، والتي أتمّتها وأكملتها في صورتها الخاتمة رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين [2] << ...اليوم أكملت لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً ... >> [المائدة : ٣] ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق » [3] ، وهذا « يدخل فيه الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل ، فبذلك بُعث ليتممه » [4] ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ مِن قبْلي ، كمثلِ رجلٍ بنى بيتاً ، فأحسَنَه وأجمَلَهُ إلاّ

---

[1] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٠٥ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ١ ، ص ٣٢٦ / ابن القيم : بدائع التفسير ،جـ١ ، ٤٨٢ /ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٣ ، جـ٣، ص ١٩٠-١٩١ .

[2] راجع الطبري : تفسير الطبري ، جـ٣ ، ص ١٩ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٢ ، ص ٨٤٢ .

[3] العجلوني : كشف الخفاء ، جـ١ ، ص ٢١١ (قال : رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ، منها ما رواه أحمد والخرائطي في أول المكارم بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق ...) / وانظر : الإمام مالك : الموطأ ، جـ٢ ، ص ٧٥٦ . كتاب حسن الخلق (٤٧) ، باب ٢ ، ح ٨ ولفظه = « بُعثت لأتمّم حُسْن الخُلُق » / الإمام أحمد : مسند أحمد ، جـ٢ ، ٣٨١ .

[4] الإمام مالك : الموطأ ، جـ٢ ، ص ٧٥٦ (هامش الحديث رقم ٨ تابع كتاب حسن الخلق (٤٧) ، باب ٢) .

موضعَ لَبِنَةٍ من زاويةٍ ، فَجَعَلَ النّاس يَطُوفون به ، ويَعْجَبونَ له ويَقُولون : هلاّ وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة ؟ قال : فأنا اللَّبِنَة ، وأنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ » [١]

ففي هذا الحديث دلالة على تشبيه ما بُعِث به أنبياء الله من إرشاد الناس وهدايتهم إلى دين الحق ، ببيتٍ أُسِّست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع لبنة ليتم بها اكتمال بناء ذلك البيت ، وهذه اللبنة هي رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، و المراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة للرسالة الخاتمة ، مع ما مضى من الشرائع الكاملة بالنسبة للأنبياء السابقين [٢] ، وبذلك مثّلت قصص الأنبياء مُجتمعة رصيداً متيناً في تقرير القيم اعتقاداً وممارسة ، مما رفع من منزلة القصص القرآني في إثراء جانب القيم الإسلامية بالشواهد الواقعية الفاعلة ، والتي سيفصّل ذكرها في الفصل الثاني من هذا الباب ، لبروزها في جانب الممارسات .

---

[١] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٣٠٠ . كتاب المناقب (٦٥) ، باب (١٦) ، ح ٣٣٤٢ / وانظر مسلم : صحيح مسلم ، جـ٤ ، ص ١٧٩٠ – ١٧٩١ ، كتاب الفضائل (٤٣) ، باب (٧) ، ح ٢٠– ٢٣ .

[٢] انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ٦ ، ص ٥٥٩ ، كتاب المناقب (٦١) ، باب (١٨) ، ح ٣٥٣٥.

الفصل الثاني

النتائج التربوية في جانب الممارسات

ستُبحث النتائج التربوية لمنهج الدعوة إلى العقيدة في هذا الفصل في جانب الممارسات كما ذكرنا ذلك سابقاً ، بمعنى التركيز على الجانب السلوكي ، بعرضها في الإطار العملي أو التطبيقي من خلال ممارسات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، لتتكامل صورعرض النتائج التربوية في جانبيها الاعتقادي والسلوكي .

وبيان النتائج التربوية في جانب الممارسات في التالي :

أولاً : كمال الاعتقاد يستلزم سلامة الممارسات :

القصص القرآني تُعَدُّ ترجمةً عملية للعقيدة الإسلامية ، في أسلم صورها ، حيث أنّها تمثّل أقوى المعطيات في تعزيز صدق الممارسات ؛ لقدسيّتها وكمالها ، فأنبياء الله هم مصدر تبليغ الدين ، ومناط القدوة في تحقيقه بما أوحاه الله إليهم من رسالة ، قال تعالى : « وجعلناهم أئمة

يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] ، والمتدبّر في ممارساتهم يرى كيفية مواءمتها وإنسجامها مع منهج الله ، ويلمس مدى حرص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على سلامة الممارسات ، بتوخيهم طاعة الله في جميع شؤون حياتهم ، دقيقها وجليلها ، فنبي الله نوح - عليه السلام - كان يدعو ربه بنجاة ابنه من الغرق في الطوفان ، فقد غلبت عليه مشاعر الأبوة ، فكان يستنجز بدعائه وعد ربّه بتحقيق النجاة لأهله ، قال تعالى : << ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني من أهلي وإنَّ وعدك الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين >> [هود : ٤٥] ، فجاءه البيان الإلهي ليقرّر أنّ الأهل في ميزان الله هم أهل العقيدة [1] ، وبالتالي يصحح جانب التصوّر في حقيقة الأهل عند نوح - عليه السلام - ، قال تعالى : << قال يا نوحُ إنّه ليس من أهلك إنّه عَمَلٌ غيرُ صالح فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين >> [هود : ٤٦] فوعظ الله عز وجل نوحاً من الجهل بذلك ، وصحح تصوره بالنسبة لميزان الأهل عند الله وهم أهل الإيمان والعقيدة ، وما سواهم باطل لا اعتبار له ، فكان هذا التصحيح للتصور الاعتقادي ، ضماناً لسلامة الممارسة بالنسبة لنبي الله نوح - عليه السلام - ، الذي أناب إلى ربه مستعيذاً به أن يسأله مثل ذلك ، طالباً مغفرته ، راجياً رحمته ، ومُسلِّماً بمراد الله في تقرير حقيقة الأصرة التي ينبغي للناس أن يجتمعوا عليها ، متّبعاً التصوّر الصحيح في ذلك عن طواعية ورضى بحكمة الله << قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين . قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك وأممٌ سنمتّعهم ثمّ يمسّهم منّا

---

[1] انظر: القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٤٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٥٠٢ .

عذاب أليم >> [هود : ٤٧-٤٨] فتاب الله عليه وباركه هو ومن آمن معه [1] ، ومن ثم ، نلمس من هذا الشاهد مدى حرص نوح على طاعة ربه ، واستعاذته من عدم سلامة ممارساته حين طلب النجاة لابنه ، والتي سرعان ما صححها لتعود في دائرة السلامة ، بإنابته إلى ربه ، وتركه الدعاء بنجاة ابنه ، لأنه ليس من أهله ، فأهله هم أهل الإيمان والعقيدة ، فكمال الاعتقاد استلزم سلامة التصورات وسلامة الممارسات ، والتي حرص الوحي عليها ، بل ووعظ فيها أنبياءه ، فسلامة العقيدة مُقدّمة في المصلحة على الأنبياء ، حتى ولو كان في ذلك إظهارٌ للنبي في موقف العتاب أو الوعظ ، بل إنّ ذلك ألزم مع النبي دون غيره - لأنه المبلّغ عن الله ، ومحلّ القدوة في دين الله ، ومن ثم ، الحرص على سلامة الاعتقاد والممارسة في جانب الأنبياء آكد وألزم ، والتي أبانت عن خيار معادن أنبياء الله ، وأنهم بحق المصطفون الأخيار ، فقد ضربوا أروع الأمثلة في طاعة الله ونيل رضوانه ، والإنابة إليه ، وطلب رحمته ومغفرته ، وتوفيقه وتسديده ، فهم حريصون على تبليغ هذا الدين في أكمل صوره وأتمّها .

ثانياً : إمكانية صياغة الشخصية الإسلامية المثالية انطلاقاً من تكامل أنموذج القدوة في الأنبياء :

إنّ السبيل إلى المثالية هو الاقتداء بأنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - لأنّ كمال القدوة متمثّلٌ في صفاتهم وسيرتهم ، لما امتازت به ممارساتهم من قدسية وعصمة ربانية ، نالوا بها هذه الدرجة من الكمال الإنساني في تحقيق منهج

---

[1] انظر: الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٤ / عماد زهير حافظ : القصص القرآني ، ص ٤٧-٥٢ .

الله واقعاً فاعلاً في حياتهم ، ومن ثم ، يُطلب للمسلم أن يحذو حذو هؤلاء الأنبياء في تحقيق منهج الله في حياته ، خاصة أنّ هذا المطلب ليس بالأمر العسير ، فقوامه الجهد البشري نفسه بعد توفيق الله تبارك وتعالى ، ولا يتجاوز في حدوده الطاقة البشرية ، فما حملته المسيرة الدعوية للأنبياء من جهدٍ مضنٍ ، وكفاحٍ مرير ، وابتلاءات وفتن خير شاهد على ذلك ، قال تعالى : << أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتِكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب >> [البقرة : ٢١٤][1] .

والرسل بشر ، تمثّل فيهم كمال التفاعل الواقعي بين البشر والمنهج ، والذي أثمر نماذج إنسانية رفيعة القدر ، أعلى الله من شأنها وجعلهم أئمة يُهتدى بهم في الخيرات ، قال تعالى : << وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين >> [الأنبياء : ٧٣] ، بل إنّ الله عز وجل قد خص بعض أنبيائه بالتصريح بالاقتداء بهم مثل قوله تعالى في الاقتداء بمحمد – صلى الله عليه وسلم – : << لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً >> [الأحزاب : ٢١] ، والاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – : << قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ...>> [الممتحنة : ٤] ، ويبقى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بالنسبة للأمّة الإسلامية ممثّلاً القاعدة في القدوة لما حباه الله من عظيم الخصال وأرفعها ، والذي

---

[1] انظر تفسير هذه الآية : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ١ ، ص ٢١٩ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

اجتمعت فيه بهذا الكم الغفير ما لم تجتمع في غيره [1] ، فنال - عليه الصلاة والسلام - شهادة الله فيه << وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم >> [القلم : ٤] .

ومن هنا فقد أعطت قصص الأنبياء مجتمعة منبعاً غنياً بالقدوات في جوانب شتى ، بسبب تنوّع شخصيات الأنبياء ، والتي بدورها نوّعت مناهجهم في الدعوة إلى الله ، وبذلك يصبح مجال صياغة الشخصية الإسلامية المثالية في دائرة كمال القدوة المتمثل في أنبياء الله ، ذا سعة ورحابة ، وأبعاد تربوية جمّة يمكنها أن تحتوي أصناف الناس في المجتمعات الإسلامية .

ثالثاً : أثر اتّساع الممارسات في ضوء المنهج في تعزيز جوانب الاعتقاد وتحقيق آثارها الإيمانية :

إنّ تعزيز جوانب الاعتقاد ، وتحقيق آثارها الإيمانية ، بحيث تصبح لها قاعدة راكزة وفاعلة في حس المؤمن وشعوره ، يتطلّب ممارسة جادة في ضوء المنهج تنهض بها إلى مرتبة التفاعل الواقعي بين المسلم وما يعتقد به من تصورات ، لتخرج في صورة حيّة واقعة ملموسة المعالم من خلال آثارها الإيمانية والسلوكية ، ومن أبرز ما يحقق ذلك ، اتّساع الممارسات ؛ لأنه كلما اتّسعت الممارسات في ضوء المنهج ، كلما أدى ذلك إلى اتّساع أثر القاعدة الإيمانية وعمق إدراكها في الحس الإيماني للمسلم ، لأنّ التفاعل الصادق بين البشر والمنهج من شأنه أن يرقى بالمؤمن في تلمّس مواطن التأثير الفاعل في

---

[1] راجع : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٤ ، جـ٧ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

هـــذا الديـــن ، ومن ثم ، تعزيز جوانب الاعتقاد وتحقيق آثارها الإيمانية .

فمثلاً الإيمان بالمعية الربانية ضمن التصوّر الاعتقادي ، له قاعدة إيمانية عند المؤمن ، ولكن تحقيقه واقعاً فاعلاً ، يتطلب أطواراً من الممارسات السليمة في ضوء المنهج الرباني ، كي يؤتي ثماره ، سواء في جانب إدراك حقيقته أو تحقيق آثاره ، كما حدث مع موسى – عليه السلام – في بداية إرساله إلى فرعون ، وفي نهايته ، فبالرغم من ثقة موسى – عليه السلام – بالله – عز وجل – وإدراكه للمعيّة الربانية ، وإجابة الله دعاءه بأن يجعل هارون سندا له يؤازره في دعوته ، إلاّ أنّه في بداية إرساله أبدى تخوّفاً من أن يبتدرهما فرعون بالعقوبة أو الاعتداء أو غيرها من وسائل الطغيان والتكبّر على الحق ، ومن ثم ، لن يتمكنا من تبليغه ما أمرهما الله به ومحاجته [1] ، قال تعالى مخاطباً موسى وأخاه هارون : << اذهبا إلى فرعون إنّه طغى . فقولا له قولاً ليِّناً لعلّه يتذكّرُ أو يخشى . قالا ربّنا إنّنا نخافُ أن يَفرُطَ علينا أو أنْ يطغى . قال لا تخافا إنّني معكما أسمعُ وأرى >> [طه : ٤٣ – ٤٦] ، فنهى اللهُ موسى عن الخوف ، وطمأنه بأنه معه يسمع ويرى ، والمعيّة معيّة حفظ ونصر وتأييد [2] ، ولكنه بعد أن مضى موسى – عليه السلام – في الدعوة ولمس معية الله له وتأييده ، خاصة في مواجهته للسحرة بالمعجزة الربانية التي تمثّلت في العصا ، زاد رصيده الواقعي في الدعوة إلى الله ، واتسعت مساحة ممارساته ، ومن ثم ، اتسعت القاعدة الإيمانية الخاصة بالمعيّة الربانيّة ، وزاد اكتمال صورتها في نفسه ، وتعمّق إدراكه الإيماني لها ، لنرى ذلك واضحاً من خلال

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٣٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨، جـ١٦ ، ص ٢٢٧ .

[2] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٣٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨، جـ١٦ ، ص ٢٢٨ .

موقفه في نهاية مواجهته لفرعون يوم كاد أن يدركهم بجنوده ، فصاح بنو إسرائيل في فزع أمام موسى بأنهم مُدركون ، أي أنّ فرعون سيلحق بهم لا محالة ، فقد تزعزع إيمانهم وضعف ، قال تعالى : << فلمّا تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدرَكون >> [الشعراء : ٦١] ، فالبرغم من أن الموقف في ذلك الحين لم يكن يحمل أي دلالات ظاهرية على النجاة ، فقد كان فرعون من خلفهم والبحر من أمامهم ، ولكنّ موسى – عليه السلام – ، لم يتزعزع إيمانه أو يضعف ، بل كان على يقين من ربّه وثقة أنه سينُجيه من فرعون ، وسينصره ، خاصة أنّ مسيره هذا كان بوحي من الله ، كما أنّه – عليه السلام – كان مُدرِكاً لحقيقة المعيّة الربانية للمؤمنين ، فكيف إن كان هذا المؤمن نبياً مُرسَلاً ، لذا كان جوابه قوياً رادعاً لهم عن الظنّ في أنّ فرعون مُدركهم ، معلّلاً ردعهم بمعيّة الله له ، على معنى « مصاحبة لطف الله له وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه »[1] ، << قال كلاّ إنّ معيَ ربي سيهدين >> [الشعراء : ٦١] وقد اقتصر موسى – عليه السلام – في ذكر المعيّة على نفسه بقوله : (إنّ معي ربي سيهدين) لأنه لو كان بنو إسرائيل مدركين لحقيقة المعيّة الربانية للمؤمنين – وخاصة أنبياء الله ورسله – لما جزعوا وظنوا أن هلاكهم على يد فرعون واقع في تلك اللحظة [2] ، ومن ثم ، كانت مقولة موسى – عليه السلام – في ذلك الموقف مقولة الواثق بربه ، المطمئن إلى جنابه ، بأنه ناصره ومنجيه كما نصره ونجاه من قبل ، ففي هذا الموقف بلغت القاعدة الإيمانية لإدراك حقيقة المعيّة الربانية عند موسى – عليه السلام – درجة من السعة والعمق

---

[1] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩، جـ١٩ ، ص ١٣٥ .

[2] راجع : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٩، جـ١٩ ، ص ١٣٥ .

كبيرة ، لما مرّ به من مسيرة دعوية طويلة في ظلّ ممارساته في ضوء المنهج الرباني ، والتي كان لها دورٌ كبيرٌ في تعزيز هذا الإدراك ، وتحقيق الأثر الإيماني الفاعل ، لنرى أنّ موسى – عليه السلام – في بداية مسيرته الدعوية خاف قبل أن يفرط فرعون عليه ، وفي خِضَمّ مسيرته الدعوية لم يخف بعد أن فرط فرعون عليه ؛ لأنه بين (قبل وبعد) قطع موسى – عليه السلام – شوطاً كبيراً في الممارسات الدعوية ، ومن ثم ، زاد رصيده في التربية العقدية من خلالها ، مما كان له دورٌ بالغٌ في جلاء أثر الإيمان بالله بسبب اتّساع الممارسات في محيط المنهج الربّاني .

رابعاً: أهمية الممارسات في إبراز فاعلية الأعمال القلبية :

إنّ المحكّ الحقيقي لتمحيص الممارسات ، وبيان صدقها من زيفها ، هو الابتلاء ، كما قال تعالى : « أحسِب النّاس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون . ولقد فتنّا الذين من قَبْلِهم فلَيَعْلَمنّ اللهُ الذين صدقوا ولَيَعلَمنّ الكاذبين » [العنكبوت : ٢-٣] ، قال ابن كثير : « ومعناه أنّ الله سبحانه وتعالى لا بدّ أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان » [(١)] ، وكما هو معلوم أنّ أشدّ النّاس بلاءً الأنبياء ، كما ورد في حديثه – صلى الله عليه وسلم – عندما « سئِل : أي النّاس أشدُّ بلاءً ؟ فقال : « الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل ،

(١) ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ٣٤٦ .

فيُبتلى الرّجل على حسب دينه ، فإن كان دينُه صُلْباً اشتدّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رِقّةٌ ابتُلي على حَسَبِ دينِه ، فما يبرَحُ البلاء بالعبدِ حتىّ يتركَهُ يمشي على الأرض ما عليه خطيئة » [1] ، فالابتلاء سنّة من سنن الله في الحياة الدنيا ، وهو في الخير وفي الشر ، كما قال تعالى : << ...ونبلوكم بالشر والخير فِتْنة وإلينا تُرجعون >> [الأنبياء : ٣٥] فعن ابن عبّاس قال : « نبتليكم بالشدّة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلالة »[2] لننظر كيف شكركم وصبركم ، فنجازيكم بأعمالكم إنْ خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ [3] .

والصبر من أهم الأعمال القلبية التي تتطلبّها مواطن الابتلاء ، فها هو نبي الله نوح – عليه السلام – لاقى من قومه بلاءً شديداً ، ولكنه صبر على كل ما يلقاه منهم من عنت وشدة وإيذاء ، بُغية هدايتهم إلى الحق << قال ربِّ إنّي دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً . وإنّي كلما دعوتُهُم لِتغفِرَ لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً >> [نوح : ٥– ٧] ، وقد مكث في دعوة قومه تسعمائة وخمسين عاماً صابراً ، متوكلاً على الله ، محتسباً أجره عند ربه ، حتى قضى الله على الكافرين منهم بالغرق في الطوفان ، ونجاة نوح ومن آمن معه ، قال تعالى : << ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين >> [العنكبوت : ١٤–١٥] ، وقد ورد الأمر

---

[1] الترمذي : سنن الترمذي ، جـ٤ ، ص ٥٢٠ ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب (٥٦) ، ح ٢٣٩٨ وقال عنه : هذا حديث حسنٌ صحيح / وانظر : الإمام أحمد : مسند أحمد ، جـ١ ، ص ١٧٤ / البخاري : صحيح البخاري ، جـ٥ ، ص ٢١٣٩ ، كتاب المرضى (٧٨) ، باب أشد النّاس بلاءً الأنبياء ، ثم الأوّل فالأوّل .

[2] الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤٠٧ .

[3] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣ ، ص ٤٠٦ .

بالصبر اقتداء بنوح – عليه السلام – في سورة هود في الآية التي تلت آيات قصة نوح ، في قوله تعالى : << ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين >> [هود : ٤٩] والخطاب في الآية موجّه إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – يأمره الله فيه بالصبر على مشاقّ الرسالة وإيذاء القوم ، كما صبر نوح – عليه السلام – على أذى قومه ، فالعاقبة في الدنيا بالظفر والنجاة ، وفي الآخرة بالفوز للمتقين [١] ، وفي هذا التوجيه بالاقتداء بالصبر تقرير يفيد مدى قيمة الصبر في الدعوة إلى الله ، وعظم آثاره في تحقيق الاستمرارية والثبات في حياة الداعية ، فقد برزت فاعليته من خلال ممارسات نوح – عليه السلام – التي أبانت أحداث قصته جانباً كبيراً في مدى أثر الصبر في مسيرته الدعوية ، حيث بذل كل ما في وسعه من جهد ووقت في سبيل دعوته ، فقد دعاهم ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهراً ، وترغيباً وترهيباً ... إلخ ، فلم ييأس من إيمانهم ، فكان الصبر في سبيل الله معينه الذي لا ينضب في صموده وثباته على الحق ، إلى أن أذن الله له بالدعاء على قومه الكافرين بالهلاك .

وهناك مواقف أخر في قصة نوح – عليه السلام – تُبرز فاعلية الأعمال القلبية ، مثل عظيم يقينه بأمر الله ، الذي قاده لحسن الطاعة والامتثال لله ، يوم أن نهاه عن طلب النجاة لابنه فاستجاب منيباً إلى ربه ، طالباً رحمته و مغفرته من أن يسأل الله مثل ذلك قال تعالى : << قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني أكنْ من الخاسرين >> [هود : ٤٧] ، فاستجاب الله دعاءه وسلّمه وباركه [٢] ، قال تعالى : << قيل يا نوحُ اهبط بسلامٍ منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ ممّن معك وأممٌ سنُمتّعُهُم ثمّ يَمَسُّهُم منّا عذاب أليم >>

---

[١] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٤٩ .

[٢] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٢ ، ص ٥٠٢ – ٥٠٤ .

[هود : ٤٨] ، وقد أثنى الله عز وجل على نوح – عليه السلام – ووصفه بالعبودية وهي أشرف مقامات الطاعة لله ، ووصفه بالإحسان وهي أشرف مقامات العبودية لله [1] ، قال تعالى : << سلامٌ على نوحٍ في العالَمين . إنّا كذلك نجزي المحسنين . إنّه من عبادنا المؤمنين >> [الصافات ٧٩ – ٨١] ، فكانت قصته مورداً عذباً في استقاء العبر والعظات ، والاقتداء بجميل الخصال في الدعوة ، وهكذا سائر قصص أنبياء الله ، فالباحث فيها يجد أبلغ الدلالة على عظم فاعلية الأعمال القلبية في توجيه ممارسات الداعية نحو الإحسان في الطاعة ، والتي بلغت بأنبياء الله مصاف كمال القدوة .

خامساً: بروز المكانة التعبدية للذّكر من خلال ممارسات الأنبياء :

لقد كان للدعاء مكانة بارزة في حياة أنبياء الله ، حيث تم رصد جملة كبيرة من الأذكار والأدعية الواردة عند أولي العزم من الرسل في هذه الرسالة [2] ، والتي يتبيّن من خلالها عظم المكانة التعبدية للذكر ، خاصة قصة إبراهيم – عليه السلام – والتي نال فيها الذكر حيزاً يعدّ كبيراً بالنسبة لغيره من قصص الأنبياء ، فقد شمل بدعائه نفسه وذريته والمؤمنين والبيت الحرام ... إلخ ، كما أنّ الاستغفار قد برز عند أنبياء الله على غيره من أنواع الذكر ، وهو يعدّ من أبلغ دلالات إظهار العبودية لله تعالى ، لما يحمله من افتقار العبد إلى ربه وتذلله إليه ، وتعظيمه لأمره ونهيه ، وفي هذا خير معين على الاستقامة وسلوك طريق

---

[1] راجع : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١١ ، جـ ٢٣ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

[2] يمكن مراجعتها بمطالعة ص ٩٧ – ١١٦ من الرسالة .

الطاعة وحسن الامتثال للخالق ، وهذه بعض آثار الاستغفار التربوية ، وهو نوع من أنواع الذكر ، فناهيك إذن عن بقية أنواع الذكر ، والحصيلة التربوية التي يمكن أن يجنيها من يحرص على اجتماع أكبر قدر منها في حياته .

ولقد أبرزت القصص القرآني جانباً كبيراً من قيمة الذكر والدعاء في حياة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، فمنهم من دعا بالذرية مثل إبراهيم – عليه السلام – فوهبه الله إياها وقرّ عينه بصلاحها ، ومنهم من دعا بالتيسير والسند في الدعوة مثل موسى – عليه السلام – فأجابه الله وشدّ أزره بأخيه هارون ، وغيرها من ضروب الدعاء التي وردت في قصص الأنبياء ، والتي حملت دلالات واقعية في مدى حاجة المرء للدعاء في كل أحيانه ، بالإضافة إلى بيان قرب الله من العبد إذا دعاه صادقاً ، فها هو نبي الله موسى – عليه السلام – عندما أوى إلى الظل وحده ، وتوجه إلى ربه يسأله المزيد من الخير ، إذ قال تعالى عنه : << ثم تولّى إلى الظلّ فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليَّ من خير فقير >> [القصص : ٢٤] فوهبه الله الأمن والاستقرار والأهل فزاده من خيره وفضله [1]، وهكذا يدعو النبي فيجيبه الله ، فيزداد طمأنينة وسكينة و صموداً وثباتاً ، وقرباً من خالقه وباريه وغيرها من الأمور التي قد يكون الدعاء سبباً في حصولها ، فالدعاء من أقوى أسباب زيادة القرب من الله ، كما قال تعالى :<< وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشُدون >> [البقرة : ١٨٦] ، ففي الآية دلالة على شدّة قرب العبد من ربّه في مقام الدعاء [2] ، والذكر بشكل عام يقوّي من حضور القلب ، بمعنى دوام استشعار الرقابة الإيمانية ، بدوام خشية الخالق وتذكّره في السرّ والعلَن ، مما يضبط

---

[1] راجع : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ١٠ ، جـ ٢٠ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

[2] انظر : ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٢، جـ٢ ، ص ١٧٩ .

الممارسات في دائرة السلامة ، لأنه متصل بالإنسان في كل أحيانه وأحواله ، فما جادت به السنّة النبوية من أذكار اليوم والليلة فيه أبلغ الشواهد على مدى صلة الذكر بحياة المرء ، وتغلغله في مختلف شؤون حياته ، بحيث يُنشيء روابط كثيرة بين المرء وما حوله من أشياء ، فهناك أذكار للصباح وأخرى للمساء ، وأذكار للخروج ، وأخرى للدخول ، ومنها للنوم ، وللمطعم وللمشرب ... إلخ ، مما يحقّق للمسلم المراد الحقيقي للذكر وهو حضور القلب ، بالإضافة إلى دوام حضور القلب ، لأن هذه الروابط بين الذكر ومختلف شؤون حياة المرء ، تكون سبباً في التذكير الدائم بالله ، وإزالة الغفلة عن القلب ، وهذا ديدن الأنبياء في توجيه ذواتهم نحو الاستقامة ، فهم من أكثر العباد ذكراً لله ، مما أدى إلى إثراء قصصهم بأنواع الذكر المختلفة ، والتي قد تم ذكر مجموعة كبيرة منها في هذه الرسالة ، لتبرز من خلالها المكانة التعبدية للذكر ومدى قيمتها الكمية والنوعية في ممارسات الأنبياء ، فتكون محلاً للائتساء والقدوة .

سادساً : فاعلية الممارسات في القصص القرآني في تصحيح معايير القيم في ضوء العقيدة الإسلامية :

إنّ فاعلية القصص القرآني في تصحيح معايير القيم في ضوء العقيدة الإسلامية ، تنبثق من مقتضى سلامة ممارسات الأنبياء ، للمهمة التي اصطفاهم الله لها وهي تبليغ دين الله على أكمل وجه وأتمّه ، لأنّ هذه الممارسات في حقيقتها تمثّل تطبيقاً عملياً للقيم الربانية في الواقع ، مما أدى إلى فاعلية القصص في الخروج بالقيم من حيّز النظرية إلى حيّز التطبيق من خلال ممارسات أنبياء الله ،

التي اتسمت كما بيّنا سابقاً بالسلامة سواء في جانب التصورات أو في جانب الممارسات ، وبالتالي فإنّ قصص الأنبياء مجتمعة تثري رصيد القيم الإسلامية بالشواهد الواقعية الفاعلة ، التي تعطي بعداً معيارياً تربوياً لهذه القيم ، يمكّن المسلم من الإحاطة الاعتقادية والسلوكية للقيم وفق معيار العقيدة الإسلامية ، ومن ثم ، يضبط تصوراته وممارساته وفق ميزان الله في كل شؤون حياته ، اقتداءً بالمعيارية القيمية الواردة في القصص القرآني وانعكاساتها في ضبط الممارسات ، وتوجيهها في دائرة المنهج ، ومن أبرز هذه القيم المعيارية :

١- العقيدة الإسلامية هي قوام التفاضل بين الناس :

يظهر هذا المعيار جلياً في قصة نوح – عليه السلام – وما شاع في قومه من مغالطات في معايير التفاضل بين النّاس ، قال تعالى : << فقال الملأ من قومه ما نراك إلاّ بشراً مثلنا وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضلٍ بل نظنُّكم كاذبين >> [هود : ٢٧] والمقصود بالملأ هم : « السادة والكبراء » [١] ، أما الأراذل فالمقصود بهم : « الفقراء والضعفاء » [٢] ، فقد اختلّت المعايير عند الكفّار من قوم نوح – عليه السلام – ، فهم يعدّون المال والجاه والسلطان وغيرها من الأسباب المادية معياراً في التفاضل والسؤدد بين الناس ، ولا غرو في ذلك ، فهذه الأسباب التي قلبوا بها موازين الحق ، واختلّت في ضوئها المعايير الحقيقية للقيم ، ملائمة لحال الأمم الضالة ، البعيدة عن عقيدة التوحيد الخالصة [٣] ، والتي جاء نوح – عليه السلام – ليردهم

---

[١] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص٣٨١ .

[٢] القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٩ ، ص ٢٣ .

[٣] راجع : ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ١٢ ، ص ٤٦ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤ ، ص٣٦٠٨ .

فيها إلى جادة الصواب ويحيي العقيدة الصحيحة في قلوبهم من جديد ، والتي تنضبط في ضوئها قيمهم ومُثُلهم لتتوافق معاييرها وموازينها مع ميزان الله ، فيتحقق العدل وينتفي الظلم والجور ، فاعتراض الكافرين على نوح – عليه السلام – وأتباعه دليلٌ على جهلهم وقلّة علمهم فإنه ليس بعارٍ على الحق رذالة من اتبعه ، « فإنّ الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل بل الحق الذي لا شك فيه أنّ أتْباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء .... وقولهم بادي الرأي – أي الاندفاع في قبول دعوة نوح دون تفكير أو تروي – ليس بمذمة ولا عيب لأنّ الحق إذا وضح لا يبقى للرأي ولا الفكر مجال بل لا بد من اتباع الحق »[1] ، فردّ عليهم نبي الله نوح – عليه السلام – << قال يا قومِ أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وآتاني رحمة من عنده فعمِّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إنْ أجريَ إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون . ويا قومِ من ينْصُرُني من الله إن طردتُّهم أفلا تذكَّرون . ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتِيَهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إنّي إذاً لمن الظالمين >> [هود : ٢٨ -٣١] فبدأ نوح – عليه السلام – بيانه في الرد على قومه بتقرير أنّ ما يدعوهم إليه إنما هو الحق المبين وهو رحمة من رب العالمين أن هداه إلى الحق ليهدي به قومه ، ولكنّه يبيّن لهم أنهّ ليس من دعوته أن يكرههم على قبول ما جاء به أو تصديقه ما داموا في عمى وصدود عن تدبّره ، وفقاً لمعاييرهم الزائفة في قياس تفاضل النّاس ، ومعايرة الرُسُل والرسالات في ضوئها ، والتي أنكروا بسببها نبوته – عليه السلام – لأنهم لا يرون له فضل ، أي زيادة في الشرف

[1] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٨٢ (بتصرف يسير وُضع موضع الجملة المعترضة في النص) .

والكمال ، لانتفاء أسباب السيادة في نظرهم عنه ، وعن أتباعه ، وهذا جهل منهم بحقيقة الموازين التي ينبغي أن يتفاضل في ضوئها النّاس ، والتي ينبغي أن تُقدَّر فيها الرسالة السماوية والنبوّة ، فأكد نوح – عليه السلام – على تجرده من الأسباب المادية التي تحكم موازينهم مثل : المال ، أو ما يتوهّمونه من لوازم النبوة مثل : تملّك خزائن الله ، أو معرفة علم الغيب ، أو كونه من غير جنس البشر ، كأن يكون ملَكاً ، فهو إنما يطلب الأجر والثواب من الله على دعوته قومه إلى الحق ، وأنّ من اتّبعه من قومه ، فأمرُهم إلى الله ، ودفاعه عنهم وتفضيله لهم على بقية القوم إنما لإيمانهم بالحق وتوحيدهم لله ، فهذا مما يوجب تفضيلهم ، فكيف يطردهم لفضيلة سبقوا بها غيرهم ، وهي ليست محلّ ازدراء أو انتقاص ، أو انتفاء الخير عنهم من الله ، فأمرهم موكول إلى ربهم الذي يعلم ما أودعه في نفوسهم من الخير والذي وفقهم إلى الإيمان ، فهو يعاملهم بما يعلم منهم ، وتعليق نوح – عليه السلام – بالنفوس في قوله « الله أعلم بما في أنفسهم » تنبيه لقومه على مغالطاتهم في معايرتهم لتفاضل النّاس وفق موازين الأسباب المادية من مال وسلطان وجاه ، متجاهلين ومنصرفين عن المعايير العقدية القائمة على الإيمان والتوحيد وما تحمله من فضائل ومثل وقيم صحيحة ، ينبغي الأخذ بها والابتعاد عن غيرها من القيم الزائفة الظالمة ، ومن ثم ، تقرّر من خلال ذلك أنّ المعيار الصحيح في تفاضل النّاس إنما هو العقيدة الإسلامية القائمة على الإيمان بالله وتوحيده ، وميزان تكريمهم عند الله قائم على التقوى كما قال تعالى : « ... إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ... » [الحجرات : ١٣] .[1]

---

[1] راجع : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٦ ، جـ ١٢ ، ص ٤٦ – ٥٩ /القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ ١٣ ، ص ١٢٠ / محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٦٠٧–٢٦٠٨، جـ ٤ ، ص ١٨٧٥ .

٢- العقيدة الإسلامية هي المعيار الأمثل للروابط الاجتماعية بين الناس :

إنّ من أبرز الروابط السائدة بين الناس هي رابطة النسب أو القرابة ، من بنوة وأخوة وما يتبعها من أواصر القربى ، ثم يتبعها الروابط الأخرى القائمة على العرق والجنس واللون وغيرها من الروابط المادية ، وعلى رغم عظم قدرها بين الأفراد وإلف النّاس لها ، إلاّ أنّها في دين الله ليست محلاً للربط بين النّاس إذا ما خرجت عن منهج الله ، أو معياراً للولاء والبراء بينهم ، وإنما المعيار والاعتبار لحقيقة الروابط بين النّاس هو العقيدة الإسلامية ومدى الالتزام والتمسك بها ، فهي الآصرة التي ينبغي أن يجتمع الناس عليها أو يتفرقون ، وهي الفيصل في الولاء والبراء .

وقد كان التأكيد على هذا المعيار في تحديد أصرة القرابة وما يتعلّق بها من ولاء وبراء ظاهراً جلياً في قصص القرآن ، فقد ورد عن نبي الله إبراهيم – عليه السلام – أنه كان يُكثر من الاستغفار لأبيه رجاء أن يهتدي إلى الحق وقد مكث على ذلك مدة طويلة [1]، كما جاء في سورة مريم : << سأستغفر لك ربي إنّه كان بي حفياً >> [مريم: ٤٧] ، فكان أبو إبراهيم قد وعد إبراهيم الخليل – عليه السلام – أن يؤمن بالله ويوحده ، فلما مات الأب على الكفر علم أنه عدو لله فتبرأ منه وترك الدعاء له [2] قال تعالى : << وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلمّا تبيّن له أنه عدو لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاه حليم >> [التوبة : ١١٤] ، فكان هذا الموقف من إبراهيم – عليه

---

[1] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٠٩ .

[2] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، جـ٨ ، ص ٢٧٤ .

السلام - بليغاً في تقرير أنّ الرابطة بين الناس إنما تقوم على الإيمان ، وأنها هي الفيصل في الولاء والبراء ، فالكفر الذي مات عليه أبو إبراهيم الخليل كان كفيلاً بإعلان براءة الإبن من الأب ، فرغم ما عُرف عن إبراهيم - عليه السلام - من لين ورحمة إلاّ أنه تبرأ من أبيه الكافر ، لأنه لا رابطة حينئذ تربط بينهما ، فالأبوة والبنوة لا اعتبار لها ولا ميزان ما دامت خارج منهج الله ، وبمنأى عن عقيدته ، فقد كان يستغفر له ما دام حياً رجاء هدايته ، ولكنه لما مات على الكفر وانقطع هذا الرجاء ، ترك إبراهيم الدعاء لأبيه بل وتبرأ منه ، لأنه لا ولاء إلاّ للمؤمنين ، لذا كان التشديد على تحديد الروابط في ضوء العقيدة ، لتخلص النفوس من أي وشيجة أو صلة غير الإسلام ، فلا بد من الفيصل الحق والمبين بين الإيمان والكفر ، حتى لو كان على حساب القرابة ، فتحقيق الولاء الخالص لله مطلب رئيس في العقيدة الإسلامية ، وركن من أركان قواعدها الاعتقادية .

ومن أبرز مظاهر الولاء والبراء عدم الاكتراث للقرابة ما دامت خارج دائرة الإيمان والعقيدة ، والذي ورد في شأنه كذلك نهيُ اللهِ المسلمين أن يستغفروا للمشركين بعد أن ماتوا على الكفر ، وبيان أنّ القرابة لا تأثير لها في تعطيل هذا النهي [1]، لأنّ الأمر محسوم وقاطع في كون الوشائج والروابط إنما تقوم على العقيدة وحدها ، قال تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمُشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعد ما تبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم » [التوبة : ١١٣] ، لأنه في ابتداء الإسلام كان المسلمون

---

[1] انظر : محمد سليمان الأشقر : زبدة التفسير ، ص ٢٦١ .

يستغفرون لقراباتهم وأهليهم من المشركين وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في استغفاره لأبيه حتى أنزل الله تعالى : << قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلاّ قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء >> [الممتحنة : ٤] ثم بعد ذلك بيّن تعالى أنّ إبراهيم قد أقلع عن ذلك ورجع عنه [١] كما سبقت الإشارة إليه .

٣- النصر من عند الله :

ويقصد به ربانية معايير النصر في القتال في سبيل الله ، الذي يُعدّ من أعظم أنواع الجهاد [٢] ، لما له من الفضل والأجر عند الله ، قال تعالى : << فليقاتل في سبيل الله الذي يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً >> [النساء : ٧٤] ، ففي القتال في سبيل الله ينال المرء إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة وكلاهما فيه الأجر العظيم عند الله ، وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : « سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أي العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على

---

[١] انظر : ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٠٩ .

[٢] الجهاد في سبيل الله في المصطلح الشرعي عند كثير من العلماء يطلق على بذل الجهد في قتال الكفار (انظر : ابن حجر : فتح الباري ، جـ٦ ، ص ٣) ، ولكنه في حقيقته يشمل القتال في سبيل الله وغيرها من الطاعات التي فيها يتحقق معنى الجهاد . (انظر : عبد الله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ١ ، ص ٤٨- ٥٠) .

ميقاتها » ، قلتُ : ثم أي ؟ قال : « برّ الوالدين » قلتُ ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » » [١] ، فقد جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الجهاد في هذا الحديث في مرتبة ثالثة بعد حق الله ، وحق الوالدين[٢]، وكما قال ابن حَجَر [٣] : « فالذي يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبرّ لكونها لازمة للمكلّف في كل أحيانه ، وتقديم البرّ على الجهاد لتوقفه على إذن الأبوين » [٤] .

ويتطلّع المؤمنون في قتالهم في سبيل الله إلى النصر دائماً ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، ولكنّ هذا الأمر أي نشود النصر ، لا بد له من ضوابط ومعايير تحدّد معالمه ، وترشد إلى سبيل تحقيقه ، فليس النصر في العدد والعتاد كما هو في معيار البشر ، فيقع في دائرة تحكمهم وإرادتهم ، وإنما هو من عند الله ، قال تعالى : << وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم >> [آل عمران : ١٢٦] ، فها هم المسلمون في غزوة بدر(٢ هـ) لم يكونوا يملكون العدد ولا العتاد المكافيء للمشركين ، بل إنّ خروجهم إلى بدر لم يكن بُغية القتال وإنما خرجوا لأخذ القافلة ولم يعلموا أنهم سيواجهون جيش قريش ، فقد كان عددهم ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً فقط ، وأما جيش قريش فقد بلغ ألفاً [٥]، ولكنّ النصر كان حليفهم قال تعالى : << ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون >> [آل عمران : ١٢٣] والمقصود بأذلة أي : « قليل

---

[١] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص ١٠٢٥ . كتاب الجهاد والسير (٦٠) ، باب (١) ، ح ٢٦٣٠ .

[٢] راجع : عبد الله القادري : الجهاد في سبيل الله ، جـ١ ، ص ١٢٧ .

[٣] هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني القاهري ، الشافعي ، المعروف بابن حَجَر ، وهو لقب لبعض آبائه ، الحافظ الكبير الشهير ، الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة ، ولد سنة (٧٧٣هـ) ، له مؤلفات كثيرة ، أجلّها فتح الباري ، درس بمواطن متعددة ، واشتهر ذكره ، وبَعُدَ صيته ، وارتحل إليه العلماء ، مات سنة (٨٥٢هـ) . انظر ترجمته : الشوكاني : البدر الطالع ، جـ١، ص ٨٧– ٩٢ ، ترجمة (٥١) / الزركلي : الأعلام ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

[٤] ابن حجر : فتح الباري ، جـ٦ ، ص ٤ .

[٥] انظر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٧ .

عددكم لتعلموا أنّ النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العَدد والعُدد » [1]، فقد جاءهم العون من الله فربط على قلوبهم وأنزل السكينة عليهم وأمدّهم بالملائكة يقاتلون معهم [2] قال تعالى : « إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألفٍ من الملائكة مُردِفين . وما جعله الله إلاّ بُشرى ولتطمئنّ به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم . إذ يغشّيكم النعاس أَمَنَةً منه ....» [الأنفال : ٩-١١] ، فقد صدقوا الله فصدقهم الله ومكّنهم من النصر ، ورغم شدّة البلاء الذي لقيه المسلمون في بدر وصدقهم في مواجهته ، إلا أنّ الله عز وجل بيّن لنبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين معه بأنه تعالى هو الذي أظفرهم النصر ، قال تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... » [الأنفال : ١٧] ، ليقرّ في نفوسهم أنّ النصر إنما هو من عند الله وحده ، وأنه ليس بحولهم وقوتهم قتلوا أعداءهم من المشركين مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين ، كما قال تعالى : « ... كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » [البقرة : ٢٤٩] [3] ، وما هذه التربية الربانية ، إلاّ لتسمو بالمؤمنين ، إلى المعيارية الصحيحة حتى في حالات الظفر ، ونشوة الانتصار ، بل ربما هم هنا أحوج إلى هذا التوجيه ، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها [4] ، ولتكون لهم عوناً في الاستمرارية السليمة في الجهاد في سبيل الله ، وربما كانت هذه اللفتة الربانية التربوية من روافد المعين

[1] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٤٤ /وانظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ١، ص ٣٧٨ .

[2] انظرما ذُكر عن غزوة بدر ومزيد تفاصيلها : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٣٦٠ – ٣٦٥ .

[3] انظر : ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، جـ٢، ص ٢٥٦ / راجع : أكرم العمري : قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ، جـ١ ، ص ٢٤ – ٢٥ (مقدمة عمر عبيد حسنة)/ أحمد مختار البزرة : في إعجاز القرآن ، ص ١٠١ – ١٠٦ .

[4] راجع : أكرم العمري : قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ، جـ١ ، ص ٢٤ – ٢٥ (مقدمة عمر عبيد حسنة) .

للفئة التي ثبتت في غزوة حنين (٨ هـ) ، بعد هذه الغزوة بسنوات طويلة ، يوم أن زادت أعداد المسلمين ، فقد بلغ عدد المجاهدين في فتح مكة عشرة آلاف ، وزاد عليها ألفان من مسلمة الفتح كما ورد في السيرة ، لتمثل في مجموعها بعد ذلك جيش المسلمين في حنين ، والذي يعدّ حينئذٍ كبيراً إذا قورن بسائر الغزوات السابقة ، مما حدا ببعض فئات المسلمين أن تغترّ بهذه الكثرة ، حتى ردّ أحدهم ما يحوزونه من نصر إلى أنهم « لن يُغلبوا من قلة » ، حتى استحقوا معاتبة القرآن الكريم لهم وتذكيرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده [1]، قال تعالى : << لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين >> [التوبة ٢٥ - ٢٦] ففي هذه الآيات « يذكّر الله تعالى المسلمين بفضله عليهم وإحسانه في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وأنّ ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره لا بعَددهم ولا بعُددهم ونبههم على أنّ النصر من عنده سواء قلّ الجمع أو كثر ، ففي يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلاّ القليل منهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى من كان معه من المؤمنين » [2] ، فكانت الجولة الثانية التي صمدت فيها القلّة في شجاعة وصدق وعزيمة وإيمان وحسن توكل على الله ، فاشتد القتال من جديد ، فلم يصمد المشركون طويلاً ، ففروا من الميدان ، وتعقبّهم المسلمون لقتلهم ؛ بُغية إضعاف شوكتهم ، فكان النصر في النهاية للمسلمين [3]، والذي أثبت أنّ معايير

---

[1] انظر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .

[2] ابن كثير : تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص ٢٩٧ (بتصرف) .

[3] انظر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص ٤٩٦ - ٥٠٦ .

النصر ليست في القلة أو الكثرة ، وإنما هي من عند الله ، ووفق موازين الله ، في نصرة من ينصره ، قال تعالى : << يا أيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصرْكم ويثبّت أقدامكم >> [محمد : ٧] ، فالنصر في ميزان الله ، له معاييره الإيمانية التي يتوقف عليها تحقّق النصر ، من إيمان صادق بالله وطاعة لله ولرسوله ، وتجرد وإخلاص كامل لدينه ، وتوكل تام عليه ، وصبر ومصابرة ، وأمثالها من المعايير الإيمانية التي يقتضيها الجهاد في سبيل الله [1]، وأما إعداد العدة فعلى الرغم من أهميته في القتال إلاّ أنه لا يمثل المعيار الحقيقي للنصر في ميزان الله كما بيّنا ، ولكنّه من تمام التوكل على الله في الأخذ بالأسباب ، دون الركون إلى هذه العدّة في نشود النصر ، فهي من أسباب إرهاب العدو وإدخال الفزع إلى قلبه ، كما قال تعالى : << وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم ... >> [الأنفال : ٦٠] ، وليست هي المعيار الحقيقي في النصر ، قال تعالى : << إنْ ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون >> [آل عمران : ١٦٠] ، وقد وضُح واستبان لنا ذلك من خلال الشواهد المذكورة آنفاً من غزوة بدر وحنين ، بل إنّ الباحث يستطيع أن يتلمّس معايير النصر مجتمعة عبر دراسة الغزوات التي ورد ذكرها في القرآن خاصة غزوة أحد ، ليخلص بنتيجة أنّ النصر من عند الله ، كما قال تعالى : << وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم >> [آل عمران : ١٢٦] ، فهو القيمة المعيارية لتحقيق النصر في القتال في سبيل الله ، بل وفي الجهاد في سبيل الله عامة .

---

[1] انظر : عبدالله القادري ، الجهاد في سبيل الله ، جـ ٢ ، ص ٩٧ - ١٤٩ (فقد ذكر عوامل النصر والهزيمة مفصلة) .

٤- التوافق مع العقيدة الإسلامية هو المعيار في ضبط الموروثات العقدية :

إنّ الأصل في الاتّباع أو التقليد هو الموافقة للعقيدة الإسلامية ، ويتأكّد هذا الأمر خاصة في جانب الموروثات العقدية ، وهذا ما قرّره دين الله في جميع الأمم ، وأنزله في خاتم الكتب السماوية وهو القرآن الكريم ، قال تعالى في معرض ذمّ توارث عقيدة الكفر بما أتى به رسل الله من الدين الحقّ : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مُترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مُقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين » [الزخرف : ٢٣- ٢٥] ، لقد بيّنت هذه الآيات الحجّة المكرورة على لسان الكافرين في الإعراض عن الحق وتكذيبه والإصرار على الكفر ، وهي اتّباع وتقليد ومحاكاة ما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم من عقائد وعبادات باطلة ، فهي داخلة في معنى ما وجدوا آباءهم عليه من أمّة وهي الطريقة والدّين ، فأقاموا هذه الموروثات مقام التقديس والتعظيم ، فكانت سبباً رئيساً في صدّهم عن دين الله ، وصرف عقولهم عن التدبر وتمييز الحق من الباطل ، فأصروا على ما هم فيه من ضلال على الرغم من الإعذار والبيان ، فكانت عاقبتهم وخيمة بأن انتقم الله منهم فأهلكهم بعذاب من عنده ، وهو ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود [1] ، ومن ثم ، ضلّت هذه الأمم البائدة طريق الهداية بسبب تلك الموروثات العقدية ، التي قادتهم إلى التقليد الأعمى ، والاتّباع البهيمي ، لمجرّد أنها كانت عبادة آبائهم وأسلافهم الأولين ، كما قال الكفّار من قوم إبراهيم – عليه السلام – « إذ قال لأبيه وقومه

---

[1] انظر : الشوكاني : فتح القدير ، جـ٤، ص ٥٥١ – ٥٥٣ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٥، ص ٣١٨٢.

ما هذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين .قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مُبين >> [الأنبياء : ٥٢ – ٥٤] أي إنهم لم يعكفوا على عبادتها إلاّ بسبب تقليدهم لآبائهم في ذلك ، فقد وجدوا آباءهم يعبدونها فعبدوها اقتداءً بهم ومشياً على طريقتهم [١] ، فردّ عليهم إبراهيم – عليه السلام – « مُشركاً آباءهم لهم في التخطئة بعطف الآباء عليهم في ذلك ليعلموا أنّهم لا عذر لهم في اتّباع آبائهم ولا عذر لآبائهم في سن ذلك لهم لمنافاة حقيقة تلك الأصنام لحقيقة الألوهية واستحقاق العبادة » [٢] ، ليصحّح معاييرهم في تقليد آبائهم ، فوسْمهم بالضلال يثير حفيظتهم ، ويبعث كوامن أحلامهم لتدبّر الحق من الباطل بمنأى عن دائرة التقليد والتبعية العمياء ، ليتساءلوا عن مدى حقيّة مقولة إبراهيم عن موروثاتهم العقدية ، أم إنه يقولها مازحاً << قالوا أجئتنا بالحقّ أم أنت من اللاعبين >> [الأنبياء : ٥٥] ، فردّ عليهم مُضرباً عمّا بنوا عليه مقالتهم من التقليد ؛ لإبطال أن يكون من اللاعبين ، وإثبات أنّ ربهم هو الرب الذي خلق السموات << قال بل ربكُم ربُّ السموات والأرضِ الذي فطَرَهُنَّ وأنا على ذلِكُم من الشاهدِين >> [الأنبياء : ٥٦] أي الله هو ربهم وليست تلك التماثيل أرباباً إذ لا نزاع في أنها لم تخلق السموات والأرض ، بل هي من صنع أيديهم ، فهم من نحتها واتخذها إلهاً من دون الله كما قال في الآية الأخرى << أفتعبدون ما تنحتون >> [الصافات : ٩٥] ، ومن ثم ، فهي مربوبة مخلوقة وليست أرباباً ولا خالقة ، وبذلك أبطل إبراهيم الخليل – عليه السلام – حجتهم الواهِنة وأدحضها ، ولكنّ تقليدهم وتبعيتهم حالت دون

---

[١] انظر : الطبري : تفسير الطبري ، جـ١١ ، ص٢٩٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣، ٤١١ – ٤١٢ .

[٢] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ٩٥ (بتصرف) .

اتّعاظهم أو تأثّرهم بحجته – عليه السلام – فقد تحجّرت عقولهم على ما توارثوه من أسلافهم وألفوه ، فكادوا له نُصرةً لآلهتهم المزعومة أي لموروثاتهم العقدية قال تعالى : « قالوا حرِّقوهُ وانصُروا آلِهَتَكُم إنْ كنتم فاعلين . قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسَرين » [الأنبياء: ٦٨ – ٧٠] فنجّاه الله من كيدهم ، فكانوا هم الخاسرين ، لسوء عاقبتهم عند الله أنّ كفروا وكذبوا بالدين الحق [1]، فجرّهم اتّباعهم وتقليدهم الأعمى لتلك الموروثات العقدية الباطلة إلى الخسران المبين ، وسوء العاقبة ، وإنّ في هذا دلالة بليغة على عظم الخطر الإيماني للموروثات العقدية ، إذا ما خرجت عن دائرة الإيمان والتوحيد ، ومن ثم ، أهمية ضبطها في ضوء معايير العقيدة الإسلامية .

---

[1] انظر : القرطبي : تفسير القرطبي ، ١١، ص ٢٩٦ / الشوكاني : فتح القدير ، جـ٣، ٤١٢ – ٤١٥ / ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، مج ٨ ، جـ١٧ ، ص ٩٥ – ٩٦ ، ١٠٥ – ١٠٧ / سيد قطب : في ظلال القرآن ، جـ٤، ص ٢٣٨٥ .

الخاتمة

وتشمل :

أ - النتائج .

ب - التوصيات .

الخاتمة

تتضمن مجموعة من النتائج والتوصيات ، بيانها في التالي :

أ- النتائج :

١- برزت فاعلية اعتماد القصص القرآني في منهج الدعوة إلى العقيدة ، وسيلةً دعوية بوضوح في المجال العقدي التربوي ، وذلكً من خلال الربط بين الاعتقاد والممارسة .

٢ - التأكيد على تجاوز النظرة التاريخية للقصة القرآنية ، وإعطائها المكانة اللائقة بها في ترجمة العقيدة الإسلامية واقعاً فاعلاً من خلال ممارسات الأنبياء ، والتي تُعدّ رافداً مهماً في تقديم الأنموذج الكامل للقدوة إلى يوم الدين .

٣- من خلال هذا البحث ، حاولت الباحثة الفصلَ في التعامل مع القصص القرآني ، بين كونها وسيلةً دعوية ، وبين كونها منظومةً دعوية ، لتتميّز مكانتها الدعوية على سائر وسائل الدعوة الإسلامية .

٤- إنّ إظهار الجوانب العقدية في قصص الأنبياء ، أسهم في إبطال الزيف والتحريف الذي لحق ببعض هذه القصص ، خاصة قصص أنبياء بني إسرائيل ، مثل موسى وعيسى - عليهما السلام - .

٥- أبرزت الدراسة أهمية الأعمال القلبية والذكر والدعاء في ضوء ممارسات الأنبياء ، لما لها من آثار تربوية كبيرة في ضبط الممارسات وتوجيهها في دائرة الاستقامـــــة .

٦ - أسهمت الدراسة في إثراء الجانب المعرفي العملي لشخصيات الأنبياء والرسل ، مما من شأنه أن يعزّز جانب الاقتداء بهم ، والتأسّي بأفعالهم ، وذلك من خلال دراسة ممارسات الأنبياء في ضوء الوجهة العقدية الدعوية .

٧- بيان اهتمام الإسلام بالمرأة ، حيث لم يُغفل ذكرها في القصص القرآني ، خاصة في مواطن الابتلاء والمحن ، وكان من أبرزهن أم موسى - عليه السلام - ، وامرأة فرعون ، ومريم الصديقة أم عيسى - عليهما السلام - .

٨- لا يُعتبَر اتّساع مساحة القصص القرآني بالنسبة للأنبياء ، معياراً لاتساع الجوانب العقدية فيه ، فقصة إبراهيم - عليه السلام - مثلاً كانت أقصر في المساحة من قصة موسى - عليه السلام - ، ولكنها تكاد تكون أجمع وأبلغ في عرض جوانب العقيدة ، بينما كانت في قصة موسى - عليه السلام - أبعادٌ بارزة أخرى بجانب العقيدة مثل البعد الاجتماعي والسياسي والدعوي ، فأعطت قصـــة موسى - عليه السلام - جانب التنوّع في الأبعاد حيزاً أكبر من قصة إبراهيم ، وهكذا فقصص القرآن متميّزة فيما بينها على حسب الأبعاد التي تتناولها ، ووجهة الدراسة التي تُبحث من خلالها ، مع التأكيد على أنّ هذه النتيجة لا تخرج عن دائرة اجتهاد الباحث ، ليظل في الأمر متسع للدراسة والبحث .

٩- توصّلت الدراسة إلى أهمية العقيدة في الدعوة إلى الله ، وأنّ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله كان قائماً على البدء بالعقيدة مع المدعويين ، ومن ثم ، كان

للعقيدة دائما موضع الصدارة والابتداء في الدعوة .

ب- التوصيات :

١- إنّ هذا البحث رغم محاولته الاقتصار على الوجهة العقدية الدعوية التربوية في الدراسة ، إلاّ أنّه لا يزال هناك متسعٌ لمزيد من الدراسة والبحث في هذه الوجهة ، لسعة موضوعات العقيدة وتشعبّها ، ومن ثم ، توصي الباحثة بدراسة القصص القرآني ضمن البعد التخصصي ، سواء في مجال العقيدة ، أو الدعوة ، أو التربية ، أو الاقتصاد وغيرها ، مما من شأنه أن يعيد للقصص القرآني فاعليتها في جميع مناحي الحياة .

٢- حاولت الباحثة في هذه الدراسة جرد موضوعات العقيدة الواردة في القصص القرآني حسب اجتهادها ، فلاحظت شمولها لجميع أركان الإيمان الستة ، مع تنوّع هذا الشمول في جانب الكم والنوع بالنسبة لموضوعات العقيدة ، وبروز غلبة المادة الواردة في الركن الأول وهو الإيمان بالله كماً ونوعاً على بقية الأركان ، ولا شك أنّ في هذا مزيد دلالة على عظم مكانة التوحيد ، ومنطلقٌ للتوصية في الإفادة من القصص القرآني في إبراز هذا الجانب من خلال ممارسات أنبياء الله ، سواء أولي العزم منهم أو بقية الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

٣-كان التركيز في البحث على إبراز المكانة العقدية التربوية للعبادات التي مناطها القلب ، والعبادات التي مناطها الجوارح مثل الذكر والدعاء ، من خلال ممارسات أنبياء الله ، بُغية الدلالة على أهميتها العقدية التربوية ، لذا توصي الباحثة بضرورة النظر في ضم مثل هذه الموضوعات في مواد تدريس العقيدة

الإسلامية ، مع الحرص على عرضها ضمن الإطار التربوي ، بمعنى الربط بين الاعتقاد والممارسات فيها ، سواء في ضوء القصص القرآني أو السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي بشكل عام ، فالموضوع غني بالشواهد الفاعلة في ضوء الدراسات الجادّة ، التي تهدف إلى ضبط ممارسات المسلمين في دائرة السلامة ، سواء في جانب الاعتقاد أو الممارسات ، في ظلّ حاجة واقعنا المعاصر إلى مثل هذا التوجه في دعوة الناس .

٤ - إنّ التعامل مع القصص القرآني يستلزم ضوابط ، تضمن للبحث فيها ، سلامة الوجهة وسلامة المنهج ؛ وذلك بسبب ما لهذه القصص من قدسية ، خاصة في جانب شخوص أنبياء الله وما حباهم الله به من عصمة ، جمعت لهم السلامة في جانب الاعتقاد والممارسة ، لذا توصي الباحثة بالتحرّز والانضباط في معالجة موضوعات القصص القرآني واستخلاص قيمها .

٥- توصي الباحثة بإعطاء العقيدة مكانتها اللائقة بها في الدعوة إلى الله ، فالصدارة والابتداء ينبغي أن يكون لها ، ومن ثم ، فمن أعظم الواجبات المقدّمة عند الدعاة إلى الله تصحيح العقيدة وتخليصها من الشوائب ، وهي مقدّمة كذلك على غيرها من الواجبات .

الفهـــــارس

فهـرس الآيـات القرآنيـة

الآيـــة — الصفحـــة

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث النبوي | الصفحة

فهـرس المصـادر والمراجع

١- الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) : مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال ، بيروت : دار صادر ، (د/ ط.ت) .

٢- أحمد : مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣- الأشقر : محمد سليمان عبدالله ، زبدة التفسير من فتح القدير ، الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط ٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٤ - الأشقر : عمر سليمان الأشقر :

- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، عمّان : دار النفائس ، ط ٢ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٥ - الرسل والرسالات ، عمّان : دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٦ - العقيدة في الله ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ط ٤/ ١٩٨٣م .

٧- الأصفهاني : الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) ، المفردات في غريب القرآن (تحقيق : محمد سيد كيلاني) ، بيروت : دار المعرفة ، (د/ ط.ت) .

٨- فضل إلهي ، من صفات الداعية اللين والرفق ، باكستان : إدارة ترجمان الإسلام ، ط٢ / ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م .

٩- **الأميري** : أحمد البـراء ، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم ، جدة : دار المنارة ، ط١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٠- **البارودي** : محمد سعيد ، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان ، جدة : دار الوفاء ، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١١- **البخاري** : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري (ضبطه ورقمه : د. مصطفى البُغا) ، دمشق : دار ابن كثير ، ط٣ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٢- **بدوي** : أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت: مكتبة لبنان .

١٣- **البزرة** : أحمد مختار ، في إعجاز القرآن (دراسة تحليلية لسورة الأنفال ، المحتوى والبناء) ، دمشق : دار المأمون للتراث ، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٤- **الترمذي** : أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ) ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (بتحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٥ - **ابن تيمية** : أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) :

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،(جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم) ، طبعة خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود بإشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .

١٦ - الإيمان ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٣/ ١٤٠١هـ .

١٧- التحفة العراقية في الأعمال القلبية ويليها أمراض القلوب وشفاؤها (تحقيق حمّاد سلامة / إشراف الدكتور محمد عويضة) ، الزرقاء : مكتبة المنار ، ط ١ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٨ - كتاب التوبة ، بيروت : دار ابن حزم ، ط ٣ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٩ -منهاج السنّة النبوية ، بيروت : دارالكتب العلمية .

٢٠- كتاب النبوّات ، بيروت : دار القلم ، (د/ ط.ت) .

٢١- جاد المولى : محمد ، قصص القرآن ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٢ - جرار : مأمون فريز ، خصائص القصة الإسلامية ، جدّة : دار المنارة ، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٣ - جريشة : علي ، مناهج الدعوة وأساليبها ، المنصورة : دار الوفاء ، ط ١ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٢٤- الجزائري : أبوبكر جابر ، عقيدة المؤمن ، جدة : دار الشروق ، ط ٤ / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢٥ - الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحَلّي (ت٨٦٤ هـ)، و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تفسير الجلالين ، بيروت : دار المعرفة ، (د/ ط . ت) .

٢٦ - ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) ، زاد المسير في علم التفسيرحققه وكتب هوامشه : محمد بن عبدالرحمن عبدالله ، وخرج أحاديثه أبو هاجر ... ، بيروت : دار الفكر ، ط ١ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٢٧ - أبو جيب : سعدي ، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، دمشق : دار الفكر ، ط ١ / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٨ - حافظ : عماد زهير : القصص القرآني (بين الآباء والأبناء) ، دمشق : دار القلم ، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢٩ - الحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين (مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه ، والمناوي في فيض القدير وغيرهم) ، (دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا) ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٣٠ - الحربي : علي ابن جابر ، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ط ١ / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣١ - الحقيل : رياض بن عبدالرحمن ، كيف نشكر النّعم ، الرياض : دار الوطن ، ط ١ / ١٤١١ هـ .

٣٢ - الحمد : محمد بن إبراهيم ، الدعاء (مفهومه - أحكامه - أخطاء تقع فيه) ، (د. م) : دار ابن خزيمة ، ط ١ / ١٤١٦هـ .

٣٣ - حمدان : محمد زياد ، المنهج أصوله وأنواعه ومكوّناته ، الرياض : دار الرياض ، ط١ / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٣٤- حمزة : عمر يوسف ، أسس الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٣٥- الحمصي : محمد حسن ، قرآن كريم تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي ، دمشق : دار الرشيد ، (د/ ط. ت) .

٣٦ - الحنبلي : أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥ هـ) ، جامع العلوم والحِكَم ، بيروت : دار الجيل ، (د.ط) / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٧- الحنفي : محمد بن علاء الدين إبن أبي العزّ (ت٧٩٢ هـ) ، شرح العقيدة الطحاوية (حققها وراجعها : جماعة من العلماء وخرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني) ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط١/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣٨- الخالدي : صلاح عبدالفتاح ،

- مع قصص السابقين في القرآن (دروس في الإيمان والدعوة والجهاد) /١ ، دمشق : دار القلم ، ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٣٩ - مع قصص السابقين في القرآن (دروس في الإيمان والدعوة والجهاد) /٢ ، دمشق : دار القلم ، ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٠ - بني خالد : حسين جابر موسى ، الحياة البرزخية في الإسلام (وهو في الأصل رسالة ماجستير في العقيدة قدّمت لجامعة الملك عبدالعزيز فرع مكة المكرمة عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م) ، الشارقة : دار الفتح ، ط ١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٤١ - ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن اسحاق (ت ٣١١هـ) ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرّب عز وجل (دراسة و تحقيق : عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان) ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ٥ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٤٢ - الخَطّابي : أبو سليمان أحمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ) ، شأن الدّعاء (تحقيق : أحمد يوسف الدّقاق) ، بيروت : دار المأمون للتراث ، ط ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٤٣ - الخطيب : عبدالكريم ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، بيروت : دار المعرفة ، (د/ ط.ت) .

٤٤ - أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) ، سنن أبي داود ، إعداد وتعليق : عزّت عبيد الدعاس وعادل السيد ، بيروت : دار الحديث ، ط١/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٤٥ - الدجاني : زاهية راغب ، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة ، بيروت : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، ط١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م .

٤٦ - دَروزة : محمد عزة ، سيرة الرسول - ص- « صور مقتبسة من القرآن الكريم » ، بيروت : المكتبة العصرية ، (د/ ط. ت) + عني بهذه الطبعة ونظم صورها (عبدالله بن إبراهيم الأنصاري) .

٤٧ - ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) جمهرة اللغة ، دار صادر، ط١ ، في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (جمادى الأولى / ١٣٤٥هـ) .

٤٨ - ابن أبي الدنيا : أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٨١ هـ) ، كتاب الشكر لله عز وجل (حقّقه وعلّق عليه : ياسين محمد السّواس ، راجعه وخرّج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط) ، دمشق : دار ابن كثير ، ط ٢ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٩ - الديلمي : عبد الوهاب بن لطف ، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) ، جدّة : دار المجتمع ، ط ١ / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٥٠ - الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ، سير أعلام النبلاء (أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط) ،

بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٧ / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

٥١ - الذهبي : محمد السيد حسين ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، دمشق : دار الإيمان ، ط ٢ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .

٥٢ - الرازي : أبو بكر (ت بعد ٦٦٠هـ) ، مختار الصحاح ، بيروت : دارالقلم .

٥٣ - الرازي : فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٤ هـ) ، التفسير الكبير أومفاتيح الغيب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ / ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٥٤- رحومة : أحمد محمد : منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد ، طرابلس : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط١/ ١٩٨٩م .

٥٥- رزق الله : مهدي ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥٦ - رضا : محمد رشيد ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، بيروت : دار المعرفة ، ط ٢ / (د.ت) .

٥٧- الرفاعي : منصور ، أهداف القصة في القرآن الكريم ، القاهرة : دار العرفان ، ط ١ / (د.ت) .

٥٨- الرماني : زيد بن محمد : الدلالات الاقتصادية من قصة يوسف عليه السلام ، مجلّة النور ، السنة ١٤، العدد ١٣٨، صفر ١٤١٧هـ - يوليو ١٩٩٦م ، ص ٣٢ - ٣٣ .

٥٩ - الرملي : محمد شومان ، الفرار إلى الله ، الخبر : دار ابن عفّان ، ط ١ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م .

٦٠ - **الزحيلي** : وهبة ،

-القصة القرآنية ، دمشق : دار الخير ، ط١ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٦١- التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز ، دمشق : دار الفكر ، ط ٢ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٦٢- **الزركلي** : خير الدّين ، الأعلام ، بيروت : دارالعلم للملايين ، ط ٦/ ١٩٨٤م .

٦٣- **الزمخشري** : محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ) ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٣ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٦٤- **زيدان** : عبدالكريم :

- أصول الدعوة ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .

٦٥- السنن الإلهية (في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٣ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٦٦- **السامرائي** : فاروق عبد المجيد ، المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية ، عمّان : دار الفرقان ، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٦٧- **السّعدي** : عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ) :

- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، الدمام :دار ابن القيم ، (د.ط) / ١٤١١هـ- ١٩٩١ م .

٦٨- القواعد الحسان لتفسير القرآن ، (د.م) : مطابع الصانع الفنية ، (د. ط) / ١٤٠٨هـ .

٦٩- **سعيد** : عبد الوارث مبروك ، العقيدة الإسلامية منهج ميسر ، الكويت : دار القلم ، ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٧٠- **سعيد** : محمد شاكر ، أنموذج الشاب المسلم في قصة يوسف عليه السلام ، الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، (د/ ط.ت) .

٧١- **السمالوطي** : محمد توفيق ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، جدّة : دار الشروق ، ط٢/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م .

٧٢ - **السيوطي** : جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ) ، القول الفصيح في تعيين الذبيح ومعه كتاب القول الصحيح في تعيين الذبيح بقلم : إبراهيم بن عبدالله الحازمي ، الرياض : مطبعة سفير ، ط ١ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .

٧٣- **شديد** : محمد ، منهج القصة في القرآن ، جدة : شركة مكتبات عكاظ ، ط١ / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .

٧٤- **الشيخ** : ناصر بن علي عايض حسن ، مباحث العقيدة في سورة الزُّمَر ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط ١ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٧٥ - **الشوكاني** : محمد بن علي الصنعاني (ت ١٢٥٠هـ) :

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، بيروت : دار المعرفة ، ط١/ ١٣٤٨هـ .

٧٦- تحفة الذاكرين ، القاهرة : مكتبة المتنبي ، (د/ ط.ت) .

٧٧ - فتح القدير ، بيروت : دار المعرفة ، (د/ ط.ت) .

٧٨ - **الصالح** : محمد أديب ، التقوى في هَدْي الكتاب والسنة وسيَر الصالحين ، دمشق : دار القلم ، ط ١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٧٩- ضميرية : عثمان جمعة ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، جدّة : مكتبة السوادي ، ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٨٠- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠) ، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن (هذّبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ١ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٨١- ابن عاشور : محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير (ت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) ، (د.م) : الدار التونسية للنشر ، (د.ط) .

٨٢ - عباس : فضل ، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، عمّان : دار الفرقان ، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٨٣ - عبدالسلام : محمد أحمد ، حكم القراءة للأموات (راجعها وحقق أحاديثها : محمود مهدي الاستانبولي) ، القاهرة : المكتبة السلفية ومطبعتها ، (د/ ط.ت) .

٨٤- عبد العال : محمد قطب ، نظرات في قصص القرآن ، مكة المكرّمة : إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ، سلسلة شهرية بعنوان : دعوة الحق ، السنة السابعة - العدد ٧٧ - شعبان ١٤٠٨هـ - مارس ١٩٨٨م .

٨٥- عبدالواحد : مصطفى ، الإيمان في القرآن ، مكة : شركة مكة للطباعة والنشر ، ط ٢ / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .

٨٦- عبد الوهاب : عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥ هـ) ، فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (بتحقيق الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريّان) ، الرياض : دار الصميعي ، ط١ / جمادى الأولى ١٤١٥هـ .

٨٧- العثيمين : محمد بن صالح ، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، الرياض : دار الوطن ، ط الأخيرة ١٤١٣هـ .

٨٨ - العجلوني : اسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ) ، كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٢ / (د. ت) .

٨٩ - العروسي : أبو عبدالرحمن جيلان بن خضر ، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط١/ ١٤١٧ - ١٩٩٦م .

٩٠- العِزّي : عبد المنعم صالح العلي ، تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٣ / ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٩١- العسقلاني : الحافظ أحمد بن علي ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) :

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بيروت : دار المعرفة ، (د/ط . ت) . (قرأ أصله تصحيحاً وتعليقاً عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه محبّ الدين الخطيب) .

٩٢- الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت : دار الجيل (د/ط.ت) .

٩٣- ابن عطية : تفسير ابن عطية (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (تحقيق وتعليق : الرحالي فاروق و عبدالله بن إبراهيم الأنصاري و....) ، الدوحة : موسسة دار العلوم ، ط ١ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

٩٤ - العقل : ناصر بن عبدالكريم ، التلازم بين العقيدة والشريعة ، الرياض : دار الوطن ، ط١/ جمادى الثانية ١٤١٢هـ .

٩٥- علي : هاشم محمد ، سلسلة المنهاج ، جـ ٤ ، (في الفرد والأسرة والمجتمع) ، الكويت : دار البيان ، ط ١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٩٦- عليان : مصطفى ، بناء الشخصية في القصة القرآنية ، عمّان : دار البشير ، ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٩٧- العمري : أكرم ضياء :

- الإسلام والوعي الحضاري ، جدّة : دار المنارة ، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٩٨- السيرة النبوية الصحيحة ، المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ط٥ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٩٩- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، الدوحة : جامعة قطر (مركز بحوث السيرة والسنة) ، (د. ط) / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٠٠- قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ، جـ ١ ، قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط ١ / رمضان ١٤١٤ هـ .

١٠١ - عيد : مفيد خالد ، العلاقة بين الفقه والدعوة ، بيروت : دار ابن حزم ، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٠٢- الفاعوري : داود على الفاضل ، العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم ، عمّان : دار الفكر ، (د/ ط) ، ١٩٨٩م .

١٠٣ - الفوزان : صالح بن فوزان بن عبدالله ،

-الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط١ / ١٤١٠هـ .

١٠٤- محاضرات في العقيدة والدعوة ، الرياض : دار العاصمة ، ط١/ ١٤١٥هـ .

١٠٥- من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، (د .م) : دار إمام الدعوة ، ط ١/ ١٤١٢هـ .

١٠٦- القادري : عبدالله بن أحمد ، الجهاد في سبيل الله (حقيقته وغايته) ، جدّة : دار المنارة ، ط١/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٠٧- ابن قدامة المقدسي : أحمد بن عبدالرحمن (ت ٦٢٠هـ) ، مختصر منهاج القاصدين ، قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ،وعلّق عليه شعيب وعبدالقادر أبناء الأرناؤوط ، دمشق : مكتبة دار البيان ، (د.ط) ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٠٨- القرضاوي : يوسف ، الصبر في القرآن الكريم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٠٩- القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة (د.م) : مركز تحقيق التراث ، ط٣ / ١٩٨٧ م .

١١٠- القطّان : منّاع ، مباحث في علوم القرآن بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١٩/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٣م .

١١١-قطب : سيد قطب

-التصوير الفني في القرآن : القاهرة : دار الشروق ، ط ٨ / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١٢- في ظلال القرآن ، القاهرة : دار الشروق ، ط ١٥ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١١٣- معالم في الطريق : القاهرة : دار الشروق ، ط ١٦ / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١١٤- مقوّمات التصوّر الإسلامي : القاهرة : دار الشروق ، ط ١ / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١١٥ - قطب : محمد :

- دراسات قرآنية : القاهرة : دار الشروق ، ط ٤ / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١٦- منهج التربية الإسلامية ، بيروت : دار الشروق ، ط٧/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١٧- منهج الفن الإسلامي : القاهرة : دار الشروق ، ط ٦ / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١٨- **القيسي** : مروان إبراهيم ،

- التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ، عمّان : (د.د) ط ١ / ١٤٠٤هـ -١٩٨٤ م .

١١٩- معالم التوحيد ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٢٠- **ابن القيّم** : محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) :

- بدائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه ووثّق نصوصه وخرّج أحاديثه : يسري السيد محمد) ، الدمّام : دار ابن الجوزي ، ط ١ /١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

١٢١- بدائع الفوائد ، بيروت : دار الكتاب العربي ،(د/ ط. ت)

١٢٢- تقريب طريق الهجرتين وباب السّعادتين (إعداد : صالح أحمد الشّامي) ، بيروت : المكتب الرسلامي ، ط ١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٢٣- روضة المحبّين (راجعه وحقّق أصوله وعلّق عليه : الدكتور السيّد الجميلي) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٢ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١٢٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، (خرّج نصوصه وعلّق عليه : مصطفى أبو النصر الشلبي) ، جدّة : مكتبة السوادي ، ط٢/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١٢٥- عُدّة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين (تقديم وتحقيق وتعليق : محمد عثمان الخشت) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٥ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٢٦- الفوائد (تقديم وتحقيق وتعليق : محمد عثمان الخشت) ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٢ / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٢٧- الوابل الصيِّب من الكَلِم الطيِّب (حققه وخرّج أحاديثه : عبدالقادر الأرناؤوط) ، دمشق : مكتبة دار البيان ، ط ٢ / ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٢٨- **الكتبي** : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها (تحقيق : إحسان عبّاس) ، بيروت : دار الثقافة ، (د.ط) / ١٩٧٣م .

١٢٩- **ابن كثير** : اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) :

- البداية والنهاية (دقّق أصوله وحقّقه : أحمد أبو ملح ومجموعة ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٣٠- تفسير ابن كثير(تصحيح الشيخ خليل الميس)، بيروت : دار القلم ، (د/ط. ت) .

١٣١- قصص الأنبياء ، الكويت : دار الكتاب الحديث ، (د.ط) / ١٩٨٩م .

١٣٢- **مالك** : الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ، كتاب الموطأ ، (د.م) : دار الفكر ، (د/ ط. ت)

١٣٣- **ابن ماجه** : أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن ابن ماجه (تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي) ، بيروت : دارالكتب العلمية ، (د/ ط.ت) .

١٣٤- **المجذوب** : محمد ، نظرات تحليلية في القصة القرآنية ، الرياض : دار الشواف ، ط ٥ / ١٩٩٢م .

١٣٥ - **مجمع اللغة العربية** : المعجم الوجيز ، مصر : دار التحرير ، ١٩٨٩م .

١٣٦- **المحاملي** : القاضي أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل (ت ٣٣٠هـ) ، كتاب الدعاء (تحقيق الدكتور : سعيد القزقي) ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط ١ / ١٩٩٢م .

١٣٧- **المحتسب** : عبد المجيد عبد السلام ، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ، عمّان : مكتبة النهضة الإسلامية ، ط ٣ / ١٤٠٢ ه - ١٩٨٢ م .

١٣٨- مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٣٩- مشرح : محمد ناجي ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية ، جدة : دار المجتمع ، ط١ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٤٠- ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب (تحقيق : عبدالله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي) ، القاهرة : دار المعارف ، (د/ ط. ت) .

١٤١- الميداني : عبد الرحمن حسن حبَنَّكة :

- ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة ، دمشق : دار القلم ، ط ١ / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م .

١٤٢- العقيدة الإسلامية وأسسها ، دمشق : دار القلم ، ط ٤ / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٤٣ - نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد ، دمشق : دار القلم ، ط ١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٤٤- النحوي : عدنان علي :

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ، الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٤٥-منهج المؤمن بين العلم والتطبيق،الرياض: دارالنحوي ، ط١/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٤٦- الندوي : أبو الحسن على الحسني :

- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ، دمشق : دار القلم ، ط ٦/ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

١٤٧- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة ، الكويت : دار القلم ، ط ٢ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٤٨- نقرة : التهامي ، سيكولوجية القصة في القرآن ، تونس : الشركة التونسية للتويع ، ط٢ / ١٩٨٧م .

١٤٩- آل نوّاب : عبدالرّب نوّاب الدّين ، الدعوة إلى الله (دراسة مستوحاة من سورة النمل) ، دمشق : دار القلم ، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٥٠- النووي : محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) :

- الأذكار ، الرياض : دار الهدى ، ط ٥/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٥١- صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت : دار الكتب العلمية (د/ ط. ت) .

١٥٢ - هرّاس : محمد خليل :

- دعوة التوحيد (أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعاتها) ، طنطا : مكتبة الصحابة (د/ ط. ت)

١٥٣- ابن تيمية السلفي (نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات) ، طنطا : مكتبة الصحابة ، ط ٢ / ١٤٠٥هـ .

١٥٤- الوادعي : أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي ، الصحيح المُسند من أسباب النزول ، صنعاء : مكتبة دار القدس ، ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٥٥- الوكيل : حلمي أحمد ، المناهج (مفهومها ، أسسها ، عناصرها ، تنظيماتها) ، القاهرة : دار الكتاب الجامعي / (د. ط) ١٩٩١م .

١٥٦- الوكيل : محمد السيد ، أسس الدعوة وآداب الدعاة ، جدّة : دار المجتمع ، ط ٢ ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م .

١٥٧- ياسين : محمد نعيم ، الإيمان (أركانه . حقيقته . نواقضه) ، عمّان : دار الفرقان ، ط ٥/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

فهـرس الموضـوعـــات

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول

النتائج التربوية في جانب الاعتقاد ٣١٧

الفصل الثاني

النتائج التربوية في جانب الممارسات ٣٢٩

الخاتمة ٣٥٥

انتهت الرسالة بحمد الله وفضله